ا مهورية ا زائرية الد قراطية الشعبية

وزارة التعليم العا والبحث العلمي

جامعة ا اج ضر- باتنة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابا

الأنساق الدلالية اللفظية في النصف الأول من القرآن الكريم [دراسة في ضوء علم السيمياءالحديث]

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية

من إعداد الطالبة:

عقيلة بنور

ت إشراف الأستاذ:

عبد ا ميد دباش

السنة الجامعية: 2006-2007م

1427 -1428هـ

مقدمـــة

الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على أشرف خلق ا محمد بن عبد ا - صلوات ا وسلامه عليه-.

كلنا يعرف من ثقافتنا العامة أن الإنسان منتج للعلامات والرموز ، ومستهلك لها فـي الوقت نفسه، فهو ينتجها ويجعلها أدلة على أفكاره وعواطفه وتوجهاته ، وهو مستهلك لها لأنه يستعملها للتواصل ، ولقد أقيمت حول هذه العلامات دراسات لغويـة عديـدة متعرضة في ذلك لكل ما يدخل فيها كبيان أنواعها وتعدد جوانبها ومعرفة دلالاتهـا. ليكشف في الأخير عن علم جديد سخر لخدمة ودراسة هذه العلامات ألا وهـو علـم السيمياء. وانطلاقا من هذا العلم تنقسم العلامة إلى قسمين كبيرين : علامـات لفظيـة نطقية ، وعلامات غير لفظية غير نطقية لا تؤدي بالأصوات ، وبذلك فالتواصل إذن بين الباث والمتلقي يتم بطريقين : طريق الأصوات أو اللغة وبفضل وسائط أخـرى خارج النظام اللغوي النطقي. ولكنها تقوم بالمهمة التي تقوم بها الألفاظ وذلـك مثـل الإشارة باليد أو الحاجب أو العين ..... ولقد تم اختيارى لموضوع من موضـوعات علم السيمياء وفي قسمه المتعلق بالعلامة اللغوية اللفظية ودلالتهـا ، ولابـد لهـذه الدراسة من نص تقام عليه فكان النص هو القرآن الكريم فـي نـصفه الأول تحـت عنوان : الأنساق الدلالية اللفظية في النص الأول من القرآن الكريم دراسة في ضوء السيمياء الحديثة.

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع لأسباب عديدة لعل أبرزها حداثة من العلم (السيمياء) في دراستنا اللغوية العربية. وحاجته إلى دراسـات واسـعة ومتـشعبة لمعرفته ومعرفة موضوعاته وكذا للتفريق بين النسق الدلالي اللفظي وغير اللفظـي الذي لم يفصل فيهما لحد الآن ولا في كيفية التمييز بينهما ، أما سبب اختياري للنص القرآني كميدان للتطبيق دون غيره فيعوده إلى أنه كتاب هداية لا يتأتى فهمه وإدراكه إلا من خلال التدبر والتمعن لا بقراءات عابرة نتلفظ فيها بكلمات وعبـارات دون أن نعي كنهها ودلالتها ، فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي أعجـزت العـرب – رغم فصاحتهم وبلاغتهم – عن الإتيان بمثله فمن الأجدر بنا أن نقف أمام آيه موقف المتدبر والمتأمل من أجل المعرفة والانتفاع . وكم في ذلك من خير.

ولما كان المنهج هو الطريق والدليل في رحلة البحث فطبيعة الموضوع تفرض أولا اعتماد المنهج الإحصائي وتشير تسميته الى أن أهم مبدإ يقوم عليه هو استخراج جميع أنماط الدراسة وتعدادها وتبويبها حسب ارتباطها وهـذا مـا شـرعت فيـه باستخراج جميع الأنساق الدلالية اللفظية ثم تبويبها في فصول خمسة.ضم كل فصل عناوين جزئية على شكل حقول دلالية ، أما المنهج الثاني فكان المنهج الوصـفي إذ لابد لكل دراسة من اعتماده لأنه يمثل حجر الأساس سـواء للدراسـة أم للمنـاهج الأخرى التي تقام عليه.

فلا يمكن دراسة النسق ودلالاته عبر جميع الأزمان وفي مختلف المعاجم والتفاسـير لذا اعتمدت على تفسيرين متباعدين في الزمن و الشيء نفـسه بالنـسبة للمعـاجم والقواميس حيث تجلى هذا المنهج الوصفي في عرض مختلف دلالات النسق الواحـد عبر التفاسير والمعاجم المعتمد عليها عن طريق الموازنة بين دلالات النسق الواحد والإشارة الى تنوعها سواء أكان هذا الاختلاف بين المعاجم والتفاسير أم بين التفاسير في حد ذاتها في شرحها للنسق الواحد .

ولقد أنجز هذا البحث وفق خطة اقتضتها طبيعة الموضوع فتشكل هيكلـه مـن : مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فتم فيها التعرض لعنوان البحث، والاشارة إلى حوافز اختيـار هـذا الموضوع، مع ذكر المناهج المتبعة في الدراسة مشفعة بالتعليل ثم التطرق إلى الخطة التي سار عليها البحث فتعداد الصعوبات التي واجهته دون اغفال ايراد كلمـة حـق لكل من مد يد العون للبحث.

أما التمهيد فكان ضروريا للبحث عرفت من خلاله كل ما يتصل بعلم السيمياء مـن حيث تعريفه وأشهر زعمائه وبداياتهم فيه وأهم مجالاته . ثم عرفت بالأنساق سـواء أكانت لفظية أم غير لفظية ، وتبيان أوجه الاختلافات بينها ومجالات كل نوع حتـى تتضح الصورة أمام القارئ.

أما فيما يخص الفصول فالمنطق يفرض البدء بالإنسان فالحيوان ثم الأشياء ، ولما احتوى فصل الأشياء على أنساق عديدة ارتأيت أن أضيف فصلا آخر انبثق عنه ضم

الأماكن وحضارات الأمم الغابرة ليخصص الفصل الأخير للألوان ودلالتها، فسارت الفصول وفق ما يلي:

<u>الفصل الأول :</u> (الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالإنسان) ضم هذا الفصل عنوانين رئيسين هما : أعضاء جسم الإنسان ودلالتها وسرت في ترتيبها على حسب ترتيب ذكرها في المدونة بالاعتماد علىتعريف العضو تعريفا معجميا أولا ثم ذكر السياق أو السياقات التى ذكرفيها متبوعة مباشرة بذكردلالاتها المتعلقة بالسياق الواردة فيه مستمدة هذه الدلالة من التفاسير المعتمد عليها، وإن اقتضى المقام ذكر بعض دلالات هذه الأعضاء خارج النص القرآني أي في لغتنا واستعمالاتنا الخاصة كدلالة الأنف مثلا بالإضافة إلى دلالته على ذلك العضو البارز في وجه الإنسان دلالته على الأنفة و العزة .

أما العنوان الثاني فتعلق بالصفات الخلقية التي يتحلى بها الإنسان ، فقسمته إلى قسمين: صفات سلبية وصفات إيجابية، ولتقارب دلالات هذه الصفات وكثرتها ، حاولت قدر الإمكان حصر بعضها فقط وإبراز دلالات كل صفة معجميا متبوعة بالدلالة السياقية المستمدة من التفاسير مشيرة في بعض الأحيان إلى أصل بعض الصفات كالخبيث المأخوذ من خبث المعادن أو الحديد خاصة.

<u>الفصل الثاني</u> : (الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالحيوان) . ضم هذا الفصل عناوين ثلاثة تعلقت بأصناف الحيوان فقسم تعلق بالحشرات وآخر خص بالطيور ثم قسم آخر ضم الحيوانات بنوعيها الأليفة والمتوحشة و تم ترتيبتها وفق ما سبق باعتبار الحشرات هي أول ما ذكر تلاها الطير وأخيرا الحيوان. وسرت في دراستي لهذه الأقسام على نهج واحد معرفة إياها تعريفا معجميا ثم ذكرالسياق الذي ذكرت فيه مشفعة بدلالتها السياقية المستمدة من التفاسير. مع إيراد بعض الدلالات الأخرى التي ارتبطت بلغتنا وحياتنا اليومية كدلالة الغراب على الشؤم والبين.

<u>الفصل الثالث</u> : (**الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالأشياء**) كان هذا الفصل أكبر حجما مما سواه كون المدونة حوت العديد من هذه الأنساق الدلالية اللفظية، فحاولت قدر الإمكان حصرها وتلويبها انطلاقا من علاقات جامعة بين بعضها البعض على حد يذكرنا بنظرية الحقول الدلالية ، ومن بين هذه الحقول **: الكتاب وما يدخل فيه ،**

حيث حوى: الكتاب واللوح والقرطاس والزبور والقلم، **و دركات النار**التى قارنت فيها بين النار الدنيوية من جهة والنار الآخروية من جهة أخرى ، لأصل الى بيان الفروقات حتى بين النار الآخروية وهو ما يعرف بدركات جهنم ، كجهنم والجحيم والسعير والهاوية ومن بين الحقول على سبيل الذكر : درجات الجنة، والأطعمة ، وأنواع الرياح ، والألبسة والأموال ، و.......وهكذا ، والطريقة واحدة في الدراسة هي بيان الدلالة المعجمية ، ثم بيان الدلالة السياقية الواردة في المدونة ، مع الإشارة أحيانا إلى دلالات أخرى خارج النص القرآني ، كارتباط النجوم والكواكب والأبراج بعلم التنجيم.

الفصل الرابع : (**الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالأماكن والحضارات**) ، هذا الفصل تكملة للفصل السابق تناولت فيه عنوانين بارزين : العنوان الأول تعلق بالأنساق الدلالية اللفظية المخصصة بالأماكن سواء في ذلك أكانت هذه الأماكن خاصة : كالبيت والمحراب والمشعر ، والمقام وعرفات .....التي تعلقت بأركان الإسلام كالصلاة والزكاة أم الأماكن العامة ، كالقرية والمدينة... ، أبين في ذلك دلالة كل نسق على نحو يشابه باقي الفصول السابقة و خصص العنوان الثاني للحديث عن حضارات الأمم الغابرة وأقصد بذلك حضارات أقوام الأنبياء والمرسلين كقوم نوح ، وعاد وثمود ومدين لأجل معرفة الدلالة أو الدلالات المستمدة من قصصهم

الفصل الخامس : (**الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالألوان**) نظرا لارتباط حجم الفصول بالمادة المستخرجة من المدونة كان هذا الفصل أصغر حجما ضم عناوين أساسيين هما : الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالألوان الصريحة كالأبيض والأسود والأصفر والأخضر و دلالة كل لون على حدة ثم ذكر دلالاته الأخرى المتعلقة بمختلف مجالات الحياة كالدين والطب وعلم النفس .....أما العنوان الثاني فضم الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالألوان غير الصريحة كالظلمات والنور ودلالاتها كدلالة الظلمات مثلا على الضلال والكفر وعدم الاهتداء .

أما **الخاتمة** فقد أوجزت فيها ما أمكنني الوصول إليه من نتائج وملاحظات أتيحت لي من خلال دراستي لهذا البحث .

إن هذه الدراسة لم تأت لى بالسهولة التي كنت أرجوها . فقد واجهتنـي صـعوبات جمة تمثلت أساسا في اضطراري إلى تغيير عنوان البحث من الأنساق الدلالية غيـر اللفظية في النصف الأول من القرآن الكريم إلى العنوان المصرح به مسبقا فزاد بذلك حجم وعدد الأنساق المطلوبة للدراسة فحاولت جاهدة أن ألم بغالبيتها. أما الـصعوبة الثانية فتمثلت في عدم استطاعتي الحصول على معجم مـصطلحات القرآنيـة ممـا ضاعف جهد البحث و جعل الوقت يداهمني وأنا بين ثنايا المصحف من أجل إحصاء هذه الأنساق وتبويبها . ورغم طول المدة فانها عادت علي بالفائدة والنفع في مختلف جوانب حياتي خارج البحث أم فى رحابه ، وبعون المولى عز وجل – اسـتطعت أن أتحصل على العديد من الكتب التي كانت الشعلة التي أضاءت مـسيرة بحثـي بعـد القرآن الكريم، وتصدرتها قائمة المصادر من معاجم وتفاسير فمن الأولـى ، لـسان العرب لابن منظور ، والمنجد في اللغة والعلام لنخبة من الباحثين ، ومن الثانيـة : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، وفي ظلال القرآن للـسيد قطـب بالإضـافة إلـى مجموعة من المراجع أشرت إليها في موضعها.

وفى الاخير فإن حقق هذا العمل غايته ، وبلغ مقاصده فالحمد أولا وأخيـرا ، وإن قصر به الجهد عن إدراك هذا العمل فحسبي أنني بذلت ما استطعت مـن جهـد وعمل ، ولنا في ذلك إن شاء ا أجر الاجتهاد .

ولا يسعنى إلا أن أتقدم بكامل الشكر وجزيله إلى كل من ساعد في إخـراج هـذا البحث إلى الحياة ، يتقدمهم أستاذي الدكتور محمد بوعمامة وهو مـشكورعلى كـل نصائحه وتوجيهاته ، وعلى صبره وسعة صدره، وكذا الأستاذ ، المشرف : دبـاش عبد الحميد والأستاذ منصور خلخال وكل من كانت له يد عون من قريب أو بعيد .

سبحانك اللهم وبحمدك. وأشهد أن لا إله إلا ا استغفرك وأتوب إليك وآخر دعوانـا أن الحمد رب العالمين.

1- مفهوم السيميولوجيا:

إن مصطلح السميولوجيا منقول من الأصل اليوناني Semeion بمعنى إشارة[1] فالسميولوجيا – تعريفا- هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة وهكذا فإن السميولوجيا هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية.[2]

ومما جاء في تعريفها :«ليست السميولوجيا غير ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا أو مؤشريا، وبما أن علامات اللغة تتمتع بنوع من التفرد والإمتياز عن باقي أنواع العلامات الأخرى فإنها تخرج عن محيط هذا التعريف الشيء الذي تتحول معه هذه السميولوجيا إلى علم يدرس أنظمة العلامات غير اللسانية»[3]

هناك من فضل اسما آخر للدلالة على هذا العلم، ألا وهو السميوطيقا، فالكلمتان "سميولوجيا وسميو طيقا يغطيان اليوم نظاما واحدا، فالأوروبيون يستخدمون الأول، بينما يستخدم الثاني كل الناطقين بالإنكليزية"[4]

ومما جاء في تعريف السيموطيقا: هي ذلك العلم الذي يدرس الدلائل اللسانية وغير اللسانية[5].

والسميوطيقا بمفهومها العريض تعنى بالعلامة، وتعنى بها على مستويين: المستوى الأول ويمكن أن نطلق عليه اسم المستوى الانطولوجي: فإنه يعنى بماهية العلامة أي بوجودها وطبيعتها وعلاقتها بالموجودات الأخرى التي تشبهها والتي تختلف عنها، أما المستوى الثاني، ويمكن أن نطلق عليه اسم المستوى البرجماتي: فإنه يعنى بفعالية العلامة وبتوظيفها في الحياة العملية، ومن منطلق هذا التقسيم نجد أن السميوطيقا اتجهت اتجاهين لا يناقض أحدهما الآخر بل قد نقول إنهما متكاملان

---

(1) أنظر علم الاشارة السميولوجيا. بيرجيرو، ت..د: منذر عياشي ط11::: 1988 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق. ، ص9.

(2) أنظر المرجع السابق ص، 09.

(3) محاضرات في السيمولوحيا ص 25،

(4) عام الاشارة،السميولوجيا ،ص250وانظر محاظرات فى السيميولوجيا،ص05

(5) دروس فى السيميائيات،حنون مبارك،ص79.

الاتجاه الأول: يحاول تحديد ماهية العلامة ودرس مقوماتها وقد مهد لهذا المنحى الفيلسوف الأمريكي تشارلز سوندرربيرس، أما الاتجاه الثاني فيركز على دراسة توظيف العلامة في عمليات الاتصال ونقل المعلومات وقد استلهم هذا الاتجاه مقولات فرديناند دي سوسير[1]

ومما جاء في تعريف هذا العلم عند بعض اللغوين الغرب ما يلي [2]

عند مونان: هي العلم العام لكل أنظمة الاتصال الذي يتم من خلال الإشارات أو الدلالات أو الرموز. عند شيبانوف stepanov : إن علم العلامات هو علم الأنظمة الدالة في الطبيعة وفي المجتمع. عند مورس: النظرية العامة للعلامة في كل صورها وتجلياتها عند الحيوان والبشر سواء كانوا أصحاء أو مرضى اللغوية وغير اللغوية ، الفردية أو الاجتماعية .

أما عند العرب فمنهم من استعمل مصطلح سميولوجيا أو سميوطيقا أو علم العلامات، وهناك من آثر الاحتفاظ بالمصطلح العربي الأصيل وهو السيمياء. هذه الأخيرة مشتقة من مادة سوم التي تعني العلامة إذ يقول الفيروز أبادي " السومه بالضم والسمة والسيماء والسيمياء تعني العلامة " [3] وقد وردت في النص القرآني في قوله جل وعلا " سيماهم في وجوههم من أثر السجود " الفتح 29

2- **التتبع التاريخي لعلم السميولوجيا** :

لكل علم تاريخ وجذور يعود إليها والشيىء نفسه بالنسبة لهذا العلم غير أنه من الصعب تحديده بدقة فالمراجع الأساسية للفكر الغربي تعود إلى الفكر اليوناني ، كما أن التداخل بين المواد والعلوم من فلسفة ولسانيات وسيكولوجيا جعل المحال يضطرب في تمييز السميولوجيا عن المجالات الأخرى.

فمصطلح سميوطيقا semiotike في اللغة الأفلاطونية نسبته إلى أفلاطون و grammatike يعني تعلم القراءة والكتابة وهو مندمج مع الفلسفة [4]

---

(1) أنظر ، مدخل إلى السميولوجيا طبقا. أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة. إشراف سيزا قاسم ، نصر حامد أبوزيد . شركة دار إلياس العصرية ، القاهرة مصر. ص 19.

(2) أنظر ، مدخل إلى السميولوجيا طبقا ، ص 35.

(3) القاموس المحيط ، القيم وزأبادي. دار الجيل بيروت 0ج1.ص81.

(4) ماهي السميولوجيا ، برنار توسان . ت. محمد نظيف ط2 ، 2000. إفريقيا الشرق ، ص 39.

ثم تعود للظهور مع الفيلسوف جون لوك (1632 – 1704) ولكن الدراسة السميولوجية في عصره لم تخرج عن إطار النظرية العامة للغة وفلسفتها النظرية(1)

والواقع لم تصبح السيميولوجيا علما قائما بذاته إلا بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي بيرس (1839-1914) فالسيميولوجيا طبقا لاعتقاده هي علم الإشارة الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الآخرى حيث يقول " ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في هذا الكون كالرياضيات والأخلاق والميزافيزياء، والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية ، والبصريات والكيمياء ، وعلم التشريح المقارن ، وعلم الفلك وعلم النفس وعلم الصوتيات ،وعلم الاقتصاد ، وتاريخ العلم ، والكلام والسكوت والرجال والنساء والنبيذ ، وعلم القياس والموازين إلا أنه نظام سميولوجي" (2)

أما العالم اللغوي دي سوسير فقد تطلع إلى السيمولوجيا بمنظار لسانى وليس بمنظار فلسفي فقد كانت تفسيراته وأفكاره السميولوجية محدودة ذلك أنه تطرق إليها أثناء حديثه عن الإشارة اللغوية فقط فاللغة طبقا لاعتقاده هي نظام إشاري من أنظمة إشارية عديدة تدخل كلها ضمن إطار السميولوجيا حيث يقول في هذا الشأن " اللغة نظام إشاري يعبر عن الأفكار ، وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي ، وبالنظام الألفبائي للصم البكم وبالنظام الإشاري العسكري وبالنظام الإشاري النقشي....الخ ، إن العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن أن يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي ولهذا سوف أدعو هذا العلم سميولوجيا "(3)

كما أن هناك مصدر آخر للسميولوجيا تاتى من العمل الفلسفي الذي قام به الفيلسوف الألماني كاسيرر ففي كتابه الضخم " فلسفة الشكل الرمزي " كان قد طرح المبادىء السيمولوجية التالية "(4)

- إن وظيفة اللغة لا تقتصر على أنها وسيلة إيصالية تقطع الواقع الفيزيائي للإنسان وتسميه فقط وإنما لها وظيفة أخرى وهي فهم هذا الواقع الفيزيائى وخلقه

---

(1) علم الإشارة السميولوجيا ، بير حيرو ص 10.
(2) أنظر ، مدخل إلى السميولوجيا طبقا ، ص 35.
(3) المرجع نفسه ص 13.
(4) المرجع نفسه ص 14-15.

باستمرارمن هذا كانت اللغة عاملا أساسيا في تمييز الإنسان عن الحيوان لذلك يسمى الإنسان " الحيوان الناطق "

- ليست اللغة هي الأداة الوحيدة التي تقوم بهذا الدور الإيصالي ، وإنما هناك أنظمة إشارية أخرى تشاركها المهمة نفسها كالأسطورة والدين والفن والعلم والتاريخ . فكل نظام من هذه الأنظمة الإشارية يحاول تصوير العالم وخلقه باستمرار
- إن تميز العمل الفلسفي الذي قام به كاسيرر يمكن بالسؤال عن القوانين المحدثة التي تحكم هذه الأنظمة الإشارية ، واختلافها عن قوانين المنطق والفلسفة .

واتضحت معالم السميولوجيا وعناصرها عند رولان بارت الذي نشر سنة 1964 كتابا سميولوجيا لنشهد الولادة العقلية للنظرية السميولوجية غير اللسانية، حيث يعد هذا العالم من أقطاب النقد السيميولوجي خاصة بعد نشر كتاب " الأساطير " والذي أصبح يمثل إنجيل المنهجية السيميولوجية في الوقت الراهن "(1)

3- موضوع السيميولوجيا

إن تحديد موضوع السيميولوجيا يختلف باختلاف منطلقات الدارسين لها فموضوع السيميولوجيا عند الدارس اللساني يختلف عن الفيلسوف وعالم النفس ...الخ لذا سنحاول – وباختصار التعرف على بعض المدارس التي اهتمت بهذا العلم وكيف حددت موضوعه .

أ- **المدرسة الأمريكية** :

ارتبط هذا الاتجاه بالفليسوف الأمريكي بيرس والذي أطلق عليه اسم سيميوطيقا التي تقوم على المنطق والظاهراتية والرياضيات والسيميوطيقا البيرسية مدخل ضروري للمنطق وإن كان هذا الأخير فرعا متشعبا عن علم عام هو الدلائل الرمزية فالمنطق عند بيرس يرادف السيميوطيقا الذي يعده علما للعلامات وبحثا موسعا يشمل الدلائل اللسانية وغير اللسانية ، وظيفتها فلسفية منطقية لا يمكن فصلها عن فلسفة التي تتميز بالاستمرارية والواقعية والتداول،

(1) أنظر ، ما هي السميولوجيا ، برنار توسان . ت . محمد نظيف . ص 42.

هذه الوظيفة تكمن في إنتاج مراقبة مقصودة وتغذية للعادات والاعتقادات ، وهنا تكمن المعرفة الفلسفية أو العلمية التي تحدد سلسلة من المعايير لتعيين ما هو صادق سواء كان الصدق هنا مفكرا فيه باعتباره كفاية أو انسجاما داخليا او مشاكلا للواقع ، كما أن سيميوطيقا بيرس تجمع بين الدلالة والتواصل والتمثيل ، كما أنها اجتماعية وجدية تقوم على ثلاثة أبعاد هي : البعد التركيزي ، البعد الدلالي ، البعد التداولي ، وذلك لأن الدليل البيرسى ثلاثي يقوم على : الممثل المؤول (المداول). الموضوع (المعنى) .[1]

ب- **المدرسة الفرنسية**

1- **الاتجاه السويسرة** : دوسوسير مؤسس اللسانيات والسيميولوجيا بعد صدور كتابه " محاضرات في اللسانيات العامة " حيث اعتبر السيميولوجيا علما للعلامات فجعلها علما عاما شاملا لكل العلوم حتى اللسانيات ولقد حصرها في الإشارات اللغوية أما وظيفتها فقد حددها في قوله : هي علم يدرس حياة الإشارات في قاب الحياة الاجتماعية " [2]

أي أن وظيفة العلامة تكمن في التواصل الاجتماعي ، وقد كان هذا التحديد للسيميولوجيا عند سوسير في تصوره فقط أنا التنظير له فتركه لمن يليه فيقول " لأن هذا العلم لم يوجد بعد فلا يمكن التكهن بمستقبله إلا أن له الحق في الوجود وموقعه محدد سلفا "[3]

2 - الاتجاه التواصل :

يتزعم هذا الاتجاه كل من بريطو ومونان ، وبوينس ، ومارتنيه ، والدليل عندهم أداة تواصلية أي مقصدية إبلاغية فالعلامة من هنا تتكون من ثلاثة عناصر " دال ومدلول ووظيفة تواصلية هذه الوظيفة تؤديها أنساق لسانية وأنظمة سننية غير لسانية ذات وظيفة سميوطيقية تواصلية " فالسميولوجيا البويسنسية هي دراسة لطرق التواصل والوسائل المستعملة للتأثير على الغير قصد الإقناع أو الحث أو الإبعاد وفيها رجع بوينس إلى الفكر السوسيري في تحديده الطبيعة الاجتماعية للعلامة من أجل تحديد

(1) سميو طبقا العنوان . مخليه عالم الفكر . د : جميل حمداوي العدد . 03 مارس 1997 ، ص 85.

(2) علم الإشارة السميولوجيا ، بير حيرو .ص 23.

(3) سميو طبقا العنوان ، العدد .03. ص 88.

معناها بدقة وكي لا يتفكك موضوعها حصرها في دراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية"[1] .

3- السميولوجيا الدالة

يعتبر بارت خير من يمثل هذا الاتجاه لأن السميولوجيا البارتية تقوم على دراسة الأنظمة الدالة أي الأنساق والوقائع كلها دالة سواء كانت لغوية أم غير لغوية ، هذه الأخيرة لها لغة دالة خاصة بها. ولأنها كلها دالة فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللسانية كما أكد أن اللسانيات ليست فرعا ولو كان متميزا من علم الدلائل بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات ، كما أنه تجاوز الفكرة التي تنص على أن علم السميولوجيا يدرس العلامات القصدية فقبل وسعها وأكد على وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير قصدي وغير إداري والبعد الدلالي فيه موجود واللغة هي التي تجعل هذه الأنساق غير اللفظية دالة"[2].

4- السميولوجيا الرمزية

تعتمدها مدرسة " إيكس " وعلى رأسها أستاذ الأدب " مولينـو " وهـي تـدرس الأنظمة الرمزية محل أنظمة العلامات لأنها جمعت بين نظرية بيرس في توسعه للعلامة وفلسفة كاسيرر التي تعتبر الإنسان حيوانا رمزيا "[3] 0

بعد تعرضنا إلى مواضيع السميولوجيا وأهم مدارسها ، نحاول الآن أن نتعـرف على العنصر الأساسي الذي يدرسه هذا العلم وهو العلامة ومما جاء في تعريفها وحدة تكون نتاجا لاتحاد عنصرين أو انصهارهما وهما على حد تعبير دوسوسير ، الدال والمدلول ، ومن منظور علم العلامات (الـسيميولوجيا) فـإن اتحـاد العنصرين شرط أساسي لتكوين العلامة من جهة ، ولتحقيق التواصل من جهـة أخرى ، ولهذا يشترط بيرس : أن الشيء لا يصبح علامـة إلا عنـدما يقـوم بتصوير شيء آخر يسمى موضوعة ، فبيرس هنا يقيم علاقة ضـرورية بـين طرفين ينتج عن اتحادهما ثالث بالضرورة ، وهو العلامة أو الدليل ، إذن الشيء

---

(1) المرجع نفسه ص 89.
(2) المرجع نفسه ص 91.
(3) أنظر : دروس في السميائيات ، ص83.0.

المصور والموضوعة عند بيرس يشكلان العلامة . وهذا النظـام يعبـر عنـه سوسير بالعلامة أو الدليل ، الذي يكون نتاجا لـ (الدال والمدلول) [1]

والعلامة بوصفها مصطلحا أوسع وأشـمل مـن الكلمـة ، فهـي تحتويهـا وتتجاوزها ، فالكلمة في ذاتها نوع لفظي من العلامات تنطلق دلالتها من قيمـة اللفظ في ثقافة ما ، فالصوت في حد ذاته لا يعني وإنما يتـشكل المعنـى عبـر القيمة الدلالية المرتبطة بالكلمة[2]

وتقسم العلامة من منظور السميولوجيا إلى قسمين كبيرين " علامات لفظيـة نطقية وعلامات غير لفظية لا تؤدى بالأصوات " [3]

ويمكن القول أن هناك: علامة لسانية وأخرى سيميولوجية لا تفهم طبيعة إحداهما إلا بفهم طبيعة الأخرى " إنهما معا مركبتان كنموذجيهما من دال ومدلول، على أن السيميولوجية منهما تتميز عن اللسانية بكون دلالتها تنحصر فـي وظيفتهـا الاجتماعية . هذه الوظيفة الاجتماعية رهينة بالاستعمال وهذا الاستعمال مشروط بحاول وقته وأوانه ، وهذا الوقـت والأوان ليـسا شـيئا غيـر علامـة لهـذا الاستعمال"[4]

ومادام علم السميولوجيا يدرس أنظمة العلامات ، فثمة وجهان للمعرفة إذن : " وجه يتمثل في نسق معرفي (مدلول) ووجه يتمثل في نسق سيميولوجي (دال) ، ويكمن موضوع السيميولوجيا تحديدا في تثبيت طبيعة العلاقة بين هذين النسقين "[5]

فما زاو النسق ?

جاء في مادة نسق: نسقا الدرا ونحوه : نظمه. والكلام عطف بعـضه علـى بعض ورتبه ونسق الشيء : نظمه . وتنسلق وتناسق وانتسق : الأشياء : انـتظم بعضها إلى بعض يقال ، تناسق كلامه أي جاء على نسق ونظام. [6]

---

(1) أنظر : السميائية والنص الأدبي. جامعة عنابة باجي مختار . العدد 15 ماي 1995. ص 42.43.
(2) أنظر : مدخل إلى السميوطيقا ص 09.
(3) السميائية والنص الأدبي ، ص 44.
(4) محاضرات في السميولوجيا ص 22.
(5) علم الإشارة : السميولوجيا ، بيير جيرو . ص 94.
(6) أنظر المنجد في اللغة والأعلام ، ص806.

4-تعريف النسق الدال :

عرض حنون مبارك عدة تعاريف للنسق الدال عند بعض اللغويين منها مـا يلي : (1)

يعرف " لوكو متسيف النسق السيميوطيقي باعتباره، لعبة دلائل " لعبة نمط مـن الدلائل أو عدة أنماط مضاعفة بنسق من القواعد التي تتحكم فـي تأليفهـا فـي اللحظة التي يعد فيها نص سيميو طيقي. بينما ينطلق " روسي لاندي" في تعريفه للنسق الدلالي من اعتبار التواصل منقسما إلى عدة قطاعات تواصلية ، ويـسمى كل قطاع تواصلي " نسق دلائل " وأنساق الدلائل عنده مجموعة جدلية مكونـة من أنواع سننية ، ومن رسائل تتحقق في الواقع بـين مرسـلين ومتلقـين فـي ظروف ملائمة، وتحتوي هذه الأنساق في طيها على قواعد استعمالها الخاص.

أما " كرانجر " فيستعمل بدل النسق السميوطبقي ونسق الدلائل النسق الرمـزي. والنسق الرمزي مجموعة من الدلائل المعطاة فعليا أو القابلة فعليا للبناء.

ولقد ذهب السيميولوجيون إلى معارضة طرق المعنى النسقية واللانسقية ولقد وضع " Buyssems " تعريفا أخذه عن جورج مونان فقـال: " عنـدما تفكـك الرسائل إلى إشارة ثابتة ودائمة توجد حينئذ طرق اشارية نسقية وهذه هى حـال إشارات المرور مع ما فيها من أقراص ومستطيلات ومثلثات تشكل كلها عائلة جيدة التحديد للأشارات ، ولكن ثمة طرق غير نسقية ، وهي الحالـة المعاكـسة مثل : ملصق الدعاية الذي يستعمل الشكل واللون لكي يجذب الانتباه إلى نوعية من صابون الغسيل ، أو حتى سلسلة الملصقات المختلفة التي تستعمل تباعا من أجل النوعية نفسها لصابون الغسيل "(2)

وما دام التواصل يتم عبر أنساق دلالية فمن شروط هذا النسق أن يكون مغلقا لكي لا يختلط مع قواعد تأليفية مغايرة للقواعد الخاصة به، ومن هنا أمكن تقسيم الأنساق الدلالية إلى قسمين : (3)

أ- **الأنساق الدلالية الطبيعية :** هي تلك الأنساق التي توجد في الطبيعة

---

(1) دروس في سميائيات ص 21.

(2) علم الإشارة سميولوجيا ص 62.

(3) أنظر : دروس في السميائيات . ص 22.

، وتتسم هذه الأنساق بكونها غير مؤسسية إلا أن الإنسان وظفها داخـل مملكـة الدلائل ، أي أنه أسند إليها دلالات مخصوصة مثل : " ظاهرة احمرار الوجـه عند الخجل "[1] فالاحمرار ظاهرة طبيعية فيزيولوجية لا دخـل للإنـسان فـي حدوثها فهي لا شعورية وعندما استدل بها على الخجل أصبحت مـن الأنـساق الدلالية الطبيعية.

ب- الأنساق الدلالية الاجتماعية : فهي في نفس الآن الأنسنة ، وكل ما نتج عنها أي أنها ما قبل التاريخ الإنساني ، والتاريخ الإنساني منظور إليه مـن زاويـة السيميوطيقا العامة ، إن الأنساق الدلالية الاجتماعية من تلك الأنساق التي تتميز بكونها مؤسسية ، وبكونها من نتاج عمل الإنسان.

والأنساق الدلالية الاجتماعية تنقسم بدورها إلى قسمين : [2]

1- **أنساق دلالية اجتماعية لفظية** : وهي تلك الأنساق التي لها لغات ، ولها خصوصياتها المتنوعة وإعدادات، مثل الأنواع الـسننية ، وتقـوم هـذه الأنواع السننية على التميزات التي يحدثها الإنسان في مادي الـصوت . أي أن سننها يعتمد على الأصوات الملفوظة أو على الحـروف الخطيـة التي هي علامات لتلك الأصوات ، ويترتب عن ذلـك تقـسيم الأنـساق الدلالية اللفظية إلى قسمين : أنساق دلالية لفظية منطوقة ، وأنساق دلالية لفظية مكتوبة.

2- **أنساق دلالية اجتماعية غير لفظية** : وهي تلك التي لا تستعمل أنواعـا سننية قائمة على أصوات متلفظ بها ، ولكنها تستعمل أنواعا سننية قائمة على أنماط أخرى من الأشياء هاته الأشـياء الأخـرى التـي نـسميها بالأجسام ، هي إما أشياء توجد قبلها فى الطبيعة ، وإما أن الإنسان أنتجها لغايات أخرى ، وإما أنها أنتجت بغرض أن تستعمل بوصفها دلائل ، أو أنها استعملت باعتبارها دلائل في نفس الفعل الذي نتجت فيه.

الفرق بين الأنساق اللفظية والأنساق غير اللفظية

---

(1) الإشارات المسمية " د : كريم زكي حسام الدين ص 121.

(2) أنظر دروس في السمائيات ص ، 22.26.

يذهب " أمبر طو إيكو " و إيزابيلا بيتسيني " إلى أن النسق اللفظي يمتلك من بين كل الأنساق خاصيتين مميزتين : فهو النسق المدروس بشكل أفضل والنسق الذي يمكننا أن ندرسه بشكل أفضل وأن نحلله بدقة متناهية إلى وحدات نطقية ، وإذا كانت الواقعية الثانية ، كما يرى هذان العالمان واقعة صحيحة تاريخيا إلى حدود بداية الستينات ، فإن الواقعة الأولى صحيحة إلى حد ما ذلك أن النسق اللفظي هو النسق الذي يمكنه أن يترجم بألفاظه الخاصة أفضل من الأنساق الأخرى الرسائل التي تبعث بها أنساق أخرى ، بينما العكس ليس صحيحا دائما، ومع أن الواقعة الأولى صحيحة ، فإن القول بأن النسق اللفظي يمكنه أن يترجم رسائل الأنساق الأخرى لا يعني أن قوانين النسق اللفظي هي قوانين الأنساق الأخرى. [1]

إن النسق اللفظي يقدم خدمة جليلة للنسق غير اللفظي ذلـك أن الـشيء غيـر اللفظي لا يمكنه أن يتكلم أو أن يدل إلا بواسطة اللغة التي تتكلمه أو تتكلم عنه، وبذلك فدلالته متوقفة على الدلالة اللسانية التي امتدت لتحتوي ظواهر أخـرى ، وإذن فاللغة تؤسس كل الأنماط الأخرى للدلالة . ولولاها لما كانت الأشياء دالة وحاملة لمعان.

وتتكون الأنساق الدلالية غير اللفظية من [2]

1- حركات الأجسام وأوضاع الجسد : التواصل بالإشارات ، تعابير الوجـه وتعابير أخرى وأوضاع الجسد .
2- الإشارات الدالة على القرب المتعلقة باستعمال الإنسان للمكان.
3- اللمسي والشمي والذوقي والبصري ، والسمعي إلى درجة نـستطيع فيهـا إبعاد أنساق دلالية غير لفظية أخرى قائمة أيضا على السمع والبصر.
4- الشيء : أي الأنساق القائمة على أشـياء يروضـها الإنـسان وينتجهـا ويستعملها : ثياب ، حلي ، زخارف أدوات مختلفة ، آلات ، بناءات مـن كل نوع ، موسيقي فنون رمزية .

---

(1) أنظر دروس في السميائيات ص 29.
(2) المرجع نفسه ص 23.

5- المؤسسي : كل أنواع التنظيمات الاجتماعيـة وبالتحديـد كـل الأنـساق المتصلة بروابط القرابة والطقوس والأعراف والعادات والنظم القـضائية والديانات والسوق الاقتصادي.

أما " أمبرطو إيكو " فإنه يرى في الأنساق الدلالية ، مهما كانت أقـسامها ثمانيـة عشر نسقا وهي: (1)

1- سيميوطيقا الحيوان ، ويخص الأمر السلوكات المتصلة بالتواصـل داخـل الجماعات غير الإنسانية ، وبالتالي الجماعات غير " الثقافية ".
2- العلامات الشمية كالعطور مثلا.
3- التواصل اللمسي كالقبلة والصفعة .
4- سنن الذوق ويتعلق الأمر بممارسة الطبخ.
5- العلامات المصاحبة للغة لما هو لسانى كانماط الاصوات فى ارتباطها مع الجنس والسن والحالة الصحية...ومثل العلامات المصاحبة للغة كالكيفيات الصوتية (علو الصوت ، مراقبـة العمليـة النطقيـة ، وكالتـصويتات (الأمزجة الصوتية : الضحك والبكاء والتنهدات ...).
6- السيميوطيقا الطبية : علاقة الأعراض بالمرض.
7- حركات الأجسام والإشارات الدالة على القرب ويتعلق الأمـر باللغـات الإشارية .
8- الأنواع السننية الموسيقية.
9- اللغات المشكلنة مثل الجبر والكيمياء وسنن الشفرة.
10- اللغات المكتوبة والأبجديات المجهولة والأنواع السننية السرية.
11- اللغات الطبيعية مثل اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية .
12- التواصل المرئي : مثل الأنساق الخطية واللباس والإشهار.
13- نسق الأشياء : مثل المعمار وعامة الأشياء.
14- بنيات الحكي.

(1) دروس في سميائيات ص 24

15- الأنواع السننية الثقافيـة مثـل آداب الـسلوك والتراتبيـات والأسـاطير والمعتقدات الدينية القديمة.

16- الأنواع السننية والرسائل الجمالية ، علم النفس والإبداع الفني والعلاقـات بين الأشكال الفنية والأشكال الطبيعية.

17- التواصل الجماهيري : مثل علم الـنفس وعلـم الاجتمـاع والبيـداغوجيا ومفعول الرواية البولسية والأغنية .

18- الخطابة.

1- الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بأعضاء جسم الإنسان

إن أعضاء جسم الإنسان تحمل بالإضافة إلى المعاني التي وظفت لها دلالات أخرى استمدت في غالبيتها من معناها الحقيقي إذ كثيرا من المجتمعات جعلت من أعضاء جسم الإنسان بابا للتوسع في الدلالات وإثراء اللغة العربية، هذا ما سنحاول أن نبرزه هنا متبعين في ذلك ترتيب هذه الأعضاء حسب ورودها في المدونة.

1- الأصبع: عضو مستطيل يتشعب من طرف الكف والقدم... وأصابع اليدين الإبهام والسبابة والأصبع الوسطى والبنصر والخنصر(1)

ورد هذا العضو في المدونة مرة واحدة في قوله تعالى: «**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين**» البقرة 19.

إن هذا المشهد يرسم لنا «حركة التيه والاضطراب والقلق التي يعيش فيها أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين وعودتهم للشياطين، بين ما يطلبونه من هدى ونور، وما يفيئون إليه من ضلال وظلام، وهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية، ويجسم صورة شعورية، وهو طريقة من طرق القرآن العجيبة في تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس»(2)

ومن الدلالات التي يفيدها هذا العضو «الأثر الحسن يقال: لفلان على ماله إصبع أي أثر حسن قال الشاعر»(3) (الطويل)

ضعيف العصا بادي العروق ترى له   عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

وكقولهم للراعي:« على ماشيته إصبع أي: عليها أثر حسن حتى يشار بالأصابع لحسنها وسمنها»(4)

ومما جاء في الشعر العربي ليفيد الدلالة نفسها قول: لبيد بن ربيعة(5) (الرجز)

من يجعل ا عليه إصبعا   في الخير أو في الشر يلقاه معا

---

(1) المنجد في اللغة والأعلام، ط 36 دار المشرق، بيروت، ص415.

(2) في ظلال القرآن، المجلد الأول، الجزء الأول، ط ش25، 1996م-1417هـ، سيد قطب/ دار الشروق، مصر ص46.

(3) نصوص في اللغة، ، بقلم مجموعة من الأساتذة، رئيس التحرير طراد الكبيسي، ط1 : 1987، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، بغداد. ص56.

(4) المنجد في اللغة والأعلام، ص415.

(5) عبقرية العربية، لطفي عبد البديع، ط1: 1997 مكتبة لبنان، ص47.

2- الأذن: : "الأذن من كل شيء مقبضه كأذن الدلو أو الكوز... وإنما سموه باسم العضو تهويلا"[1]

والأذن والأذن مؤنثة جمع آذان وتصغيرها أذينة عضو السماع[2]

ورد هذا العضو مرات عديدة في المدونة نذكر منها: "**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين**" البقرة 19

وقال أيضا: «**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص**» المائدة 45.

نزلت هذه الآية في اليهود ذلك أنه «مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه، فإن عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك عمدا وعنادا»[3]

وهذه الآية تشير إلى القصاص «وهو مبدأ المساواة... المساواة في الدماء والمساواة في العقوبة ولم تكن شريعة أخرى –غير شريعة ا - تعترف بالمساواة بين النفوس فتقتص للنفس بالنفس وتقتص للجوارح بمثلها على اختلاف المقامات والطبقات والأنساب والدماء والأجناس»[4]

كما استعمل هذا العضو في مرات عديدة ليدل على الضلال وعدم الانتفاع لمن يسمع آيات ا ولا يصغي إليها ويتدبرها فكانت هذه الحاسة بالنسبة له صما ووقرا، قال تعالى: «**وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا**» الأنعام 25.

وقال أيضا: «**ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها**»الأعراف 179.

فهؤلاء البشر (لم يفتحوا آذانهم ليسمعوا آيات ا المتلوة لقد عطلوا هذه الأجهزة التي وهبوها ولم يستخدموها لقد عاشوا غافلين لا يتدبرون)[5]

ومما قاله الكفار عن النبي –صلى ا عليه وسلم- قوله تعالى:« **ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم**» التوبة 61.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور ، المجلد الأول، ط1: 2000، دار صادر للطباعة والنشر، ص79

[2] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص06.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، المجلد الثاني، ط1: 1423هـ -2002م، ، دار ابن حزم بيروت لبنان، ص960

[4] في ظلال القرآن، م2، ج6، ص 945.

[5] المصدر السابق، م3، ج9، ص1401.

ومعنى الآية «قالوا عنه: إنه سماع لكل قول: يجوز عليه الكذب والخداع والبراعة، ولا يفطن إلى غش القول وزوره، من حاف له صدقه ومن دس عليه قولا قبله»[1].

من الدلالات التي يفيدها هذا العضو الدلالة على الغفلة فيقال: «جاءنا ناشرا أذنيه، أي: غافلا»[2]

3- **اليـــد:** الكف، قال أبو إسحاق: اليد من أطراف الأصابع الى الكف وهي أنثى وجمعها أيدٍ ويَدِي وقد جمعت الأيدي في الشعر على أيادٍ[3]

قال تعالى: «**فويل للPين يكتبون الكتاب بأيديهNJ! ثم يقولون IPlj من Yند ا ليشتروا به ثمنا قليلاً فويل لNJ! مما كتبت أيديNJ! وويل لNJ! مما يكتبون**» البقرة 39.

إن هذه الآية فيها تهديد ووعيد بالويل وهو واد في جهنم لكل من حاول أن يمس كلام ا بتحريق أو تزييف ثم يدعى أنه كلام ا .

ومما يدل على علم ا المطلق قوله –جل جلاله-:« **يعلم! ما بين أيديNJ! وما خلفNJ! ولا يحيطون بشيء من Yلمه إلا بما شاء**» البقرة 255.

إن ا يعلم ما بين أيدي الناس وما خلفهم «وهو تعبير عن العلم الشامل الكامل المستقصي لكل ما حولهم، فهو يشمل حاضرهم الذي بين أيديهم، ويشمل غيبهم الذي كان ومضى، والذي سيكون وهو عنهم محجوب»[4]

واليد عضو بارز سواء في التيمم أو الوضوء.

قال تعالى: « **فلم! تجدوا ماءً فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم! وأيديكم! إن ا كان Yفوا غفورا**» النساء43.

نزلت هذه الآية لتبين كيفية التيمم وطريقته:«إما ضربة واحدة بالكفين على الصعيد الطاهر، ثم نفضهما ثم مسح الوجه، ثم مسح اليدين إلى المرفقين بهما، وإما ضربتان: ضربة يمسح بها الوجه وضربة يمسح بها الذراعان»[5]

---

[1] المصدر السابق، م3، ج10، ص: 1671.
[2] المنجد في اللغة والاعلام، ص 06.
[3] انظر: لسان العرب، م15، ص 309.
[4] في ظلال القرآن ، م1، ج3، ص289.
[5] المصدر السابق، م2، ج5، ص669.

أما آية الوضوء قوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين**» المائدة06.

فالفرائض المنصوص عليها في هذه الآية: غسل الوجه، وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين.

ومن السياقات التي ورد فيها هذا العضو على سبيل المجاز قوله تعالى:« **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**» الإسراء29.

فالتعبير هنا يرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يدا مبسوطة كل البسط، كما بين نهاية الإسراف فيكون كالحسير وهو الدابة التي عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا. [1]

ومن الدلالات التي يشير إليها هذا العضو الدلالة على "الجماعة من الناس"[2]

وربما أشير باليد إلى الجماعة نظرا لكونها تضم الأصابع بعضها إلى بعض فيقال: «القوم عليه يد واحدة، فهم مجتمعون على عداوته وظلمه»[3]

كما تستعمل اليد للدلالة على القوة والقدرة والسلطان لأنها العضو الذي يدفع به الإنسان الضرر عن نفسه فيقال: "مالك عليه يد، أي: ولاية، ولا يدين لك بهذا، أي: لا قوة ولا طاقة"[4]. ومن الأمثال" يد ا مع الجماعة، فهي في حفظه ووقايته"[5]

وجرت اليد في الأمثال لتشير إلى الكرم والسخاء فيقال: «ندي اليد، رحب اليدين، خطل اليدين، بسط اليدين»[6]، كما أنها تشمل مجموعة من التعابير الدالة على الشح والبخل مثل »قصر اليد، مغلول اليد، مقفل اليدين، جعد اليدين، لا تبل إحدى يديه الأخرى»[7].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م3، ص1713، وفي ظلال القرآن، م4، ج15، ص2223.

(2) نصوص في اللغة، ص 56.

(3) المنجد في اللغة والاعلام، ص 924.

(4) المصدر السابق، ص924.

(5) المصدر السابق، ص924.

(6) التعبير الاصطلاحي الدراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وانماطه التركيبية، الدكتور كريم زكي حسام الدين، ط1: 1985م-1405هـ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص146

(7) المرجع السابق، ص146.

4- القلب: مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط، والجمع أقلب وقلوب، وقد يعبر بالقلب عن العقل، قال الفراء: وجائز في العربية أن تقول: مالك قلب، وما قلبك معكٰ وتقول: ما عقلك معك، وأين ذهب قلبكþ أي: أين ذهب عقلكþ[1].

والقلب: جمع قلوب، عضو صنوبري الشكل مودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو أهم أعضاء الحركة الدموية، وقيل: يسمى القلب قلبا لتقلبه[2]

ورد هذا العضو في العديد من الآيات سواء أقصد به القلب أم العقل منها قوله تعالى: «**ثـ! قست قلوبكـ! من بعد ÞÏÞ فهي كالحجارة أو أشد قسوة**» البقرة74.

حيث جعل ا «قلوبهم أجدب وأقسى من الحجارة لا تلين ولا تنبض بخشيته ولا تقوى قلوب جاسية مجدبة كافرة»[3]

وقوله أيضا: «**زاو ăÞÏ أنزل ÞليĶ الكتاب منه آيات محكمات زان أ! الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهـ! زيغ فيتبعون ما تشابه منه**» آل عمران07.

تبين هذه الآية موقف الناس واختلافهم حول هذا الكتاب الذي أنزل على محمد –صلى ا عليه وسلم- "فأما الذين في قلوبهم زيغ وانحراف وضلال عن سواء الفطرة فيتركون الأصول الدقيقة التي تقوم عليها العقيدة والشريعة والمنهاج العملي للحياة، ويجرون وراء المتشابه الذي يعول في تصديقه على الإيمان بصدق مصدره والتسليم بأنه هو الذي يعلم الحق كله، بينما الإدراك البشري نسبي محدود»[4].

ومما جاء في تبيان صفات –النبي- صلى ا عليه وسلم- ورقة قلبه قوله تعالى: «**فبما رحمة من اŶ لنت لهـ! ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولكþ**» آل عمران159 فالمعنى: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن ا جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم[5].

كما أثنى جل شأنه على عباده المؤمنين وبين حالهم حين يذكر اسم ا في مجلسهم فقال: «**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اŶ وجلت قلوبهـ!**» الأنفال02، بأن

---

[1] انظر: لسان العرب، م12، ص169.
[2] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص648.
[3] في ظلال القرآن، م1، ج1، ص80.
[4] المصدر السابق، م1، ج4، ص369.
[5] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص634.

المولى العظيم «الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر با في أمر أو النهيٍ فيغشاه جلاله وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة ا ومهابته إلى جانب تقصيره هو وذنبه فينبعث إلى العمل والطاعة»[1].

ومن الآيات التي ذكر فيها القلب ويجوز فيه معناه الحقيقي و معنى العقل قوله تعالى **«واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون»** الأنفال24. فا «يدعوهم الى عقيده تحيي القلوب والعقول وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة»[2] كما بين المولى –عز وجل- سابقا حال المؤمنين حين يذكر في مجلسهم ا وأثنى عليهم ذكر كذلك حال الذين لا يؤمنون وبين صفتهم فقال: **«فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون»** النحل22.

فقلوبهم "منكرة جاحدة لا تقر بما ترى من الآيات، وهم مستكبرون لا يريدون التسليم بالبراهين والاستسلام والرسول فالعلة أصيلة والداء كامن في الطباع والقلوب، فالقلب المستكبر لا يرجى له أنه يقتنع أو يسلم"[3].

وإن كان القلب هو ذلك المضغة الموجودة في الصدر المسؤولة عن تنشيط حركة الدم، فقد قسم أبو حامد الغزالي القلب الى معنيين فقال: "لفظ القلب، وهو يطلق المعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود، هو منبع الروح ومعدنه، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت، والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لهذا القلب الجسماني في تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب"[4].

لقد بين الغزالي: أن القسم الثاني هو الركيزة الأساسية لحياة الإنسان به يعرف ماله من حقوق وما عليه من واجبات.

ولقد بينا آنفا أن القلب يستعمل للدلالة على العقل وقد قال عنه النبي –صلى ا عليه وسلم- «أول ما خلق ا العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال

---

(1) في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1475.

(2) في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1494.

(3) المصدر السابق، م4، ج14، ص2167.

(4) احياء علوم الدين، ابو حامد الغزالي، ج8، ، ط2، 1987، دار الغد العربي، العباسية، القاهرة، ص06.

ا –عزوجل-: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب»[1].

كما بين النبي –صلى ا عليه وسلم- تفاوت العقول وهذا حسب ما روي أن عبد ا بن سلام –رضي ا عنه- سأل النبي –صلى ا عليه وسلم- في حديث طويل في آخره وصف العرش وأن الملائكة: قالت: "يا ربنا هل خلقت أعظم من العرش قال: نعم العقل، قالوا: ما بلغ من قدره قال: هيهات لا يحاط بعلمه، هل لكم بعدد الرمل قالوا: لا، قال ا -عزوجل- إني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطي حبة، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي الثلاث والأربع، ومنهم من أعطي فرقا، ومنهم من أعطي وسقا، ومنهم من أعطي أكثر من ذلك"[2].

ومما يفيده القلب هو اعتباره "سر كل شيء وأرفعه يقال: هو عربي قلب"[3] كما يدل على "الوسط واللب فقلب الجيش: وسطه"[4]، وقلب كل شيء: لبه ومحضه، يقال: "جئتك بهذا الأمر قلبا أي: محضا"[5].

وربما يشير قولنا: هو في قلب المعركة لا إلى الوسط ، وإنما للدلالة على أنه معرض للموت من كل الجهات، وهذا يدل على الشجاعة والفروسية باعتبار القلب هو المستهدف من الأعداء أثناء الحرب.

5- الظهر: الظهر من كل شيء: خلاق البطن، والظهر من الإنسان: من لدن مؤخر الكاهل الى أدنى العجز عند آخره والجمع أظهر وظهور وظهران، قال أبو الهيثم: الظهر ست فقرات والكاهل، والكبد ست فقرات، وهما بين الكتفين وفي الرقبة ست فقرات[6] ولقد ورد هذا العضو عدة مرات منها قوله تعالى: «**نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم**» البقرة101.

---

[1] المرجع السابق، ج1، ص142.
[2] احياء علوم الدين، ج1، ص151.
[3] نصوص في اللغة، ص59.
[4] المنجد في اللغة والاعلام، ص648.
[5] المصدر السابق، ص648.
[6] انظر: لسان العرب، م9، ص198.

تبين هذه الآية رد فعل المشركين إزاء كتاب الله وذلك بجعله وراء ظهورهم أي إهماله دونما تدارس ومعرفة ما فيه، والعمل به.

كما ذكر أن هذا العضو هو المسؤول عن الذرية والتكاثر قال تعالى: «**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**» الأعراف172.

ورد في تفسيرها: «أن الله تعالى يخبر أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه»[1]

علق السيد قطب فقال: "إنه لمشهد فريد مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود، تؤخذ في قبضة الخالق المربي فيسألها: ألست بربكم؟ فتعترف له –سبحانه- بالربوبية، وتقر له بالعبودية، وتشهد له بالوحدانية، وهي منثورة كالذر، مجموعة في قبضة الخالق العظيم»[2].

ومن الأعضاء التي يعاقب عليها الإنسان يوم القيامة نتيجة اكتناز صاحبها للأموال -الذهب والفضة- الظهر، مصداقا لقوله –جل جلاله-: «**يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**» التوبة35.

ها هي ذي الجباه تكوى لقد انتهت عملية الكي في الجباه، فليداروا على الجنوب، هاهي ذي الجنوب تكوى لقد انتهت هذه فليداروا على الظهور، هاهي ذي الظهور تكوى لقد انتهى هذا اللون من العذاب فليتبعه الترذيل والتأنيب، ألا إنه مشهد مفزع مروع يعرض في تفصيل وتطويل وأناة[3].

ومن حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: «ما من رجل لايؤدي زكاة ماله إلا جعل يوم القيامة صفائح من

(1) تفسير القرآن العظيم، م2، ص 1227.
(2) في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1392.
(3) انظر: المصدر السابق، م3، ج10، ص 1646.

نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين الناس ثم يرى سبيله إما الى الجنة وإما إلى النار»[1].

وهناك من علل سبب ذكر هذه الأعضاء دون سواها فقال: «فلوجاهتهم كان الكي بجباههم ولامتلاء جنوبهم بالطعام كووا عليها ولما لبسوه على ظهورهم كويت أو لأنهم إذا رأوا الفقير السائل زووا ما بين أعينهم وازوروا عنه وأعرضوا وكووا كشحا وولوه ظهورهم واستقبلوا جهة أخرى، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد، وقيل لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنبتاه فيكون ما ذكر كناية عن جميع البدن»[2]

ومن الدلالات التي يفيدها هذا العضو: النسيان فيقال: «لا تجعل حاجتي بظهر، أي لا تنسها ولا تجعلها وراء ظهرك»[3]. كما يقال: «قلب الأمر ظهرا لبطن، أي: أنعم تدبيره ويقال: «أعطاه عن ظهر يد أي: ابتداء بلا مكافأة»[4]

ولأن الظهر يدل على الخلف يقال: "قتله ظهرا أي: غيلة"[5]

كما يقال: "فلان من ولد الظهر: ليس منا"[6]

ولأن الظهر هو المسؤول عن الذرية يقال: "رجل خفيف الظهر: قليل العيال، وثقيل الظهر: كثير العيال"[7] .

6- العقـب: مؤخر القدم، فهو من العصب لا من العقب، وقال أبو حنيفة: العقب عقب المتنين من الشاة والبعير والناقة والبقرة[8]

قال تعالى: « **ﮋلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب ﮊ ﮋﮌ عقبيه**» البقرة143.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص: 1348.

(2) تفسير روح المعاني، الألوسي م11، ، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ص88.

(3) المنجد في اللغة والاعلام، ص: 482.

(4) المصدر السابق، ص482.

(5) المصدر السابق، ص482.

(6) التعبير الاصطلاحي، ص164.

(7) المرجع السابق، ص164.

(8) لسان العرب، م10، ص220.

نزلت هذه الآية عندما شرع ا أن القبلة قد تغيرت بعدما كانت وجهتها نحو بيت المقدس صارت نحو الكعبة الشريفة ليبين من يطيع ا ورسوله ويستقبل القبلة "وممن ينقلب على عقبيه أي: مرتدا عن دينه"[1]

ومما ورد في بيان حال الناس عند بلوغهم نبأ مقتل النبي-صلى ا عليه وسلم- في غزوة أحد قوله تعالى: «**وما محمد ۩لا رسول ۵د خلت من ۵بله الرسل ۩فإن مات ۩و ۵تل انقلبتم ĂlY ۩عقابكم! ومن ينقلب ĂlY عقبيه فلن يضر Ÿl شيئا وسيجزي الشاكرين**» آل عمران 144. نزلت هذه الآية في غزوة أحد حين نادى مناد أن محمدا قد قتل وكان لهذه الصيحة وقعها الشديد على المسلمين، فانقلب الكثيرون منهم عائدين إلى المدينة، مصعدين في الجبل منهزمين تاركين المعركة يائسين، لولا أن ثبت رسول ا -صلى ا عليه وسلم- في تلك القلة من الرجال وجعل ينادي المسلمين وهم منقلبون حتى فاءوا إليه، وثبت ا قلوبهم[2].

كما ورد العقب للدلالة على العودة للضلال والكفر فقال: «**يا ۩يها الذين ۩منوا ۩ن تطيعوا الذين كفروا يردوكم ĂlY ۩عقابكم! فتنقلبوا خاسرين**» آل عمران149.

وقوله ايضا: "**۵ل ۩ندعوا من دون Ÿl ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد ĂlY ۩عقابنا بعد ۩ذ زادانا Ÿl**" الأنعام 71.

من الدلالات التي يفيدها العقب العودة على الطريق التي جاء منها سريعا فيقال: «رجع على عقبيه، كما يقال: وطئ عقبه أي: مشى على أثره»[3].

وباعتبار العقب مؤخر القدم وبالتالي فإنه يستعمل للدلالة على آخر أي شيء فيقال: :سافر على عقب الشهر أي: في آخره: [4].

كما أن العقب: "ولد الإنسان يقال: عقب وأعقاب"[5].

---

[1] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص:331.
[2] انظر: في ظلال القرآن،
[3] المنجد في اللغة والاعلام، ص:518.
[4] المصدر السابق، ص:518.
[5] نصوص في اللغة، ص: 63

7- الوجه: المحيا والجمع وجوه[1]

والوجه: ما يبدو للناظر من البدن وفيه العينان والأنف والفم[2]

قال تعالى: **«ƽد نرز nj تقلب وللpǋǊ في السماء فلنولينp ƽبلة ترضازlji فول وللpǋǊ شǗر المسللد الحرا!»** البقرة 144. وقال أيضا: **«ومن حيث خرللت فول وللpǋǊ شǗر المسللد الحرا!»** البقرة149.

ولأن الوجه هو العضو الذي ترتسم عليه الملامح بأشكالها المختلفة، فقد ورد في سياقات متعددة تبين هيئة صاحبه يوم القيامة منها قوله-جل وعلا-:"**يو! تبيf وللوǀا وتسود وللاوǀا (106) فǖما الǷين اسودت وللاوزǋǊ! ǛكفرȠ! بعد ǖيمانكم! فǷوƽوا العǷاب بما كنت! تكفرون وǛما الǷين ابيضت وللاوزǋǊ! ففي رحمـة lǍ lji! فيǋǊ خالـدون (107)**" آل عمـران 106-107.

فالسواد في الوجه دال على الأعمال السيئة وما ينجم عنها من عقاب أما البياض فدال على النعيم الذي يلقاه أصحابه من ثواب وجنات.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: «**ولا يرزاق وللاوزǋǊ! ƽتر ولاǷلة**» يونس26

وقوله: **«كǖنما ǛƷشيت وللاوزǋǊ! ƽǗعا من الليل مظلما»** يونس 27.

فالمؤمنون لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر أي: نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم، والذين اجترحوا السيئات وجوههم مسودة عليها هوان وصغار[3]

ولقد سن ا ألوانا من العذاب لهذا الوجه يوم القيامة بالنسبة لأصحاب النار، قال-جل شأنه-« **سرابيلǋǊ! من ƽǗران وتƸشǍ وللاوزǋǊ! النار**» إبراهيم50، وقال أيضا: «**ونحشرزlji! يو! القيامة ǍǠǗ وللاوزǋǊ! Ǘميا وبكما وصما مǖواlji! ǋǊǊنǋ! كلما خبت زدناlji! سعيرا**» الاسراء97. وقال :«**وǖن يستƸيثوا يƸاثوا بماء كالمǋǊل يشوǍ الوللاوǀا بǖس الشراب وساءت مرتفقا**»الكهف29 ، وباعتبار الوجه هو الظاهر للعيان

---

[1] لسان العرب، م15، ص161.

[2] المنجد في اللغة والاعلام، ص889.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1428.

فمن دلالاته "الوجه السيد المنظور إليه، ووجه النهار أوله، قال تعالى: «آمنوا بالذي أنزل على الذين وجه النهار». وقال الشاعر[1] (الكامل)

من كان مسرورا بمقتل مالكا فليأت نسوتنا بوجه نهار

ووجه الشيء: أوله، ومنه وجه النهار، وجه البيت الحد الذي يكون فيه الباب[2] كما استعمل الوجه للدلالة على الشيء الظاهر عبر به كذلك عن الباطن فيقال: "فلان أحسن القوم وجها أي: أحسنهم حالا"[3].

كما يستعمل الوجه للدلالة على الجاه والسيادة فيقال: "رجل وجه، أي: ذو جاه وقدر"[4] ويقال: «فلان ذو وجهين»[5]، أي: متلون وهو تعبير يشير الى معاني النفاق والغدر.

8- البطن: البطن من الإنسان وسائر الحيوان، خلاف الظهر، مذكر، وحكى أبو عبيدة أن تأنيته لغة[6]

ورد هذا العضو في سياقات متعددة منها ما بينه- جل شأنه- في عاقبة الذين يكتمون ما أنزل ا من الكتاب لأجل منفعة فقال:«**ﭐن الﭑين يكتمون ما ﭢﭣ ﭤ من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ﭫولئك ما يأكلون في بطونهم ﭲلا النار**»البقرة 174 فكأنما هذا الذي يأكلونه من ثمن الكتمان والبهتان نار في بطونهم، وكأنما هم يأكلون النار وإنها الحقيقة حين يصيرون إلى النار في الآخرة، فإذا هي لهم لباس، وإذا هي لهم طعام[7]

كما ورد هذا العضو في سياق ذكر قصة أم مريم –عليها السلام- فقال: "**ﭐﮱ قالت امرﭔت ﭖمران رب ﭙﭚي نﭜرت ﭞﭟ مافي بطني محررا فتقبل مني ﭩﭪنت السميع العليم**" آل عمران 35 وامرأة عمران هي: حنة بنت فاقود: قال محمد بن اسحاق: وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوما طائرا يزق فرخه، فاشتهت الولد، فدعت ا –جل

(1) نصوص اللغة ، ص50.
(2) انظر: التعبير الاصطلاحي، ص266.
(3) المنجد في اللغة والأعلام، ص889.
(4) المصدر السابق، ص 889.
(5) التعبير الاصطلاحي، ص150.
(6) أنظر: لسان العرب، م2، ص104.
(7) أنظر: في ظلال القرآن، م1، ج1، ص158.

وعلا- أن يهبها ولدا، فاستجاب ا دعاءها، فواقعها زوجها فحملت منه، فلما تحققت الحمل نذرته أن يكون خالصا مفرغا للعبادة ولخدمة بيت االمقدس[1].

أقر المولى –عزوجل- حقيقة الإنسان الذي يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئا فمن ا عليه من فضله فمنحه العديد من النعم فقال:**«واΫ ϑخرϜكϢ من بρون ϢمϬاتكϢ لا تعلمون شيΌا وϟعل لكϢ السمع والأبصار والأفΌدΓ لعلكϢ تشكرون»**النحل78.

هو غيب قريب، لكنه موغل بعيد وأطوار الجنين قد يرها الناس، ولكنهم لا يعلمون كيف تتم لأن سرها هو سر الحياة، وكل مولود يولد، وكل عالم، وكل باحث ومخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا فيوهبه المولى ما يعينه في مواصلة حياته من نعم أولها الحواس.

كما ذكر البطن ولكنه هذه المرة لحشرة صغيرة تحمل في بطنها العلاج والشفاء من الأمراض والأسقام قال تعالى: **«ثϢ كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ΫلϠ يخرϦ من بρونϬا شراب مختلف ϟلوانه فيه شفاء للناس»** النحل 69.

وهذا الشراب الذي يخرج من بطنها: «ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلها منها، وهذا العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم.وباعتبار البطن من الأعضاء الداخلية، فمن دلالاته الإشارة الى الجوف. " فبطن الشيء: جوفه، ومنه بطن الأرض وبطن اليد: أي راحتها"[2]".

وبطن القوس إنسيه وهو الذي يلي الوتر"[3]"

كما يشار بالبطن الى الانحفاض فى الشيع فيقال بطن الأرض أى ما انخفض منها 0

9-الرأس: رأس كل شيء: أعلاه، والجمع في القلة أرؤس وآراس ورؤوس في الكثير[4] والرأس: " ما يلي الرقبة من أعلاه في الإنسان، ومن مقدمه في الحيوان"[5]

---

[1] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص555.
[2] التعبير الاصطلاحي ص 265.
[3] نصوص في اللغة، ص 59.
[4] أنظر: لسان العرب، م6. ص 59.
[5] المنجد في اللغة والاعلام، ص 242.

قال تعالى: "**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله**"البقرة 196. ذكر إن هذه الآية «نزلت في سنة ست، أي عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول ا –صلى ا عليه وسلم- وبين الوصول إلى البيت، وأنزل ا لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدي وكان سبعين بدنة وأن يتحللوا من إحرامهم، فعند ذلك أمرهم –عليه السلام- بأن يحلقوا رؤوسهم ويتحللوا فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج فحلق رأسه ففعل الناس»[1].

وفي بيان فرائض الوضوء قال تعالى: **«وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين»** المائدة6 ، من سياقات التعنيف التي مارسها موسى –بهارون- عليهما السلام- حين اشتد به الغضب عند سماعه نبأ اتخاذ قومه عجلا يعبد من دون ا قوله –جل جلاله-: «**وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه**» الأعراف 150.

وهذه الحركة: «تدل على شدة الانفعال، فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه، وهو لا يلقيها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه، وكذلك أخذه برأس أخيه يجره إليه، وأخوه هو هارون العبد الصالح الطيب»[2].

ومن المشاهد التي تجسد أهوال يوم القيامة، وحالة الناس فيها، قوله تعالى: **«مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء»** إبراهيم 43.

قال ابن عباس ومجاهد: "رافعي رؤوسهم، أبصارهم طائرة شاخصة يديمون النظر لايطرفون لحظة لكثرة ماهم فيه من الهول والفكرة والمخافة، لما يحل بهم -عياذا با العظيم من ذلك-[3].

إنه اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع، فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة، مأخوذة بالهول لا تطرف، ولا تتحرك ثم يرسم مشهدا للقوم في زحمة الهول مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء، ولا يلتفتون إلى شيء، رافعين رؤوسهم لا عن إرادة، ولكنها مشدودة، لا يملكون لها حركا[4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم م1، ص386.
(2) في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1374.
(3) تفسير القرآن العظيم م2، ص1594.
(4) أنظر: في ظلال القرآن، م4، ج13، ص2111.

هذا حالهم في اليوم الآخر، فكيف كان حال الطبقة المشركة في الحياة الدنيوية؟ قال تعالى: «**فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا**» الإسراء 51.

قال ابن عباس وقتادة: «يحركونها استهزاء»، وهذا الذي تفهمه العرب من لغاتها لأن الانغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى، أو من أعلى إلى أسفل»[1]

الرأس في كلام العرب الجماعة الضخمة، يقال: ما بنو فلان إلا رأس، وكان أبو عمر وبن العلاء يقول، لو اجتمع بنو فلان لكانوا رأسا وقال: عمروبن كلثوم[2] (الوافر)

برأس من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا

ووجه الشبه الجامع بين الرأس الدال على العضو والرأس الدال على الجماعة أن الأول يضم العديد من الأعضاء كالعينين والأنف والفم والأذنين بالإضافة الى الأعضاء الداخلية والشىء نفسه للجماعة فكلاهما يدل على الجمع.

وباعتبار الرأس أعلى شيء في الإنسان فيقال: «رأس الشيء: أعلاه، ومنه رأس الأمر: أوله، رأس المال: الأساس منه، ورأس القوم، رئيسهم»[3]

ومن الدلالات التي يفيدها هذا العضو الدلالة على الحيوان ذاته ويكثر هذا الاستعمال في المواشي فيقال: "أربعون رأسا من الغنم"[4]، كما يستعمل للشرف فنقول: "أنت على رأس أمرك"[5] ولأن الرأس هو الحامل للعقل يقال: "رميت منك في الرأس: بمعنى ساء رأيك في حتى لا تقدر أن تنظر إلي".[6]

10- الرحم: رحم الأنثى، وهي مؤنثة؛ قال ابن بري، شاهد تأنيث الرحم قولهم: رحم معقومة قال ابن سيده: الرحم والرحم: بيت منبت الولد، ووعاؤه في البطن[7].

---

(1) تفسير العظيم، م3، ص 1723.
(2) نصوص في اللغة، ص 48.
(3) التعبير الاصطلاحي، ص265.
(4) المنجد في اللغة والإعلام، ص242.
(5) المصدر السابق ص 242.
(6) المصدر السابق ص 242.
(7) أنظر: لسان العرب، م6، ص126.

ذكر هذا العضو في سياق الحديث عن المطلقة إذ لا يحل لها أن تخفي ما رزقها ا في بطنها، فقد يكون هذا المولود سببا في عودتها إلى عش الزوجية قال تعالى: **«ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق ا في أرحامهن إن كن يؤمن با واليوم الآخر»** البقرة 228.

فلا يحل لهن أن يكتمن ما خلق ا في أرحامهن من حمل أو من حيض، فشرط هذا الإيمان ألا يكتمن ما خلق ا في أرحامهن[1].

كما بين في آية أخرى أنه هو الذي يقر في الأرحام ويصور جميع الخلائق بصفات متنوعة ومتعددة فقال -جل وعلا-: **«هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم»** أل عمران 06.

كما يخبر تعالى عن تمام علمه حيث لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من جنس جميع الحيوانات فقال: **«وا يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار»** الرعد08.

قال البخاري: حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا معن، حدثنا مالك عن عبد ا بن دينار عن ابن عمران أن رسول ا –صلى ا عليه وسلم- قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا ا : لا يعلم ما في غد إلا ا ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا ا ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا ا ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا ا »[2]

ولكون هذا العضو هو مستودع الجنين ومنشأ الأجيال فمن دلالاته الدلالة على القرابة فيقال: "ذو رحم أي ذو قرابة"[3].

11- العيــن: حاسة البصر والرؤية، أنثى، تكون للإنسان وغيره من الحيوان، قال ابن السكيت: العين التي يبصر بها الناظر والجمع أعيان وأعين وأعينات، الأخيرة جمع الجمع، والكثير عيون[4].0 ورد هذا العضو في العديد من

---

[1] أنظر في ظلال القرآن، م1، ج2، ص246.

[2] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1541.

[3] المنجد في اللغة والاعلام، ص 253.

[4] أنظر: لسان العرب، م10، ص357.

المرات منها قوله تعالى: «**يرونǈ! مثليǈ! رǂ ǎ العين**» آل عمران17. وفي تصوير حالة فئة من الناس عند سماعهم آيات ا تتلى عليهم قال- جل شأنه-: «**وǃǐ سمعوا ما ǂنزǃ Ǎǁ الرسول ترǂ ǹǂيǈنǈ! تفيǂ من الدمع مما ǂرفوا من الحق**» المائدة83.

عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم، وهذا القول فيه نظرٌ لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة[1].

وسواء أكانت هذه الآية قد نزلت في النجاشي وقومه أم في غيرهم فإن هذا المشهد "يرسم لنا حال هذه الفئة من الناس الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا إنهم إذا سمعوا ما أنزل على الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيرا عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه، والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاء من التعبير إلا الدمع الغزير... ليؤدي ما لا يؤديه القول: وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق»[2].

وفي سياق ذكر قصة موسى مع السحرة قال -جل شأنه-: «**ǂال ǂلقوا فلما ǂلقوا سحروا ǂǂين الناس واسترǂǂبوǂǈ! وǂǂاءوا بسحر ǂظيǈ!**» الأعراف 116.

قال سفيان بن عيينةٌ حدثنا أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس «ألقو حبالا غلاظا وخشبا طوالا، قال، فأقبلت يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى»[3].

إنّ ا من علينا بالعديد من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ومن بينها الحواس، وهذه الأخيرة إذا وظفت في غير ما وضعت له عادت على صاحبها بالخزي وفقدت وظائفها التي سخرت لها مصداقا لقوله تعالى: «**ولقد ǂرǂنا لǂǂǈنǈ! كثيرا من الǂǂن والإنس لǈǈ! ǂلوب لا يفقǈون بǈǈ وǈǈ! ǂǂين لا يبصرون بǈǈ وǈǈ! ǂǐان لا يسمعون بǈǈ ǂولǂǂ كالأنعاǈ! بل ǈǈ! ǂضل ǂولǂǂ ǈǈ! الǂافلون**» الأعراف179.

فهم لم يفتحوا القلوب التي أعطوها ليفقهوا دلائل الإيمان والهدى حاضرة في الوجود وفي الرسالات تدركها القلوب المفتوحة والبصائر المكشوفة، وهم لم يفتحوا

---

[1] أنظر: تفسير القرآن العظيم م2، ص992.
[2] في ظلال القرآن، م2،ج3، ص962.
[3] تفسير القرآن العظيم، م2، 1196.

أعينهم ليبصروا آيات ا الكونية، ولم يفتحوا آذانهم يسمعوا آيات المتلوة لقد عطلوا هذه الأجهزة التي وهبوها ولم يستخدموها، لقد عاشوا غافلين لا يتدبرون، أولئك كالأنعام بل هم اضل[1].

ومن دلالات العين: "العين سحابة تنشأ من قبل القبلة"[2].

قال الحطيئة[3] (الطويل)

كأن دموعي سح واهية الكلى سقاها فرواها من العين مخلف

وقال الشماخ[4] (الطويل)

أربت عليها كل عين مطيرة سكوب إذا ما خيف منها انفياضها

ووجه الشبه بين العين الباصرة والعين السحابة، أن العين تذرف الدموع والسحابة تعطي المطر.

"والعين: الجاسوس"[5] باعتبار العين هي الحاسة المسؤولة عن النظر والترقب قال الشاعر[6] (المتقارب)

فإن الذي كنتم تحذرون أتتنا عيون به تضرب

وعين الشيء: نفسه، ومنه عين الماء، عين الشمس: شعاعها، أو عين الرجل: شاهده[7] ومن الدلالات التي تفيدها العين أن يراد بها الإنسان في مجموعة فيقال: «ما بالدار عين، أي: أحد»[8] كما يدل على الإكرام والحفظ فيقال: «أنت على عيني، كما تستعمل للدلالة على الشرف والفضل فيقال: أعيان القوم أي أشرافهم وأفاضلهم»[9].

12- اللســان: جارحة الكلام، وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ: قال ابن سيدة: واللسان المقول، يذكر ويؤنث والجمع: ألسنة[10]

---

(1) أنظر في ظلال القرآن، م3، ج9، 1401.

(2) نصوص في اللغة، ص51.

(3) المرجع السابق ص51.

(4) المرجع السابق ص 51.

(5) المنجد في اللغة والاعلام، ص541

(6) .نصوص في اللغة، ص51

(7) .أنظر التعبير الاصطلاحي، ص266.

(8) المنجد في اللغة والاعلام، ص541.

(9) المصدر السابق، ص541.

(10) أنظر: لسان العرب، م13، ص197.

من مواضع ورود هذا العضو قوله تعالى: «**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب**» آل عمران78.

كما ذكر هذا العضو في سياق لعنة داوود وعيسى –عليهما السلام- لكفار بني إسرائيل في قوله تعالى: «**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ĂlY لسان داوود وYيسى بن مريم**» المائدة78.

كما ذكر هذا العضو وأريد به اللغة في قوله تعالى: «**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**» إبراهيم04.

وهذه نعمة شاملة للبشر في كل رسالة فلكي يتمكن الرسول من إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، لم يكن بد من أن يرسل بلغتهم، ليبين لهم، وليفقهوا عنه، فتتم الغاية من الرسالة[1].

ومن سياقات الكذب الذي تصفه الألسنة وتحكيه، هذا حلال وهذا حرام افتراء على ا ، قوله تعالى: «**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا ĂlY ا Ŷl الكذب**» النحل116. فهذا حلال وهذا حرام حين تقولونها بلا نص هي الكذب عينه[2]

إن اللسان من أعظم النعم التي منحها ا للإنسان، فهو من وسائل التواصل بين الناس، كما له الفضل البالغ في عملية الأكل وتغذية الجسم، وهو الحد الفاصل بين العديد من الحالات لقول الغزالي: «إن اللسان من نعم ا العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير، جرمه عظيم طاعته وجرمه؛ إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان»[3].

ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجوا من شره إلا من قيده بلجام الشرع[4] لأنه مصدر العديد من المنكرات التي نهانا المولى عنها

---

[1] أنظر: في ظلال القرآن، م4، ج13، ص2087

[2] أنظر: المصدر السابق، م4، ج14، ص2200..

[3] إحياء علوم الدين، ج8، ص198.

[4] المرجع السابق، ج8، ص 198

لحفظ الأعراض واستتاب الأمن في أوساط المجتمع ومن بينها، القذف والغيبة والنميمة والسب والشتم...الخ.

يستعمل اللسان للدلالة على اثقان لغتين مختلفتين فيقال: "فلان ذو لسانين"[1]

كما يستعمل للدلالة –كما أسلفنا- على اللغة فيقال: لسان العرب، أي: لغتهم، ولسان القوم المتكلم عنهم.

"وهناك لسان الميزان، وكذلك لسان النار واللسان: الرسالة، قال أعشى باهلة"[2] (البسيط)

إني أتتني لسان لا أسر بها   من علو لا عجب فيها ولا سخر

واللسان صدر النعل ويقال: نعل ملسنة، قال كثير[3] (الطويل)

لهم أزر حمر الحواشي يطونها   بأقدامهم في الحضرمي الملسن

13- الفم: قال الليث: الفوه أصل بناء تأسيس الفم، قال أبو منصور: ومما يدلك على أن الأصل في فم وفو وفا هاء حذفت من آخرها قولهم للرجل الكثير الأكل: فيّه وإمرأة فيّهة، ورجل أفوه: عظيم الفم طويل الأسنان: قال ابن سيده: الفاه ولفيه والفم سواء، والجمع أفواه[4].

تكرر هذا العضو في سياقات مختلفة، منها ما بينه المولى في بغض الكفار وعدائهم للمسلمين إذ يقول: "**قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**" آل عمران118.

أو في بيان حال المنافقين قال- جل شأنه-: "**ومن الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**" المائدة. حيث أظهروا الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون[5] ومن مواقف إبراز رد فعل الكفار من الدين والرسل قوله تعالى: «**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**» التوبة32.

---

[1] المنجد في اللغة والاعلام، ص721.
[2] نصوص في اللغة، ص54.
[3] المرجع السابق، ص54
[4] أنظر لسان العرب، م11، ص244.
[5] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص955.

إذ يريد هؤلاء الكفار من المشركين، وأهل الكتاب أن يطفئوا نور ا من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة[1].

وحلقات الرسل تتوالى وردة فعل الناس نحوهم ثابتة لا تتغير بل تزداد عنادا وكفرا وفي هذا يقول تعالى: **«ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم»** إبراهيم09.

واختلاف المفسرون في معنى قوله: «فردوا أيديهم في أفواههم، فقيل: «معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت عنهم، لما دعوهم إلى ا - جل وعلا-، وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم، وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل»[2].

أما السيد قطب فوصف المشهد بقوله: «ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل من يريد تمويج الصوت ليسمع عن بعد، بتحريك كفه أمام فمه، وهو يرفع صوته ذهابا وإيابا فيتموج الصوت ويسمع وهذه الحركة تدل على جهرهم بالتكذيب والشك، وإفحاشهم في هذا الجهر، وإتيانهم بهذه الحركة الغليظة التي لا أدب فيها ولا ذوق إمعانا منهم في الجهر بالكفر»[3]

ومن دلالات هذا العضو قولهم: «سقط لفيه، أي: على وجهه»[4]

14- القـدم: الرِّجل، أنثى، والجمع أقدام، قال ابن السكيت: القدم والرجل: أنثيان وتصغيرهما قديمة ورجيلة ويجمعان: أرجلا وأقداما، قال الليث: القدم من لدن الرُّسغ ما يطأ عليه الإنسان[5]

ذكر هذا العضو مرات عديدة منها ما دخل ضمن الدعاء كما في قوله تعالى: **«وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين»** آل عمران 147.

[1] أنظر: المصدر السابق، م2، ص1344.
[2] المصدر السابق، م2، ص1571.
[3] في ظلال القرآن، م4،ج13، 2090.
[4] المنجد في اللغة والأعلام، ص 601.
[5] أنظر: لسان العرب م12، ص44.

كما ورد عند حديثه تعالى عن غزوة بدر وما تعرض له المسلمون من تعب وعطش فقال: "**ويناٰل Ɍليك! من السماء ماء ليƝرك! به ويȝاب Ɏنك! رƜل الشيƯان ويربƯ Ɏلى Ăلوبك! ويثبت به الأƼدا!**" الأنفال11.

قال علي بن طلحة عن ابن عباس قال: نزل النبي –صلى ا عليه وسلم- حين سار الى بدر والمشركون بينهم، وبين الماء رمله، وأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء ا تعالى، وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبين، فأمطر ا عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب ا عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم[1].

فالربط على القلوب بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء هو شجاعة الباطن أما تثبيت الأقدام فهو شجاعة الظاهر.

كما استعملت القدم مضافة إلى الصدق لتحمل دلالات الإنذار والتخويف لقوله تعالى: "**ƈكان للناس Ɏƛبا ƈن ƈوحينا Ăƛ رƜل منƞ! ƈن ƈنȜر الناس وبشر الȜين ƈمنوا ƈن لƞ! ƼدƢ! صدق Ɏند ربƞ!**" يونس02. فقدم صدق: قدم ثابتة راسخة، موقنة لا تتزعزع ولا تضطرب، ولا تتزلزل ولا تتردد في جو الإنذار وفي ظلام الخوف وفي ساعات الحرج... فهو يبشرهم هنا بالطمأنينة والثبات والاستقرار[2] كما استعملت القدم مثلا لمن كان على استقامة ثم حاد عنها قال تعالى: «**ولا تتخȜوا ƈيمانك! دخƜ بينك! فتƐل ƼدƢ! بعد ثبوتƞا وتȜƼوا السوء بما صددت! Ɏن سبيل Ŷ ولك! ɎȜاب Ɏظي!**» النحل94.

فقد حذر ا عباده من اتخاذ الأيمان خديعة ومكرا لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له وثوق بالدين فانصدƞ بسببه عن الدخول في الإسلام[3]

---

[1] أنظر: في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1484.
[2] أنظر المصدر السابق: م3، ج11، ص1760.
[3] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1651.

ولأن القدم أسفل عضو في الإنسان فمن دلالاتها قولهم: "جعل دماءهم تحت قدميه أي: أهدرها، كما يقال: إجعل ذلك تحت قدمك، أي: أعفُ عنه"[1]

كما يراد بها الشجاعة فيقال: «رجل قدم وامرأه قدم ورجال قدم ونساء قدم، ويقال: هو ذو قدم، أي شجاع»[2].

15- الجلـد: غشاء جسد الحيوان[3] ورد الجلد في بيان العقاب الذى ينتظرالكفار0

قال تعالى: **«إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما»** النساء56.

قال يحي بن زيد الحضرمي أنه بلغه في هذه الآية أنه: يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب[4] "ففي مقابل هذا السعير المتأجج، وفي مقابل الجلود الناضجة المشوية المعذبة، كلما نضجت بدلت ليعود الاحتراق من جديد، ويعود الألم من جديد"[5]. ومن دلالات الجلد الدلالة على العشيرة فيقال: «هم من جلدتنا وهم من أبناء جلدته أي من عشيرتنا في الأول ومن عشيرته في الثاني»[6].

16- الرقبـة: العنق أو مؤخره، جمع رقاب ورقبات ورقَب وأرقب[7]

استعمل هذا العضو لا للدلالة على هذا العضو وإنما للدلالة على الرق والعبيد، قال تعالى في شأن القتل الخطأ: «**فتحرير رقبة مؤمنة**»النساء92

كما ذكر هذا العضو عند تعداد الفئات التي تمنح لها الصدقات قال -جل شأنه-: «**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**» التوبة60.

أما الرقاب: روي عن الحسن البصري، ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن خبير والنخعي والزهري، وابن زيد: أنهم المكاتبون، وروي عن أبي موسى

---

[1] المنجد في اللغة والاعلام، ص614.
[2] المصدر السابق، ص 614.
[3] لسان العرب، م3، ص173.
[4] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص766.
[5] في ظلال القرآن، م2، ج5، ص684.
[6] المنجد في اللغة والاعلام، ص96
[7] المصدر السابق، ص 274.

الأشعري نحوه، وقال ابن عباس والحسن: لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومالك وإسحاق أي: إن الرقاب أعم من أن يعطي المكاتب أو يشتري رقبة فيعتقها[1]

وفي المسند عن البراء بن عازب قال: «جاء رجل فقال: يا رسول ا دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، فقال: «أعتق النسمة وفك الرقبة، فقال: يارسول ا : أوليسا واحدا قال: "لا عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»[2]

فالملاحظ أن هذا العضو يستعمل للدلالة على العبد المملوك تسمية للكل باشراف أجزائه كما هو بين في الآيتين السابقتين، كما يستعمل للدلالة على أوصاف قاسية فيقال: «هم غلاظ الرقاب، أي: أجلاف عتاة، كما يقال: ملك رقبة الطريق، أي: أرضها»[3]

ولأن الرقبة تمتاز بالطول يقال: «فلا تقطعت عليه الأعناق، أي: لم تلحق به لمكانته»[4]

17- الكعـب: جمع كعوب وكعاب وأكعب: كل مفصل للعظام والعظم الناشز فوق القدم[5] ورد هذا العضو مرة واحدة في الآية التي ذكرت فيها الفرائض في قوله تعالى: **«فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين»** المائدة06.

من الدلالات التي يفيدها الكعب الدلالة على الشرف والمجد فيقال: «أعلى ا كعبهم، أي: رفع شأنهم»[6] و«رجل عالي الكعب، أي: يوصف بالشرف والظفر، ونقيضها قولهم، ذهب كعبهم أي: ذهب شرفهم»[7]

والكعب كعب الرمح ما بين كل عقدتين، قال عنترة بن شداد[1] (الكامل)

---

[1] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص 1365.
[2] المصدر السابق، ص 1365.
[3] المنجد في اللغة والاعلام، ص274.
[4] التعبير الاصطلاحي، ص194.
[5] المنجد في اللغة والاعلام، ص 688.
[6] المنجد في اللغة والاعلام ، ص274.
[7] المصدر السابق، ص274.

فطعنت بالرمح الأصم كعوبه ليس الكريم على القنا بمحرم

18- الأنـف: المنخر، والجمع آناف وآناف وأنوف[2]

ورد هذا العضو في المدونة مرة واحدة عند حديثه تعالى عن القصاص للجوارح فقال: **«وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص »** المائدة45.

والأنف أنف الجبل ما بدا لك منه، قال عقيل بن علقة المري[3] (الطويل)

خذا أنف هرشى أوقفاها فإنه كلي جانبي هرشى لهن طريق

ومن الدلالات المستحدثة للأنف وهي وليدة الإسلام قوله –صلى ا عليه وسلم- "مات حتف أنفه" وذاك مجازا لأنه جعل الحتف لأنفه خاصا وهو في الحقيقة له عاما، لأن الميت على فراشه من غير أن يعجله القتل إنما يتنفس شيئا فشيئا حتى ينقضي ذماؤه وتفنى حوباؤه فخص –عليه الصلاة والسلام- الأنف بذلك، لأنه جهة لخروج النفس وحلول الموت، ولا يكاد يقال ذلك في سائر الميتات حتى لا تكون الميتة ذات مهلة وتكون النفس غير معجلة فلا يستعمل ذلك في الميتة بالغرق والهدم وجميع فجأة الموت، وإنما يستعمل في العلة المطاولة والميتة المماطلة[4] ومن التعابير التي يستعمل فيها الأنف للدلالة على معاني خشونة الجانب وسوء الخلق قولهم، شمخ أنفه، ورم بأنفه، خنف أنفه، جعل أنفه في قفاه، أما قولهم: رغم أنفه: فتشير الى معاني الذل والضعف[5]

ونخلص إلى أن أكثر ما يطلق عليه الأنف السيادة، وكان للأنف لذلك ما كان من عزة أو هوان حتى قيل للسيد الأنف.

19- العنـق: وصلة ما بين الرأس والجسد، يذكر ويؤنث والتذكير أغلب[6]

---

(1)نصوص في اللغة، ص63.

(2)أنظر: لسان العرب، م1، ص173.

(3)نصوص في اللغة، ص 52.

(4)التعبير الاصطلاحي، ص61.

(5) أنظر: المرجع السابق ص 148، 149.

(6)لسان العرب، م10، ص305

ذكر هذا العضو في سياقات متنوعة ومن بينها قوله تعالى: **«سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان»** الأنفال 12.

وكان هذا الأمر موجها للملائكة «ففعلوا ذلك بكيفية لا نعلمها، وهذا فرع عن طبيعة إدراكنا نحن لطبيعة الملائكة، ونحن لا نعلم منها إلا ما علمنا ا ».[1]

كما بين ا حال الكافرين وهم مقيدون في أغلالهم فقال: **«وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»** الرعد05.

إنما هو الكفر بربهم الذي خلقهم ودبر أمرهم، وإنما هي أغلال العقل والقلب فالجزاء هو الأغلال في الأعناق تنسيقا بين غل العقل وغل العنق[2]

والعنق: الجماعة من الناس يقال: أقبل عنق من الناس أي جماعة والجمع أعناق ويقال الأعناق الأشراف[3]

ويقال كذلك: «فلا تقطعت عليه الأعناق، أي: لم تلحق بمكانته»[4] ولكون عضو العنق يمتاز بالطول فمن الدلالات التي يفيدها الدلالة على السبق في الأمر، فيقال "له عنق في الخير أي: سابقة"[5]

وباعتبار الأغلال توضع في العنق فمن دلالاته قولهم، «هم عنق إليك، أي: ماثلون إليك يستمعون أو ينتظرون، ومن دلالاته كذلك الدلالة على القدم فيقال: كان ذلك على عنق الدهر، أي: قديما»[6]

20- الجبهة: الجبهة للإنسان وغيره: موضع السجود، وقيل: هي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية[7]

ذكر هذا العضو في بيان العقاب الذي يلقاه الناس الذين لا يخرجون زكاة أموالهم في الذهب والفضة، قال تعالى: **«يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم»** التوبة35.

---

[1].في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1486.
[2]أنظر: المصدر السابق، م3، ج13، ص 2047.
[3]أنظر: نصوص في اللغة، ص55.
[4]التعبير الاصطلاحي، ص194.
[5]المنجد في اللغة والاعلام، ص534.
[6] المصدر السابق، ص 534.
[7]أنظر: لسان العرب، م3، ص72.

والجبهة الجماعة من الناس، والجبهة الخيل، وفي الحديث: "ليس في الجبهة، ولا في النخة ولا في الكسعة صدقة"[1]

من دلالات هذا العضو الدلالة على المذلة فيقال: «لقيت منه جبهة، أي: مذلة لأن من استقبل بما يكره أصابته مذلة»[1]

كما كثر في مجتمعاتنا الدلالة بهذا العضو على الحظ فيقال: أنت وجبهتك، بدلا من القول: أنت وحظك.

21- الناصية: الناصية واحدة النواصي: قصاص الشعر في مقدم الرأس، وقال الأزهري، الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس[2]

ذكر هذا العضو في بيان عظمة ا وهو القاهر الذي بيده زمام الأمور فقال: **«ڤني ئتوكلت ĂĺŸ Ŷا ربي وربكا! ما من دابة ڤلا زاو ƤخǪ بناصيتݽاڤن ربي ĂĺŸ صراٽ مستقيا!»** هود56.

قال الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع بن عبد الكلاعي أنه قال: فيأخذ بنواصي عباده فيلقي المؤمن حتى يكون له أشفق من الوالد لولده، ويقال للكافر: "ماغرك بربك الكريم" الانفطار06[3]

باعتبار الناصية أعلى جزء في الانسان فإنها تستعمل للدلالة على العز والشرف أو للدلالة على المذلة حسب السياق الذي ترد فيه فيقال: "أذل فلان ناصية فلان، أي: أهانه وحط من قدره وشرفه، كما يقال: نواصي الناس، أي: أشرافهم"[4]

22- الƤـ ـن: جمع أذقان: مجتمع اللحيتين من أسفلهما[5]

ورد هذا العضو عند إبرازه تعالى لردة فعل طائفة من الناس عند ما تتلى عليهم آيات الرحمان فقال: **«ڤن الƤين ݽوتوا العا! من ڤبله ڤڤا يتلڤ ĂĺيݽŸ! يخرون لڤƤǓان**

---

(1)المنجد في اللغة والأعلام.ص79.

(2)أنظر:لسان العرب.م14.س276.

(3)أنظر: (3)تفسير القرآن العظيم، م2، ص1472.

(4) المنجد في اللغة والاعلام، ص 813.

(5)المنجد في اللغة والاعلام، ص 813.

سجدا» الإسراء107. وقال أيضا: **«ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا»** الإسراء 109.

إنه مشهد يلمس الوجدان، مشهد الذين أوتوا العلم من قبله، وهم يسمعون القرآن فيخشعون ويخرون للأذقان سجدا إنهم لا يتمالكون أنفسهم، فهم لايسجدون ولكن يخرون للأذقان سجدا[1] يستعمل هذا العضو للدلالة على المذلة والهوان وبه يضرب المثل: «مثقل استعان بذقنه، فهو يستعمل لمن استعان بأذل منه»[2]

واستعان بذقنه، بمعنى اعتمد على من هو أضعف منه وأذل منه مأخوذ من البعير الذي يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض فيعتمد بذقنه على الأرض[3].

---

[1]أنظر: في ظلال القرآن، م4، ج15، ص 2254.
[2]المنجد في اللغة والاعلام، ص 236.
[3]التعبير الاصطلاحي، ص118.

2 – الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالصفـات الخلقيـة

إن الأنساق المتعلقة بالصفات الخلقية تعج بها المدونة لذا حاولت قدر الإمكان أن ألم بأبرزها مع بيان دلالتها، وهذه الصفات قسمت إلى قسمين باعتبار الإنسان تتخلله صفات سلبية وأخرى إيجابية.

أ- **الصفات السلبية:** كثيرا ما تتخال الإنسان صفات وأحاسيس سلبية غير مرغوب فيها، نهانا المولى –عز وجل- عنها في آيه، وإن كانت هذه الصفات تدخل ضمن إطار واحد بأنها سلبية فإنها تتفاوت في الأثر والضرر، وهذه الصفات أساسها ومنشؤها سلطان الغضب، ووسوسة الشيطان اللعين، "وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور، والبذالة والبذح والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها، وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخنا وأمثالها"[1] وأبرزها:

1- **الخبيث:** ضد الطيب من الرزق والولد والناس والجمع خبثاء وخبائث وخبثة، والأنثى خبيثة، وخبث الرجل، فهو خبيث أي: خبة رديء، وأخبث فهو مخبث إذا صار ذا خبث وستر[2] .

---

[1] إحياء علوم الدين، ج8، ص20.

[2] أنظر: لسان العرب، م5، ص8.

علق بها باستعمال طريقة الانصهار فتطفو إلى السطح «والخبث ما كان في الذهب والحديد ونحوهما من الغش مما لا خير فيه»(1)

وإن كان الخبث في المعادن لا يزال إلا عن طريق الانصهار فإنه يزال في الإنسان بالحمى والمرض "ففي الحديث أن المؤمن إذا مرض خرج مثل البردة في صفائها ولونها، وفي حديث آخر: إن الحمى تنقي الذنوب كما ينقي الكير خبث الحديد"(2)

فالإنسان الطيب كالجوهر الصافي في نفاسته، أما ما يعلق به من شوائب وخبائث فهو باطل لا بد من إزاحته "إن الباطل كمثل الرغوة التي تعلو على وجه الماء، وخبث الجوهر الذي يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه، ومثل الحق كمثل الماء الصافي والجوهر الصافي، فكما أن الرغوة في كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترمى كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى والحق ثابت ينتفع به كالجوهر والماء الصافيين"(3)

كما وصف النبي –صلى ا عليه وسلم- روح الإنسان الذي توعده ا بالخلود في جهنم بالروح الخبيثة وفي هذا دلالة على بشاعة هذه الصفة "قال – عليه السلام- في قبض روح الكافر يخرج معها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول ا –صلى ا عليه وسلم- "لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"»(4)

فالمستفاد من هذا الحديث أن صفة الخبث في الإنسان تصاحبها علامات تظهر على صاحبها ولعل أبرزها السواد الذي يخيم على الوجه، فكما يغير الخبث المعادن فيحجب عنا لونها الأصلي كذلك الشأن لصفة الخبث في الإنسان، وإذا حاولنا إيجاد الرابط بينهما - خبث الإنسان وخبث المعادن- شد انتباهنا إلى المنشإ ألا وهو التراب،

(1) المنجد في اللغة والاعلام، ص167.
(2) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة بيروت، لبنان، ص255
(3) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ص 270.
(4) المرجع السابق، م2، ج2، ص74.

ونعود إلى الوراء وبالضبط إلى قصة خلق آدم –عليه السلام- عندما "بعث ا تعالى ملك الموت فأتى الأرض فاستعاذت با أن يأخذ منها شيئا، فقال ملك الموت، وإني أعوذ با أن أعصي له أمرا، فقبض قبضة من زواياها الأربع من أديمها الأعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم، ثم صعد بها ملك الموت إلى ا تعالى: فأمره أن يجعلها طينا ويخمرها بالماء المر والعذب حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم»[(1)]

2- **المكر:** المكر احتيال في خفية والمكر في كل حلال حرام، وقال أهل العلم بالتأويل: المكر من ا تعالى جزاء سمي باسم مكر المُجازي، وقال ابن سيده: المكر الخديعة والاحتيال، وأصل المكر الخداع. [(2)]

قال تعالى: **«وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون»** يونس21

يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم، كالرخاء بعد الشدة والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط ونحو ذلك "إذا لهم مكر في آياتنا" قال مجاهد: استهزاء وتكذيبا وفي الصحيح أن رسول ا –صلى ا عليه وسلم- صلى بهم الصبح على أثر مصر أصابهم من الليل ثم قال: "هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة" قالوا: ا ورسوله أعلم، قال: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل ا ورحمته، فذلك مؤمن به كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا،فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[(3)].

أما "مكر ا "، «فالمراد بأن يستدرجهم بالنعم أو الإثم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر»[(4)] ومن سياقات المكر كذلك قوله –جل جلاله- "**وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال»** إبراهيم46.

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، الثعلبي، شركة الشرملي، القاهرة، ص26.

(2) أنظر: لسان العرب، م14، ص110.

(3) أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1425.

(4) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص 88.

روي أن هذه الآية نزلت في قصة النمرود ملك كنعان: أنه رام أسباب السماء بهذه الحيلة والمكر حيث "أخذ نسرين صغيرين فرباهما حتى استغلظا واستعلجا وشبا، فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى التابوت، وجوعهما، وقعد هو ورجل آخر في التابوت، ووضع في التابوت عصا على رأسه اللحم فطارا، وجعل يقول لصاحبه انظر" ما ترى؟ قال: أرى كذا وكذا، حتى قال أرى الدنيا كلها كأنها ذباب فقال: صوب العصا فصوبها فهبطا"[1]

والشيء نفسه فعله بعده فرعون ملك القبط في بناء الصرح فعجز وضعف، وذكر مجاهد هذه القصة عن بختنصر، وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها نودي أيها الطاغية أين تريد ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح، فصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك"[2]

ومن السياقات التي ذكر فيها المكر، المؤامرة التي قام بها إخوة يوسف ضده – عليه السلام- قوله تعالى: **«وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون»** يوسف102.

ودائما مع قصة يوسف –عليه السلام- حيث يظهر مكر خاص هو مكر النساء قال تعالى: "**فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ**» يوسف31.

يتضح من خلال هذه السياقات أن المكر صفة دنيئة لا تتم إلا بعد تدبر وفكر، فالأصل في المكر "الفتل ومنه قيل جارية ممكورة أي ملتفة البدن، وإنما سميت الحيلة مكرا لأنها قبلت على خلاف الرشد"[3]

فاربما أحال المكر كصفة خلقية إلى الفتل لأنه يخطط له ويضبط لكي يقوى ويكون صداه وتأثيره أبعد.

غير بعيدين عن صفة المكر نجد في النص القرآني صفة شبيهة بالمكر حيث تتم في الخفاء وبتدبر لكن دلالتها أقوى وأشد هي الكيد.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1595.
[2] المصدر السابق، ص1595.
[3] الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5: 1403 هـ، 1983م، دار الآفاق الجديدة بيروت، ص 254.

3- **الكيد:** كاد يكيد كيدا: مكر به وخدعه، علمه الكيد: أراده بسوء، يقال: "فلان يكيد أمرا ما أدري ما هو، إذا كان يريغه ويسعى له ويختله...والكيد: المكر والخبث والكيد: والاحتيال والاجتهاد، وبه سميت الحرب كيدا[1]

ارتبط الكيد في المدونة- بصفة غالبة- مقترنا بالنساء، وبخاصة زمن يوسف –عليه السلام-. قال تعالى: «**فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم**» يوسف50.

كما عظم المولى -عز وجل- كيد النساء فقال: «**إن كيدكن عظيم**» يوسف28 أي "فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة، وإلا فالرجال أعظم في الحيل والمكائد، وإنما وصف كيد النساء بالعظم وكيد الشيطان بالضعف لأن كيد النساء أقوى بسبب أنهن حبائل الشيطان فكيدهن مقرون بكيد الشيطان فهما كيدان بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد، ولذا قال بعضهم: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن ا تعالى يقول: إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال في حق النساء: إن كيدكن عظيم»[2]

وقد علل أبو هلال العسكري أن الكيد أشد من المكر بقوله: «إن المكر مثل الكيد في أنه لا يكون إلا مع تدبر وفكر إلا أن الكيد أقوى من المكر، والشاهد أنه يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف فيقال: كاده يكيده، ومكر به»[3]

4- **البغـي:** التعدي، وبغى الرجل علينا بغيا: عدل عن الحق واستطال، قال الأزهري: البغي الكبر والبغي الظلم والفساد[4].

وردت صفة البغي في سياقات متنوعة ومتعددة منها قوله تعالى: «**ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصـادقون**» الأنعام146.

كما وردت في سياق ذكر قصة قوم فرعون وطغيانهم مع موسى ومن آمن معه. قال تعالى: «**فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين**»يونس90.

---

[1] أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص 705.

[2] حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص241.

[3] الفروق في اللغة، ص 254.

[4] أنظر: لسان العرب، م2، ص122.

كما حذر الله من البغي ونهى عنه فقال: **«إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون»** النحل90.

"والبغي الظلم وتجاوز الحق والعدل"[1].

ولعظم صفة البغي قال بعض العلماء: "أعجل العقوبة على المعاصي العقوبة على البغي، وفي الحديث: لو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لانتقم الله من الباغي وفيه أيضا الظلمة وأعوانهم كلاب النار"[2]

أما صفة البغي فهي دالة "على شدة الطلب بما ليس بحق بالتغليب وأصله في العربية شدة الطلب ومنه يقال: دفعنا بغي السماء خلفنا أي: شدة مطرها، وبغى الجرح يبغي إذا ترامى إلى فساد"[3].

5- **الغل:** الغِلّ بالكسر والغليل: الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد[4]

وردت هذه الصفة في سياقات عديدة منها قوله تعالى: **«ونزعنا ما في صدورهم من غل»** الأعراف 43.

فهذه الصفة السلبية التي تحمل وتقرن الحسد والبغضاء ينتزعها الله من قلوب أصحاب الجنة كما جاء "في صحيح البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخذري قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- "إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة"[5].

وقال السدي: إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو "الشراب الطهور"، واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم "نضرة النعيم" فلم يشعثوا ولم

---

[1] في ظلال القرآن، م4، ج14، ص 2191.
[2] حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص325.
[3] الفروق في اللغة، ص 227.
[4] أنظر: لسان العرب، م11، ص74.
[5] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1166.

يشحبوا بعدها أبدا[1]. ومما تضمن معنى هذه الآية قوله تعالى: **«ونـYRنا ما في صدورزا! من Ʒل ʼnخوانا ĂlY سرر متقابلين»** الحجر47.

روى ﷲ في تفسيره: حدثنا ابن فضاله، عن لقمان، عن أبي أمامة قال: لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع ا ما في صدره من غل، حتى ينزع منه مثل السبع الضارى[2].

وصفة الغل تدل وتحيل إلى الأغلال التي هي القيود وهي كصفة خلقية ذميمة إذا علقت بالقلب دلت على الحقد والحسد، أما إذا لزمت العنق دلت على البخل والشح، أما الرابط بين الغل لصفة والغل لقيد هو المشابهة "فلما كان الغل مانعا للمغلول من التصرف والتقلب كان الغل الذي على القلب مانعا من الإيمان فإن قيل فالغل المانع من الإيمان هو الذي في القلب فكيف ذكر الغل الذي في العنق، قيل لما كان عادة الغل أن يوضع في العنق ناسب ذكر محله والمراد به القلب"[3].

وقد سمى ا التكاليف الشاقة أغلالا في قوله: "ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم" فشبهها بالأغلال لشدتها وصعوبتها[4]

6- **الغيـظ:** الغضب، وقيل: الغيظ غضب كامن للعاجز، وقيل: هو أشد الغضب، وقيل: سورته وأوله، وغيظ فلان أغيظه غيظا، وقد غاظة فاغتاظ وغيظه فتغيظ وهو مغيظ[5]

ذكرت هذه الصفة في سياقات متعددة من بينها ما بينه المولى –عز وجل- في عقد مقارنة بين من خلالها نوايا كل من المسلمين والكفار اتجاه الطرف الآخر فقال: **«ijlłنتـ! ﺃولاء تحبونﻬﻢ! ولايحبونكـ! وتﺆمنون بالكتاب كله وȸﺇ لقوكـ! ﻗالوا ﺁمنا وȸﺇ خلوا Yضوا Yليكـ! الأنامل من الغيظ»** آل عمران119.

إنها صورة كاملة السمات، ناطقة بدخائل النفوس، وشواهد الملامح، تسجل المشاعر الباطنة والانفعالات الظاهرة، والحركة الذاهبة الآيبة وتسجل بذلك كله

---

[1] أنظر: المصدر السابق، م2، ص 1166.

[2] أنظر: المصدر السابق، م2، ص 1609.

[3] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص95.

[4] المرجع السابق، ص95.

[5] أنظر: لسان العرب، م11، ص109.

نموذجا بشريا مكرورا في كل زمان وفي كل مكان وتستعرضها اليوم وغدا ممن حول الجماعة المسلمة من أعداء، يتظاهرون للمسلمين. -في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم- بالمودة فتكذبهم كل خالجة وكل جارحة، وينخدع المسلمون بهم فيمنحونهم الود والثقة وهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والخبال ولا يقصرون في إعنات المسلمين ونثر الشوك في طريقهم والكيد لهم ما واتتهم الفرصة في ليل أو نهار[1]

ولما كان الغيظ نارا تحل في القلب تظهر آثاره على الجوارح دعانا المولى – عز وجل- إلى كظمه "وكظم الغيظ من أعظم العبادة: ورد من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه ا أمنا وإيمانا"[2]

قال تعالى: **«والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وا يحب المحسنين»** آل عمران 134.

إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه، وشواظ يلفح القلب، ودخان يغشى الضمير، فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب، فهو الانطلاق من ذلك الوقر والرفرفة في آفاق النور، والبرد في القلب والسلام في الضمير[3].

وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة مؤذن لعمر بن عبد العزيز –رضي ا عنه- عن مسلم بن يسار عن عائشة-رضي ا عنها-أن رسول ا - صلى ا عليه وسلم- كان إذا غضبت أخذ بأنفها، وقال: "ياعويش، قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن"[4]

ومن المظاهر الخارجية التي تشير إلى الغضب والغيظ "تربد وجهه، عقد ناصيته، قلب عينه، يعض على شفتيه، برد يديه إلى فيه، يعض على أنامله"[5]

أما ترتيب أحوال الغضب فهي "أول مراتبها السخط وهو خلاف الرضا، ثم الاخرنطام، وهو الغضب مع تكبر ورفع رأس، ثم البرطمة، وهي غضبة مع عبوس وانتفاخ ثم الغيظ وهو غضب كامن للعاجز عن التشفي ثم الحرد، وهو أن يغتاظ

---

[1]انظر: في ظلال القرآن، م1، ج4، ص452.
[2]حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م1، ج1، ص179
[3]أنظر: في ظلال القرآن، م1، ج4، ص475.
[4]أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1332.
[5]التعبير الاصطلاحي، ص185.

الإنسان فيتحرش بالذي غاظه ويهم به، ثم الحنق وهو شدة الاغتياظ مع الحقد، ثم الاختلاط وهو أشد الغضب، قال ابن السكيت: «أهمك الرجل وأزمك وأصماك إذا امتلأ غيظا"[1]

ويقال: أترع قلبه بالغضب، وأفعم صدره بالغيظ، وشحن جوفه بالحنق وطبعت أحشاؤه بالإحن"[2]

أما الفرق بين الغضب والغيظ "أن الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه ولا يجوز أن يغضب عليها وذلك أن الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه [3]

7-البغ f :البغض والبغضة: نقيض الحب[4]

وردت هذه الصفة في سياقات منها قوله تعالى: في بيان الكراهية التي يخفيها الكفار للمسلمين: **«ۃد بدت البڪضاء من ٲفواljjۡ! وما تخفي صدورزا! ٲكبر»** آل عمران118.. أي: قد لاح على صفحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ماهم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للٲسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل[5]

إن ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه "وأنت إذا أبغضت رجلا بغضا شديدا أو أبغضت كلامه ومجالسته نجد على عينيك غشاوة عند رؤيته ومخالطته فتلك أثر البغض والإعراض عنه وغلظت على الكفار عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول"[6]

كما أغرى المولى عزوجل –على النصارى العداوة والبغضاء نتيجة نقضهم لميثاقهم فقال: «**ومن الٱين ۊالوا ٳنا نصارnj ٲخٱنا ميثقلjj! فنسوا حظا مما ٱكروا به**

---

[1] معجم الثعالبي: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، دار النفيس، القبة الجزائر، ص82.

[2] معجم الألفاظ المعروف بجواهر الألفاظ، أبو الفرج قدامة بن جعفر، دار النفيس، القبة الجزائر، ص23.

[3] لسان العرب، م2، ص119.

(4) الفروق فى اللغة.ص123.

[5] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص606.

[6] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص96.

فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون» المائدة 14.

والعداوة والبغضاء، اسمان لمعنيين من جنس الكراهية الشديدة وهما ضدان للمحبة وفي ترتيب العداوة هناك "البغض، ثم القلى ثم الشنآن ثم الشنف ثم المقت ثم البغضة وهو أشد البغض، فأما الفرك فهو بغض المرأة زوجها وبغض الرجل امرأته لا غير "[1] . أما الفرق بين الكره والبغض "أنه قد اتسع بالبغض ما لم يتسع بالكراهية فقيل، ابغض زيدا أي ابغض إكرامه ونفعه، ولا يقال أكرهه بهذا المعنى، ومع هذا فإن الكراهة تستعمل فيما لا يستعمل فيه البغض، فيقال: أكره هذا الطعام، ولا يقال أبغضه"[2]

أما الفرق بين العداوة والبغضة «أن العداوة البعاد من حال النصرة ونقيضها الولاية وهي الهرب من حال النصرة، والبغضة ارادة الاستحقار والإهانة ونقيضها المحبة وهو إرادة الإعظام والإجلال»[3]

8- الفسق: فسق وفسق فسقًا وفسوقا: خرج عن طريق الحق والصواب، فجر فهو فاسق جمع فسقة وفساق وفاسقون[4]

ولقد تكررت هذه الكلمة في المدونة في العديد من المرات وبصيغها المختلفة ومن هذه السياقات قوله تعالى: «**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**» المائدة47.

والفاسقون: الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون الى الباطل، التاركون للحق[5].

وقال أيضا: «**قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون**» المائدة59.

والفاسقون: خارجون عن الطريق المستقيم[6]

---

[1] معجم الثعالبي: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، ص 81.
[2] الفروق في اللغة، ص 122.
[3] المرجع السابق، ص124.
[4] المنجد في اللغة والأعلام، ص583.
[5] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص965.
[6] أنظر: المصدر السابق، م2، ص976.

ومما ورد عن هذه الصفة وجاء بصيغة الفعل قوله تعالى: «**والܭين كܲبوا بܬياتنا يمسܮ! العܭاب بما كانوا يفسقون**» الأنعام 49.

ينال الذين كفروا بما جاءت به الرسل، وخرجوا عن أوامر ا وطاعته، وارتكبوا محارمه وانتهكوا حرماته العذاب ويتذوقون ألوانا من العقاب جراء تكذيبهم الرسل وإعراضهم عن الرسالة.

ومما ورد من هذه الصفة عن طريق المصدر قوله –جل جلاله-: "**ولا تܐكلوا مما لܒ! يܭكر اس! اܑ ܐليه وܐنه لفسق وܐن الشياܒين ليوحون ܐلܑ ܐوليائܬ! ليܒاܕلوك! وܐن ܐܒعتموܙا! ܐنك! لمشركون**" الأنعام121.

نهانا المولى –عزوجل- عن الأكل مما لم يذكر اسم ا عليه من الذبائح في حال كونه فسقا «ولا يكون فسقا حتى يكون قد أهل به لغير ا »[1]

أما دلالة الفسق في العربية هي "خروج مكروه، ومنه يقال للفأرة الفويسقة لأنها تخرج من جحرها للإفساد، وقيل، فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها لأن ذلك فساد لها ومنه يسمى الخروج من طاعة ا بكبيرة فسقا"[2]

وقيل: إن النبي –صلى ا عليه وسلم- هو الذي سمى الفأرة بالفويسقا انطلاقا مما حدث مع النبي إبراهيم – عليه السلام- حين أدخله قومه في النار المتأة "ولم يبق يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ، فلذاك أمر النبي –صلى ا عليه وسلم- بقتله وسماه فويسقا"[3]

وينضم الى دائرة الفواسق بالإضافة الى الفأرة مجموعة أخرى ذكرها النبي –صلى ا عليه وسلم- قال: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم، الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»[4] صحيح البخاري

وقد قيل في الغراب: "أفسق من غراب"[5]

---

[1] المصدر السابق، م2، ص1104.

[2] الفروق في اللغة، ص 225.

[3] قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، ص78.

[4] دلالة الألفاظ عند الأصوليين، محمود توفيق محمد سعد، ط1: 1407 هـ،1987م، الأمانة مصر ، ص96.

[5] التعبير الاصطلاحي، ص 246.

فهذه الدواب الذي جعلها تجتمع في زمرة الفواسق نظرا لما تخلفه من من مضار حيثما تواجدت فالأجدر لكي نحافظ على أمان المجتمع التخاص منها وبالتالي القضاء على فسادها، فدلالة الفسق تشير وتدخل ضمن هذا النطاق.

ب- الصفات الإيلاابية:

إن كان القسم الأول خصص للصفات السلبية والتي نهانا ا عنها وحذرنا منها، فإن هذا القسم خصص بذكر الصفات الايجابيه والتي ارتبطت في معظمها بالأنبياء – صلوات ا وسلامه عليهم- ونحاول- إن شاء ا تبيين هذه الصفات ودلالتها محاولين قدر الإمكان الإلمام بغالبيتها وهي:

1- الٌايب: في الصحاح: الطيب خلاف الخبيث، قال ابن بري: الأمر كما ذكر إلا أنه قد تتسع معانيه فيقال: أرض طيبة للتي تصلح للنبات، وريح طيبة إذا كانت لينة ليست شديدة، وطمعة طيبة إذا كانت حلالا، وامرأة طيبة –إذا كانت حصانا عفيفة[1]

"طيب مؤنثه طيبة جمع طيبات، وطوبى: ذو الطيبة: خلاف الخبيث، الحلال، يقال: كلمة طيبة" إذا لم يكن فيها مكروه ويقال: "بلدة طيبة" أي آمنه، كثيرة الخير»[2]

ذكرت هذه الصفة -كما مر بنا- مقترنة بصفة الخبث في قوله- جل وعلا-:

"ما كان ا Ŷ ليPر المDمنين ĂلY ما ًنتا! Yليه حتĂ يميR الخبيث من الٌايب" آل عمران179.

"ليميR ا Ŷ الخبيث من الٌايب ويللعل الخبيث بعضه ĂلY بع f فيركمه للاميعا" الأنفال37.

وجاء في تفسير الخبيث والطيب في هاتين الآيتين أقوال: «قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء، وقال السدى: يميز المؤمن من الكافر، وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة، ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين»[3]

---

[1] أنظر: لسان العرب، م9، ص168.
[2] المنجد في اللغة والاعلام، ص477.
[3] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1290.

إن المولى –عز وجل- يبتلي الناس ويختبر أيمانهم ليميز الخبيث المجتري على شرعه من الطيب المرافق ربه في سره وعلنه فيخافه بالغيب، "فلا أحسن مما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين في المخلوق من هذه المواد (المعادن) ثم أنه سبحانه يخلص ما في هذا المخلوق من تينيك المادتين من الخبث والشر، ويمحصه ويستخرج طيبه إلى دار الطيبين ويلقي خبثه حيث تلقى الخبائث والأوساخ، وهذا غاية الحكمة كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد فخلاصة هذه المواد وطيبها أقل من وسخها وخبثها"[1]

ولأن ا طيب لا يرضى إلا طيبا، علينا معاشر المسلمين أن ننقي أنفسنا خارجيا من كل دنس قد نتعرض له ويتأتى ذلك بوسيلة بسيطة قوامها الماء والصابون، وأصعب مرحلة وهي أن ننقي أنفسنا داخليا من كل صفة ذميمة ووسائلنا في ذلك التوبة والاستغفار والثقة با وبصفاء الإنسان داخليا ينعكس ذلك على كيانه الخارجي فيسمو بنفسه إلى مصاف الطيبين.

2- الأوّاه: رجل أوّاه كثير الحزن، وقيل هو الدعاء إلى الخير، وقيل الفقيه، وقيل المؤمن بلغة الحبشة وقيل الرحيم الرقيق، وفي التنزيل العزيز: «إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب» وقيل: الأوّاه هنا المتأوه شفقا وفرقا، وقيل المتضرع يقينا أي: إيقانا بالإجابة ولزوما للطاعة هذا قول الزجاج وقيل: الأواه: المسبح، وقيل: هو الكثير الثناء، ويقال: الأواه الدعاء، وروي عن النبي –صلى ا عليه وسلم- أنه قال "الأواه الدعاء" وقيل: الكثير البكاء، وفي الحديث: "اللهم اجعلني مخبتا أوّاها منيبا، الأواه: المتضرع[2]

أوّاه: "آه، أوْها وتأوه: شكا وتوجع، قال آه أوآها أو أوْهًا أو أوّهًا، الأوّاه، الكثير التأوه"[3] . ذكرت هذه الصفة الحميدة في موضعين خصت بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: «**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم**» التوبة114.

---

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدروالحكمة والتعليل، ص266.
[2] أنظر: لسان العرب، م1، ص201.
[3] المنجد في اللغة والاعلام، ص22.

"إن إبراهيم لحليم أواه منيب" هود 75.

قال سفيان الثورى وغير واحد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الأواه الدعاء ، وكذا روي من غير وجه عن ابن مسعود، وقال ابن جرير: حدثني المثنى: حدثنا الحجاج بن منهال حدثنا عبد الحميد بن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: بينما رسول الله –صلى الله عليه وسلم- جالس قال رجل يا رسول الله ما الأواه؟ قال "المتضرع" ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به، قال: المتضرع: الدعاء، وقال الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود عن الأواه، فقال: هو الرحيم، وبه قال مجاهد وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل والحسن البصري وقتادة، أنه الرحيم أي: بعباد الله ، وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال: الأواه: الموقن بلسان الحبشة وكذا قال العوفي، عن ابن عباس: أنه الموقن، وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس: الأواه: المؤمن زاد علي بن أبي طلحة عنه، المؤمن التواب، وعن أيوب"ا لأواه: الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها، وعن مجاهد: الأواه: الحفيظ الوجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا، قال ابن جريح عن ابن عباس قال: فقيه، قال الامام العلم أبو جعفر بن جرير: وأولى الأقوال قول من قال: إنه الدعاء، وهو المناسب للسياق، وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه وقد كان إبراهيم كثير الدعاء ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه[1].

«"أواه" يتأوه والتأوه رقة في القلب، وإن كان التأوه من أعلى يكون خوفا، ومن أقل يكون رحمة ورأفة»[2]

ولم يقتصر المفسرون على تفسير واحد لهذا اللفظ، وإنما تضاربت تفاسيرهم وهي لا تخرج في مجموعها عن ما أورده "ابن كثير" «فقيل هو الخاشع للتضرع، وقيل كثير الدعاء، وقيل للمؤمن التواب، وقيل: الرحيم بعباد الله ، وقيل الموقن، وقيل

(1) أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1402، 1403.
(2) قصص الأنبياء، الشعراوي، ص683.

للمسبح، وقيل للعام بالخير، وقيل الراجع عما يكرهه ا الخائف من النار»[1] وقيل "أواه" ترجع إلى الشفقة إما على النفس فتفيد الضراعة إلى ا والاستغفار، وإما على الناس فتفيد الرحمة بهم والدعاء لهم"[2]

3-حليم: في صفة ا عز وجل، معناه: الصبور، وقيل معناه: الذي لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء: مقدارا، فهو منته إليه، وقوله تعالى: «إنك لأنت الحليم الرشيد» قال الجوهري: جاء في التفسير أنه كناية عن أنهم قالوا: إنك لأنت السفيه الجاهل، وقيل إنهم قالوه على جهة الاستهزاء قال ابن عرفة: هذا من أشد سباب العرب أن يقول الرجل، لصاحبه إذا استجهله: ياحليم! أي أنت عند نفسك حليم وعند الناس سفيه[3]

حليم: حلم حلما، صفح وكان ذا حلم فهو حليم جمع حلماء وأحلام، مفرده: حليمة، الحلم، جمع احلام، ضد الطيش وقد يقابل به الجهل والسفه لقوله: «وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده، الصبر والأناة والسكون مع القدرة والقوة، يقال، "تأمرهم أحلامهم بكذا" أي عقولهم[4]

ذكرت هذه الصفة مقترنة بإبراهيم –عليه السلام- في الآيتين السالفتي الذكر في قوله: "**إن إبراهيم لأواه حليم**" التوبة 114، "**إن إبراهيم لحليم أواه منيب**" هود75 كما وردت هذه الصفة في موضع سخرية واستهزاء قوم شعيب من نبي ا –عليه أفضل سلام- في قوله تعالى: «**قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد**» هود87.

ومما ورد في تفسير "الحليم" صفة لإبراهيم –عليه السلام-:

"الحليم: الموصوف بالحلم وهو صفة تقتضي الصفح واحتمال الأذى"[5]

"والحليم الذي يحتمل أسباب الغضب فيصبر ويتأنى ولا يثور"[6]

---

(1) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص 171.
(2) التحرير والتنوير، ج11، ص 46.
(3) أنظر: لسان العرب، م4، ص 210.
(4) أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص150.
(5) التحرير والتنوير، ج12، ص123.
(6) في ظلال القرآن، م4، ج12، ص 1913.

حليم: معناه صفوح عن المسيء له، مقابل له باللطف والرفق وذلك كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له: لئن لم تنته لأرجمنك فأجابه إبراهيم بقوله: سلام عليك سأستغفر لك ربي[1] .

4-رءوف: الرأفة: الرحمة، وقيل: أشد الرحمة رأف به يرأف ورئف ورؤف رأفة ورآفة، وفي التنزيل العزيز: «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» قال الفراء: الرأفة والرآفة مثل: الكأبة والكآبة وقال الزجاج: أي لا ترحموهما فتسقطوا عنهما ما أمر الله به من الحد، ومن صفات الله عزوجل: الرؤوف وهو الرحيم لعباده: العطوف عليهم بألطافه، والرافة أخص من الرحمة وأرق، والرأفة ارق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة[2]

"رأف، رأفة ورؤوف رآفة، ورئف رأفا، فترأف به، رحمه أشد رحمة، فهو رؤوف ورؤف ورأف ورئف ورائف، راف واسترأف: استعطفه: حمله على الرأفة، تراءفوا، تراحموا»[3]

5-رحيم: رحمه: رحمة ومرحمة ورحما ورحما: رق له وشفق عليه وتعطف وغفر له، رحمه وترحم عليه، قال: "رحمه الله" تراحم القوم، رحم بعضهم بعضا: استرحم، استعطفه الرحم والرحمة والرحمى: رقة القلب وانعطاف يقتضي المغفرة والإحسان[4]

ولمكانة محمد –صلى الله عليه وسلم- عند ربه، فقد وصفه بصفتين من أسمائه الحسنى في قوله –جل وعلا-: **«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم»** التوبة128.

إن النبي –صلى الله عليه وسلم- إذا هو كلفكم للجهاد، وركوب الصعاب فما ذلك من هوان بكم عليه، ولابقسوة في قلبه وغلاظة، وإنما هي الرحمة في صورة من صورها، الرحمة بكم من الذل والهوان، والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة وحظ رضوان الله، والجنة التي وعد

---

(1) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص171.

(2) أنظر: لسان العرب، م6، ص60.

(3) المنجد في اللغة والاعلام، ص 243.

(4) أنظر المصدر السابق، ص 253.

المتقون[1]. عند حدوث ضر بالمرءوف به، والرحمة: رقة تقتضي الإحسان للمرحوم، بينهما عموم وخصوص مطلق ولذلك جمع بينهما هنا»[2]

وقيل: الرؤوف أخص من الرحيم، قال الحسن بن المفضل: لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا النبي –صلى الله عليه وسلم- فسماه رؤوفا رحيما[3]

6-منيب: ناب ينوب نوبا ومنابا ونيابا في الأمر عن زيد: قام فيه مقامه فهو نائب والأمر منوب فيه وزيد منوب عنه، رجع مرة بعد أخرى، يقال: "النحل تنوب إلى الخلايا" أي ترجع إليها مرة بعد أخرى، وإلى الله بمعنى تاب ولزم طاعة الله [4]

وردت هذه الصفة مقترنة كذلك بإبراهيم الخليل –عليه السلام- في قوله: **«إن إبراهيم لحليم أواه منيب»** هود74.

ومما ذكر في معنى هذه الصفة: "المنيب الذي يعود سريعا إلى ربه"[5]

"منيب أي عندما يعرف الحق يلجأ إليه ويلتزم به، والمنيب: الراجع يقال أناب إذا رجع وإبراهيم –صلى الله عليه وسلم- كان راجعا إلى الله تعالى في أموره كلها"[6]

"المنيب: من أناب إذا رجع، وهو مشتق من النوب وهو النزول، والمراد التوبة من التقصير أي محاسب نفسه على ما يجدر منه، وحقيقة الانابة: الرجوع إلى الشيء بعد مفارقته وتركه"[7] .

7-أواب: التائب، قال أبو بكر: في قولهم: رجل أواب، سبعة أقوال: قال قوم: الأواب الراحم: وقال قوم: الأواب، التائب وقال سعيد بن جبير: الأواب المسبح، وقال ابن المسيب: الأواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، وقال قتادة: الأواب المطيع، وقال عبيد بن عمير: الأواب الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر

---

(1) أنظر: في ظلال القرآن، م3، ج11، 43ص1820.

(2) التحرير والتنوير، ج11، ص73.

(3) أنظر: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص 179.

(4) أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص 844.

(5) في ظلال القرىن، م4، ج12، ص 1820.

(6) قصص الأنبياء، الشعراوي، ص683.

(7) التحرير والتنوير، ج12، ص 124.

ا منه، وقال أهل اللغة، الأوّاب: الرّجاع الذي يرجع إلى التوبة والطاعة من آب يؤوب إذا رجع[1]

"آب أوبا ومآبا فهو آئب، جمع أوّب وأيّاب وأوّاب من السفر، رجع، وآب إلى ا : تاب آوب مؤاوبة الركاب تباروا في السير: أوّب وأيّب عنه: رجع، تأوب وتأيّب وائتاب: رجع، الأوب والأوبة والإياب: الرجوع تقول: "مشى ذهابا وإيابا"، الأوّاب، التائب"[2]

بين المولى –عز وجل- أنه من تحلى بهذه الصفة فقد غفر له ذنوبه وخطاياه مصداقا لقوله تعالى: **«ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا»** الإسراء25. قال قتادة: للمطيعين أهل الصلاة، وعن بن عباس: المسبحين، وفي رواية عنه: المطيعين المحسنين، وقال بعضهم: هم الذين يصلون بين العشاءين، وقال بعضهم: هم الذين يصلون الضحى، وقال شعبة عن يحي بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: الذي يصيب الذنب ثم يتوب ويصيب الذنب ثم يتوب، وكذا رواه عبد الرزاق، عن الثوري، ومعمر عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب به وكذا قال عطاء بن يسار، وقال مجاهد، وسعيد بن جبير، هم الراجعون إلى الخير، وقال مجاهد عن عبيد بن عمير قال: هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر ا منها، ووافقه على ذلك مجاهد، وقال عبد الرزاق، أخبرنا محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير قال: كنا نعد الأوّاب الحفيظ، أن نقول: اللهم أغفرلي ما أصبت في مجلسي هذا، وقال ابن جرير، والأولى في ذلك قول من قال: هو التائب من الذنب، الراجع عن المعصية إلى الطاعة مما يكره ا إلى ما يحبه ويرضاه، وهو الذي قاله هو الصواب: لأن الأوّاب مشتق من الأوب وهو الرجوع يقال: آب فلان إذا رجع وفي الحديث الصحيح أن رسول ا -صلى ا عليه وسلم – كان إذا رجع من سفر قال: "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون[3]

---

[1] أنظر: لسان العرب، م1، ص 189.
[2] المنجد في اللغة والاعلام، ص20.
[3] أنظر تفسير القرىن العظيم، م3، ص 1711.

ولا تختلف التفاسير في المعنى الأوّاب بأنها الرجوع إلى ا بالتوبة حيث ورد في معناه: "الأوابون هم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين"[1] وزاد العلامة الصاوي بأن "الأوابين: الراجعين إلى طاعته، وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون منها وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة الأواب هو التواب"[2]

---

[1] في ظلال القرآن ، م4، ج15، ص 2222.

[2] حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص 347.

الأنساق الدلالية اللفظية المتعلقة بالحيوانات

لقد ذكر المولى –عزوجل- في كتابه العزيز العديد من الحيوانات والطيور والحشرات سواء أكانت دالة عن معناها الحقيقي أم دالة عن معاني أخرى فتم ذكر: البقرة والأنعام والإبل والغنم والماعز والبهائم والخيل والحمير... والغراب والطير والهدهد...والبعومة والقمل والنحلة...وأول ما ذكر من هذه الأصناف كان صنف الحشرات لذا سيكون أول عنصر يبدأ به .

أ- الحشرات:

1- **البعوضة:** البعوض: ضرب من الذباب معروف، الواحدة، بعوضة، قال الجوهري: هو البق[1] والبعوضة: جمع البعوض: حشرات مضرة من فصيلة البعوضيات ورتبة ذوات الجناحين تعيش صغارها في المستنقعات، وتنقل بلدغتها شتى الجراثيم[2]

وقد ذكر عن البعوض أنها "لانتاج لها، وإنما تنحل من عفن الماء ووسخه ونتنه"[3]. وردت هذه الحشرة في قوله- عزجلاله- **«إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها»** البقرة 26.

قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال: هذا مثل ضربه ا للدنيا: إذ البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت[4].

أخبر تعالى في هذه الآية أنه لايستصغر شيئا يضرب به مثلا ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة "فا رب الصغير والكبير، وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل إنها معجزة الحياة، معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا ا ... على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل إنما الأمثال أدوات

---

(1) انظر لسان العرب، م2، ص113.
(2) انظر المنجد في اللغة والاعلام، ص43.
(3) كتاب الامتناع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه، أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيرت، لبنان ج1، ص191.
(4) انظر تفسير القرآن العظيم، م1، ص159.

للتنوير والتبصير، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب، وما من شأنه الاستحياء من ذكره وا –جلت حكمته- يريد بها اختبار القلوب وامتحان النفوس»[1].

لقد اتخذت البعوضة في هذه الآية الدلالة على الصغر والخسة فالدلالة الأولى استمدتها من حجمها والثانية من المحيط الذي تولد وتحيا فيه "فإن ا لا يستحي أن يجعل مثلا شيئا موصوفا فكونه بعوضة فما فوقها وهذا تأكيد للخسة»[2].

والذي يزيد هذه الدلالة وضوحا ما ورد عن النبي –صلى ا عليه وسلم- عند ذكره للبعوض[3] أو لذكره ما يتصل بها كالجناح فكل المعاني المستفادة منها هي دلالة الصغر والحقارة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «إن العبد لينشر من الثناء ما بين المشرق والمغرب ولا يزن عند ا جناح بعوضة»، «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند ا جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا» رواه البخاري

«لو كانت الدنيا تعدل عند ا جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء» رواه ابن «الدنيا لا تعدل عند ا جناح بعوضة» رواه الديلمي.

2- الــــراد: معروف: الواحدة جرادة تقع على الذكر والأنثى.

قال الجوهري، وليس الجراد بذكر للجرادة، وإنما هو اسم للجنس كالبقر والبقرة والثمر والثمرة والحمام والحمامة وما أشبه ذلك فحق مذكره أن لا يكون مؤنثه من لفظه لئلايلتبس الواحد المذكر بالجمع قال أبو عبيد: قيل هو سيروة ثم دبى ثم غوغاء ثم خيفان ثم كتغان ثم جراد. وقيل: الجراد الذكر والجرادة الأنثى ومن كلامهم رأيت جرادا على جرادة... وجرد الجراد الأرض يجردها جردا: احتنك ما عليها من النبات فلم يبق منه شيئا، وقيل إنما سمي جرادا بذلك[4]

---

[1] في ظلال القرآن، م1، ج1، ص50.
[2] حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م1، ج1، ص17.
[3] انظر ذكر الطير والحيوان في اللغة والأمثال والأحاديث والقرآن د: أشرف صبحي محمد صابر ط1: 1423-2002، دار العلم والثقافة، ص81.
[4] انظر لسان العرب، م3، ص115.

«جرادة جمع جراد: دويبة من مستقيمات الأجنحة: أنواعها عديدة، تختلف باختلاف الشكل والحجم منها ما يكثر ويغزو المزروعات والأشجار بحيث لا يبقي على شيء»[1].

من جملة أنواع العقاب التي سلطها ا على قوم موسى –عليه السلام- هذه الحشرة الشرهة التي قضت على زرعهم وغذائهم مصداقا لقوله تعالى: **«فأرسلنا عليهم! الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم! آيات مفصلات»** الأعراف133.

بعد عقاب الطوفان أنبت ا لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ فقالوا: هذا ما كنا نتمنى! فأرسل ا عليهم الجراد فسلطه على الكلأ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع، فقالوا: ياموسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك، ونرسل معك بني اسرائيل! فدعا ربه، فكشف عنهم الجراد، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل[2]«والجراد: هو المعروف واحده جرادة سمي به لجرده على الرض، وهو جند من جنود ا تعالى يسلطه على من يشاء من عباده»[3]

فالجراد هنا دلّ على العقاب الذي لقاه بنو اسرائيل نتيجة عنادهم وكفرهم، وهو في حقيقته مأكول «لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفور قال: سألت عبد ا بن أبي أوفى عن الجراد فقال: غزونا مع رسول ا –صلى ا عليه وسلم- سبع غزوات نأكل الجراد، وروى الشافعي وأحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر عن النبي –صلىا عليه و سلم- قال: "أحلت لنا ميتتان ودمان: الحوت والجراد والكبد والطحال، وروى أبو داود عن محمد بن الفرج، عن محمد بن الزبرقان الأهوازي، عن سليمان التيمي عن أبي عثمان، عن سلمان قال: سئل رسول ا –صلى ا عليه وسلم- عن الجراد، فقال: أكثر جنود ا ، لا آكله ولا أحرمه" وإنما تركه عليه السلام لأنه كان يعافه كما عافت نفسه الشريفة أكل االضب وأذن فيه»[4].

---

(1) المنجد في اللغة والاعلام، ص86.
(2) أنظر: في ظلال القرآن، م2، ج9، ص1359
(3) روح المعاني، ج9، ص34.
(4) تفسير القرآن العظيم، م2، ص1199.

3- **القمـل**: صغار الذر والدبى، وقيل: هو الدبى الذي لا أجنحة له، وقيل: هو شيء صغير له جناح أحمر، وفي التهذيب: هو شيء أصغر من الطير له جناح أحمر أكدر، وقال ابن الانباري عن عكرمة القمل: الجنادب وهي الصغار من الجراد واحدتها قملة، ابن السكيت: القمل شيء، يقع في الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي غضة قبل أن تخرج فيطول الزرع ولا سنبل فيه.

قال الأزهري: وها هو الصحيح" وقال أبو سيده: القمل عند العرب الحمنان" وقال ابن خالويه: القمل جراد صغار يعني الدبى، وقال ابو حنيفة: القمل شيء يشبه الحلم وهو لا يأكل أكل الجراد ولكن يمتص الحب إذا وقع فيه الدقيق وهو رطب فتذهب قوته وخيره وهو خبيث الرائحة وفيه مشابهة من الحلم، وقيل القمل: دواب صغال من جنس القردان إلا أنها أصغر منها، واحدتها القملة تركب البعير عند الهزال، وقيل القمل قمل الناس وليس بشيء، واحدتها قملة(1).

والنوع الثاني من الحشرات التي سلطها ا كعقاب بني اسرائيل نتيجة تماديهم في طغيانهم وعودتهم إلى الكفر رغم نزول الدلائل والبنيات، القمل التي ذكرت عند الحديث عن الجراد في قوله -جل وعلا-: "**فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات**" الأعراف133.

عن ابن عباس: القمل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وعنه أنه الدبى- وهو الجراد الصغير الذي لا أجنحة له – وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة، وعن الحسن وسعيد بن جبير: "القمل: دواب سود صغار، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القمل: البراغيث، وقال ابن جرير: القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكلها الإبل(2).

وذكر أن القمل: "هو الدبى وهو الصغار من الجراد ولا يسمى جرادا إلا بعد نبات أجنحته، وروى ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة والسدى، وقيل هو: القردان جمع القراد المعروف، وقيل: صغار الذر، وعن حبيب بن أبي ثابت أنها الجعلان،

(1) أنظر: لسان العرب، م12، ص193.
(2) أنظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1201.

وعن ابن زيد قال: زعم بعض الناس أنها البراغيث، وعن سعيد بن جبيرأنها السوس وهي الدابة التي تكون في الحنطة وغيرها"[1].

فمهما كان معنى هذه الحشرة فإنّ دلالتها ارتبطت بالعقاب الذي سلط على قوم موسى –عليه السلام- نتيجة خداعهم نبيهم وكفرهم به وتهوين عاقبة ما ينتظرهم، ونجم عن هذه الحشرة أن كان "الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يرد منها ثلاثة أقفزة"[2].

4- النحـل: الواحدة نحلة: جنس حشرات مجنحة يعيش في مستعمرات واسعة تتألف هذه المستعمرات من الملكة أو اليعسوزب، وهي وحدها منجبة ، ومن العاملات وهي كثيرة غير منجبة لسعته مؤلمة يمتص الزهر لغذائه ويعطي العسل، قيل سميت بذلك لأن ا نحل الناس العسل الذي يخرج منها[3].

إن المولى –عزوجل- خص هذه الحشرة الصغيرة بسورة تحمل اسمها وهي سورة النحل ورد فيها قوله: **«وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون»** النحل68.

والنحل دابة ضعيفة من العجائب البديعة و الأمور الغربية تدل على وحدانية الصانع وقدرته وعظمته "تعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، فهو لون من الوحي تعمل بمقتضاه وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفى" [4].

ولقد خص ا هذه الحشرة بمواصفات ترقى بها، ولا نجد منها إلا نفعا –عدا اللسع فيما اعتقد- "والنحل من ألطف الحيوان وأنقاه ولذلك لا تلقي زبلها إلا حين تطير، وتكره النتن والروائح الخبيثة وأبكارها وفراخها أحرس وأشد اجتهادا من الكبار وأقل لسعا وأجود عسلا ولسعها إذا لسعت أقل ضررا من لسع الكبار، ولما كانت النحل من أنفع الحيوان وأبركه قد خصت من وحي الرب- تعالى- وهدايته بما لم يشركها

---

[1] روح المعاني، ج9، ص34.

[2] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1201.

[3] أنظر المنجد في اللغة والاعلام، ص795.

[4] في ظلال القرآن، م4، ج14، ص2181.

فيه غيرها وكأن الخارج من بطونها مادة الشفاء من الأسقام والنور الذي يضيء في الظلام بمنزلة الهداة من الأنام كان أكثر الحيوان أعداء وكان أعداؤها من أقل الحيوان منفعة وبركة وهذه سنة ا في خلقه وهو العزيز الحكيم"[1].

إن هذه المخلوقة الصغيرة رغم حجمها لم ترتبط بدلالات الحقارة والخسة وإنما ارتبطت بدلالة النشاط والمثابرة في العمل وبالمنفعة كيف لا وهي التي يخرج من بطنها شراب فيه شفاء. ولقد ألهم ا تعالى لها من الفطنة وهداها إليه من الحكمة في اجتماعها وانتظامها وتآلفها والتئامها في بناء بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدس دون غيره من مثلث أو مربع أو مستدير ويعود ذلك الى: [2]

- الفائدة الأولى: مناسبة الشكل المسدس لشكلها وموافقة لوضعها لقربه من الاستدارة ولما فيه من الاستطالة.
- الفائدة الثانية: إن الشكل المسدس لا يبقى فيه داخل البيوت زوايا فارغة ولا فرج ضائقة
- الفائدة الثالثة: إن الشكل المسدس لا تبقى فيه خارج البيوت فرج ضائعة لانضمام بيوته بعضها الى بعض.
- الفائدة الرابعة: ما في الشكل المسدس من الانفساح الذي يقرب به من المستدير، ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الانفساح من المستدير ثم تتراص الجملة بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا الشكل المسدس وحده.

وتبقى هذه الحشرة دالة عن النفع والطيب لارتباطها بالعسل، إذ نجد المصطفى يثني –في أحاديث عديدة- على المؤمن ووصفه بالنحلة انطلاقا من دلالاتها النفعية، فقال - عليه الصلاة والسلام-[3]: روى الإمام أحمد وابن أبي شبيه والطبرني أن النبي –صلى ا عليه وسلم- قال "المؤمن كالنحلة تأكل طيبا وتضع طيبا وقعت فلم تكسر ولم تفسد".

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة التعليل، ابن القيم الجوزية، الباب الرابع عشر، ص68.

(2) انظر: كتاب الـيل مطلع اليمن ولاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال، تأليف: عبد ا بن محمد جري الكلبي الغرناطي حققه وقدم له: محمد العربي الـطابي، ص189. دار الغرب الاسلامي، بيروتتلبنان، 1406-1986.

(3) انظر: ذكر الطير والحيوان في اللغة والأمثال والأحاديث والقرآن، ص292-293.

وعن مجاهد قال: صاحبت عمر –رضي ا عنه- من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول ا –صلى ا عليه وسلم- إلا هذا الحديث: «إن مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك، وكل شأنه منافع، وكذا النحلة كل شأنها نافع".

أ- **الطيـــور**:

1- **الغـــراب**: الطائر الأسود، والجمع أغربة وأغرب وغربان وغُرُب وغرابين: جمع الجمع[1] الغراب: طائر أسود يشتاءمون به، من فصيلة الغرابيات ورتبة الجواثم له جناحان عريضان ومنقار طويل وقوي يتغذى على الأخص بالحيوانات الصغيرة مثل: الجرذان والفئران والزواحف، منه أنواع: الغراب الأسود والأبقع والزاغ، يضرب به المثل في السواد والبعد والبكور والحذر[2].

ذكر هذا الطائر في قصة ابني آدم عندما قتل قابيل هابيل فلم يدر قابيل ما يفعل بجثة أخيه. قال تعالى: **«فبعث Ŷا ƺرابا يبحث في الأر f ليريه كيƹ يوارǎ سوءƔ أخيه ƽا ل يا ويلتي أعƜƦت أن أكون مثل ǉǀƴ الغƺراب فƘوارǌ سوءƔ أخي فƘصبƞ من النادمين»** المائدة31.

قال السدي: لما مات الغلام تركه بالعراء، ولا يعلم كيف يدفن فبعث ا غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثى عليه، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: جاء غراب إلى غراب ميت، فبحث عليه من التراب حتى واره، وقال الضحاك عن ابن عباس: مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة حتى بعث ا الغرابين فرآهما يبحثان[3].

والظاهر أن القاتل لم يكن قد رأى من قبل ميتا يدفن –وإلا لفعل- وقد يكون ذلك لأن هذا كان أول ميت في الأرض من أبناء آدم، كما أن دفن الغراب لأخيه الغراب قد يكون من عادات الغربان كما يقول بعض الناس، وقد يكون حدثا خارقا أجزاه ا [4].

---

(1) انظر: لسان العرب، م11، ص26.
(2) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص537.
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص938.
(4) انظر: في ظلال القرآن، م2، ج6، ص877.

لقد خص المولى –عزوجل- الغراب دون سائر الطيور والحيوانات الأخرى لأن يكون معلما للأنسان واعظا له، وربما يعود ذلك إلى خصوصيات تميز بها ارتبطت بالحيلة وبلونه الأسود، ومن الدلالات التي ارتبط بها "أنه طائر أسود محترف، قبيح الشمائل، ردئ الشيمة، ليس من بهائم الطير المحمودة، ولا من سباعها الشريفة، وهو يعد طائر يتكدر به، ويتطير منه، آكل الجيف ردئ الصيد"[(1)].

إن الغراب ارتبط عند العرب بدلالة التشاؤم "لذا اشتقوا من اسمه الغربة، والاغتراب والغريب، ومن معتقد اتهم أنه إذا صاح ثلاث مرات فهو خير، وإن صاح مرتين فهو شر، وقيل إنهم سموه بالأعور تطيرا منه وتشاؤما"[(2)].

ودلالة التشاؤم التي ارتبطت بالغراب لم يختص بها العرب فقط، وإنما تعدت بعض البقاع الأخرى، وإن اختلفت خصوصياتهم اتجاهه "فالعامة تتطير من الغراب إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنى تفاءلت به، واليوم عند أهل الري وأهل مرو يتفاءل به، وأهل البصرة يتطيرون منه، والعربي يتطير من الخلاف، والفارسي يتفاءل إليه، لأن اسمه بالفارسية "باذامك" أي: يبقى، وبالعربية: خلاف، والخلاف غير الوفاق"[(3)].

ومما ورد في الأثر "ما رواه الإمام أحمد في الزهر عن ابن عباس –رضي ا تعالى عنهما- أنه كان إذا نعب الغراب، قال: اللهم لا طير ولاخير إلا خيرك ولا إله غيرك"[(4)].

ومما ورد من قصص تعلقت بالتشاؤم ومصدرها الغراب قصة كثير عزة إذ «خرج كثير عزة إلى مصر يريد عزة، فلقيه أعرابي من نهد فقال: يا أبا صخر أين تريد؟ فقال: أريد عزة بمصر، قال: فهل رأيت في وجهك شيئا، قال: لا، إلا أني رأيت غرابا

---

(1) الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحرين محبوب الملقب بالجاحظ، م1، ج3، ص500، شرح وتحقيق الدكتور: يحي الشامي، مكتبة الهلال، ط3: 1997.
(2) ذكر الطير والحيوان في اللغة والأمثال والأحاديث والقرآن، ص213.
(3) تهذيب الحيوان للجاحظ، عبد السلام محمد هارون: ص106، ط2: 1403-1983، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض.
(4) ذكر الطير والحيوان في اللغة والأمثال والأحاديث والقرآن، ص217.

ساقطا فوق بانة ينتف ريشه، فقال له: توافي مصر وقد ماتت عزة، فانتهره ثم مضى فوافى مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة فقال»[1]: (الطويل)

فما أعيف اللهدي لا در دره وأن جره للطير لا عز ناصره

رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره

فأمر غراب فاغتراب ووحشة وبان فبين من حبيب تعاشره

ومن الكلمات التي لزمت الغراب لتنقل الدلالة نفسها: غراب البين "إذا أرادوا به الشؤم، أما غراب البين نفسه، فإنه غراب صغير، وإنما قيل لكل غراب غراب البين، لسقوطها في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها"[2].

ومن الأمثال التي جرى فيها لفظ الغراب[3] قولنا: كلفي شيب الغراب وهي إذا كلفك ما لا تقدر عليه واستمد هذا المثل من لون الغراب وهو الأسود، كما يقال: أذهى من غراب، وأفسق من غراب، وأشأم من غراب، وأبصر من غراب، وأحذر من غراب.

ومن الروايات التي شاعت في أحاديث العرب مجسدة غدر الغراب "أن الديك كان نديما للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمار، ولم يعطيا شيئا، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب، ورهن الديك فخاس به، فبقي محبوسا وإن نوحا –صلى ا عليه وسلم- حين بقي في اللجة أياما بعث الغراب فوقع على جيفة، ولم يرجع ثم بعث الحمامة لتنظر هل ترى في الرض موضعا يكون للسفينة مرفأ، واستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها فرشاها بذلك قال أمية بن أبي الصلت»[4] (الوافر)

بآية قام ينطق كل شيء وخان أمانة الديك الغرابا

2- **السلـوى**: الواحدة "سلواة" طائر يعرف بالسماني[5]

كان هذا الطائر من ضمن الخيرات التي وهبها المولى –عزوجل- إلى قوم موسى –عليه السلام- فجحدوا فضل ربهم عليهم مصداقا لقوله تعالى: **«وظللنا عليكم الغمام**

---

(1) كتاب عيون الأخبار، أبو محمد عبد ا بن مسلم بن قتيبة الدينوري، م1، ج2، ص148. إعادة طبعة دار الكتاب العربي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، 1343-1925م.

(2) الحيوان، الجاحظ، م1، ج3، ص507.

(3) انظر: التفسير الاصطلاحي، ص53-246.

(4) الحيوان، م1، ج2، ص341.

(5) المنجد في اللغة والاعلام، ص348.

وَنزلنا Yليك! المن والسلوǌ كلوا من Ʊيبات ماRزقناك! وماظلمونا ولكن كانوا نفسƘ! يظلمون»البقرة57.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: السلوى طائر شبيه بالسماني، كانوا يأكلون منه، وعن عكرمة: أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور، أو نحو ذلك، وقال قتادة: السلوى من طير إلى الحمرة، تحشرها عليهم الريح الجنوب، وقال وهب بن منبه: السلوى: طير سمين مثل الحمام"[1] من مجموع ما سخر ا لهم «السلوى وهو طائر السماني، يجدونه بوفرة قريب المنال، وبهذا توافر لهم الطعام الجيد والمقام المريح»[2].

وذكر هذا الطائر في مقام آخر ليفيد الدلالة نفسها -وهي توفير الغذاء الكامل- لقوم موسى –عليه السلام- في قوله تعالى: **«وَوحينا Ǻلǉ موسǉ Ɔǚ استسقاƋ قومه5 نǚ اضرب بعصاƃ الحƜر فانبƜست منه اثنتا Yشرƈ Yينا 5د Yل! كل نناس مشربƘ! وظللنا Yليƌ! الƺما! وَنزلنا Yليƌ! المن والسلوǌ**»الأعراف160.

وقيل "السلوى اللحم سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الأدام، فلا يقوم غيره مقامه، ولذلك قال –صلى ا عليه وسلم- "سيد الآدام اللحم" فاللحم والحلاوة من الطيبات"[3].

ب- الحيوانات:

1 **- العƜـل**: ولد البقرة، والجمع عجلة، وهو العجّول والأنثى عِجْلة وعِجّولة، وبقرة مُعْجِل ذات عجل، قال أبو خيرة هو عجل تضعه أمّه الى شهر، ثم برغز وبُرْغُزٌ نحوا من شهرين ونصف، ثم هو الفرقد والجمع العجاجيل[4].

إن السياقات التي سوف نوردها والتي ذكر فيها هذا الحيوان هي ما ارتبط بقصة قوم موسى –عليه السلام- لأن هذا الحيوان اكتسى طابعا دلاليا معينا، قال تعالى:

«وǚƆ واYدنا موسǉ ǈربعين ليلة ثƋ! اتخƋǇت! العƜل من بعدƋ وǈنت! ظالمون»البقرة51.

---

[1] أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص1423.

[2] في ظلال القرآن، م1، ج1، ص72.

[3] احياء علوم الدين، ج4، ص87.

[4] انظر: لسان العرب، م10، ص48.

«**ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون**» البقرة92.

«**وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين**» البقرة93.

«**ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا**» النساء153

«**واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار**» الأعراف 148.

إن الآية الأخيرة تبين لنا أن لفظة العجل التي تكررت فيما سبقها من آيات لم تدل على الحيوان المعروف الذي بث فيه المولى الحياة "وإنما هو عجل من الذهب لا حياة فيه كما تفيد كلمة جسد"(1).

عمد رجل يقال له هارون السامري، فأخذ ما كانوا استعاروه من الحلي، وصاغ منه عجلا وألقي فيه قبضة من التراب، كان أخذها من أثر فرس جبريل، حين رآه يوم أغرق ا فرعون على يديه فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي، ويقال إنه استحال عجلا جسدا، أي لحما ودما حيا يخور قاله قتاده وغيره، وقيل: بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه، فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون، رغم أن هذا الحيوان لا يتكلم، ولا يرد جوابا، ولا يملك ضرا ولا نفعا، ولا يهدي الرشد اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم، عالمون في أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل والضلال(2).

حزن نبي ا –موسى- عليه السلام- لما آل إليه قومه –بعد إيمانهم- فأقبل عليه السلام- على السامري "قال فما خطبك ياسامري" أي ما حملك على ما صنعت "قال بصرت بما لم يبصروا به" أي رأيت جبرائيل وهو راكب فرسا "فقبضت قبضة من أثر الرسول" أي من أثر فرس جبريل، وقد ذكر بعضهم أنه رآه وكلما وطئت فرسه بحوافرها على موضع اخضر وأعشب فأخذ من أثر حافرها فلما ألقاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمره ما كان"(3).

(1) في ظلال القرآن، م13، ج9، ص1373.

(2) أنظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ص322، ط1: 1422-2002، دار السلام، القاهرة، مصر.

(3) المرجع السابق، ص324.

فما كان منه-عليه السلام- إلا أن عمد إلى هذا العجل وأحرقه "قيل: بالنار كما قاله قتاده وقيل: بالمبارد كما قاله علي وابن عباس وغيرهما ثم ذراه في البحر، وأمر بنى اسرائيل فشربوا، فمن كان على ما عابديه علق على شفاههم من ذلك الرماد ما يدل عليه، وقيل: بل اصفرت ألوانهم"[1].

ما يستفاد من هذه القصة أن العجل أخذ طابعا وثينا بحيث اتخذه قوم موسى إلها أخلصوا له الولاء والعبادة فدلالة العجل ارتبطت بالعقيدة بحيث اتخذوه إلها من غير ا لا ينفع ولا يخضع شبيها بالأصنام وخير ما يوضح هذه الدلالة سؤال مفاده: لم اختار السامري العجلþ والإجابة هي: «لأن بن إسرائيل كانوا خارجين من مصر، وكان المصريون القدماء يعبدون العجل لميزات فيه، فالمصريون القدماء عبدوا الأشياء التي كانوا يرون فيها خيرا وقوةٴ فعبدوا الشمس، وعبدوا النيل، لأن الشمس قوة تبقى لهم مظاهر الحياة على الأرض، والنيل قوة تغمر لهم الأرض بالخير، ويخرج منها الزرع، ويأتي لها بالخصوبة، والعجل قوة يجر المحراث ويلقح البقرة، فتأتي لهم بالخير من عجول تعينهم في الحياة وزراعة الأرض، وأبقار تعطيهم اللبن والخير»[2].

2- القـــرد: جمع أقراد وأقرد وقرود وقرد وقردة وقردة، والأنثى قردة: حيوان خبيث يضحك ويطرب سريع الفهم والتعلم ويعرف عند العامة بالسعدان، والعامة تستعمل القرد بمعنى الشيطان فنقول: "فلان كالقرد" وفي الاستنكار "ياقرد"[3].

إن ما يلاحظ في المدونة أن هذا الحيوان لم يرتبط إلا للدلالة على القبح والخيبة كيف لا وهو من الحيوانات التي مسخ ا بها اليهود حين عتوا وتمادوا في طغيانهم وكفرهم.

قال تعالى: **"فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين"** البقرة65.

مسخهم ا إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وقال العوفي في

---

[1] قصص الأنبياء، ابن كثير، ص324.
[2] قصص النبياء، محمد الشعراوة .دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، م4 ، ص1968.
[3] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص619.

تفسيره عن ابن عباس: جعل ا منهم القردة والخنازير، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة، والمشيخة صاروا خنازير، وقال شيبان النحوي عن قتادة فصار القوم قرودا تعاوى لها أذناب بعدما كانوا رجالا ونساء[1].

لقد حولوا جزاء النكول عن عهدهم مع ا والنكوص عن مقام الإنسان ذي الإرادة فانتكسوا بهذا إلى عالم الحيوان والبهيمة، الحيوان الذي لا إرادة له، والبهيمة التي لا ترتفع على دعوى البطون! انتكسوا لمجرد تخليهم عن الخصيصة الأولى التي تجعل من الإنسان إنسانا خصيصة الإرادة المستعلية المستمسكة بعهد ا [2]. ولم يمسخ اليهود قردة فقط بل مسخوا كذلك خنازير، قال -جل جلاله-: **«وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل»** المائدة60.

إنهم هم الذين لعنهم ا ، وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير، إنهم هم الذين عبدوا الطاغوت "وقد قال سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد ا ، عن المعرور بن سويد عن ابن مسعود قال: سئل رسول ا –صلى ا عليه وسلم- عن القردة والخنازير: أهي مما مسخ ا تعالى؟ فقال: "إن ا لم يهلك قوما، أو قال: لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عقبا، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك"[3].

إن الدلالة التي اكتساها هذا الحيوان تنطلق من دلالة المسخ في حد ذاتها فقد ذكر المولى –عزوجل- حيوانات عديدة إلا أنه لم يسمح أحدا بها، وإنما مسخهم قردة وخنازير وذلك للقبح والتشويه ونذالة النفس "فإن القرد سمج الوجه، قبيح كل شيء، وكفاك به أنه للمثل مضروب، ولكنه في وجه آخر مليح فملحه يعترض على قبحه فيما زجه ويصلح منه، والخنزير أقبح منه؛ لأنه ضرب مصمت بهيم، فصار أسمج ببعيد"[4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص216.
(2) أنظر: في ظلال القرآن، م1، ج1، ص77.
(3) تفسير القرآن العظيم، م2، ص976.
(4) تهذيب الحيوان للجاحظ، ص122.

ومما شاع في اعتقاده قديما في القرد "في الأوساط الشعبية في تونس وفي كثير من البلدان العربية الأخرى بأن القرد كان في الماضي شخصا من البشر فتوضأ ذات يوم بالحليب فمسخه الله وصيره قردا عقابا له على ارتكابه لهذا الأمر"[1].

الذي يستشف من خلال هذه الحكاية الخرافية كذلك هو ربط مسخ الإنسان بالقرد نتيجة الإثم وارتكاب المعصية رغم بطلان هذا الزعم القائل بأن القرد تطور عن الإنسان.

ولم يكن اليهود آخر أمة تمسخ قردة وهذا ما نبه إليه المصطفى –عليه الصلاة والسلام- إذ "روى الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "في آخر الزمان تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قردا لأنه لا يؤمن بالقدر"[2].

وبصفة عامة مما ذكر عن القرد أنه "أهيأ الحيوان لقبول التعليم، وهو لعوب غضوب سريع الحس لا يكون في بلد كثير السباع، عدو لجميع الحيوان، مليح الإهاب، نهوش خطوف، إلا أنه، إذا شبع نام في غاره ثلاثة ايام، فإذا خرج صاح بصوت عال تخرج منه رائحة طيبة فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته"[3].

3- **الخنزير**: من الوحش العادي، وقال كراع: هو من الخزر في العين لأن ذلك لازم له خَنِزَ اللحم والتمر والجوز بالكسر، خنوزا ويخنز خَنَزًا، فهو خَنِزٌ وخَانِزٌ: كلاهما فسد وأنتن وفي الحديث، لولا بنو إسرائيل ما أنتن اللحم، ولا خنز الطعام، كانوا يرفعون طعامهم لغدهم أي ماأنتن وتغيرت ريحه والخناز: اليهود الذين أدخروا اللحم حتى خنز[4].

ارتأيت في هذا المقام أن أقدم الخنزير على البقرة رغم أنها وردت في المدونة أسبق منه لاشتراكه مع القرد في ميزة معينة وهي كون المولى –عز وجل- مسخ اليهود قردة وخنازير حتى لا أعود إليها مرة أخرى، مصداقا لقوله تعالى **: "قل هل**

---

[1] دراسات في الأساطير والمعتقدات العينة، صالح بن حمادي ، دار أبو سلامة، تونس، ص11 .

[2] ذكر الطير والحيوان في اللغة والأمثال والأحاديث والقرآن، ص256.

[3] كتاب الامتناع والمؤانسة، ج1، ص180.

[4] انظر: لسان العرب، م5، ص166-167.

ﺄﻧﺒﺌﻜﻢ! بشر من pلp مثوبة Yند Ŷl من لعنه Ŷl و3ضب Yليه وللعل منهم! القردY والخنازير وYبد الUطا3وت ﺃوﻟﺌﻚ شر مكانا وﺃضل Yن سواء السبيل" المائدة60.

كما ذكر هذا الحيوان في سياقات أخرى يحرم ا فيها لحمه فقال:

"ﺇنما حر! Yليكم! الميتة والد! ولح! الخنزير وما ﺃهل به لغير Ŷl فمن اضطر 3ير باغ ولا Yاد فلا ﺇثم! Yليه ﺇن Ŷl 3فور رحيم!" البقرة173.

«قل لا ﺃجد في ما ﺃوحي ﺇلي محرما Yلى! طاعم يطعمه ﺇلا ﺃن يكون ميتة ﺃو دما مسفوحا ﺃو لحم! خنزير فإنه رجس ﺃو فسقا ﺃهل لغير Ŷl به» الأنعام145.

حرم ا عليهم لحم الخنزير سواء ذكي أو مات حتف أنفه، ويدخل شحمه في حكم لحمه إما تغليبا أو أن اللحم يشمل ذلك[1].

إن ا –جلت قدرته- لم يحرم هذه الأشياء إلا ليعلي من مكانة وقدر الإنسان فهي كلها منفرة تشمئز منها النفس السليمة وتعافها هذا من جهة، وللأضرار التي تعود على آكلها من جهة أخرى نظرا للجراثيم التي تترسب فيها "فأما الخنزير فيجادل فيه الآن قوم... والخنزير بذاته منفر للطبع النظيف القويم، ومع هذا فقد حرمه ا منذ ذلك الأمد الطويل ليكشف علم الناس منذ قليل أن في لحمه ودمه وأمعائه دودة شديدة الخطورة (الدودة الشريطية) وبويضاتها المتكسة، ويقول الآن قوم: إن وسائل الطهو الحديثة قد تقدمت فلم تعد هذه الديدان وبوضاتها مصدر خطر لأن إبادتها مضمونة بالحرارة العالية التي توفرها وسائل الطهو الحديثة...وينسى هؤلاء الناس أن علمهم قد احتاج إلى قرون طويلة ليكشف آفة واحدة، فمن ذا الذي يجزم بأن ليس هناك آفات أخرى في لحم الخنزير لم يكشف بعد عنها"[2].

نعود مرة أخرى إلى دلالة المسخ التي اقترن بها هذا الحيوان فنخلص منها بايجاد دلالة ليست بعيدة عما قلناه آنفا عن القرد، ولربما كان الخنزير في شكله، وبعض خصاله وأعماله أشد قذارة وأكثر إثارة للنفور منه والاشتمئزاز «فلولا أن في الخنزير معنى متقدما سوى المسخ، وسوى ما فيه من قبح المنظر، وسماجة التمثيل،

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص349.
[2] في ظلال القرآن، م1، ج2، ص156.

وقبح الصوت، وأكل القذرة مع الخلاف الشديد واللواطة المفرطة والأخلاق السمجة ما ليس في القرد الذي شركه في المسخ»[1].

فلو أن القبح والإفلاس والغدر والكذب تجسدت ثم تصورت، لما زادت على قبح الخنزير، وكل ذلك بعض الأسباب التي مسخ لها الإنسان خنزيرا [2].

4 - البقرة: البقر: اسم جنس، البقرة من الأهلي والوحشي يكون للمذكر والمؤنث، ويقع على الذكر والأنثى والجمع بقرات، قال ابن سيده: والجمع بقر وجمع البقر أبقر[3].

إن البقرة التي خصها ا بالذكر وشرفها بحيث سميت أطول سورة في القرآن الكريم باسمها هي بقرة بني إسرائيل التي ابتلاهم المولى بها زمن موسى –عليه السلام- قال تعالى: «**وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**» البقرة67.

«**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون**» البقرة 68.

«**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين**» البقرة69.

«**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون**» البقرة 70.

«**قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون**» البقرة71.

كانت هذه الآيات هي النقاش والمحاورة التي جمعت موسى –عليه السلام- وقومه الذين شددوا عليه وبالغوا في أسئلتهم التي لم تكن تغني عنهم شيئا، فشدد ا عليهم «ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة، وكل ما ينطق عليه الاسم لأجزاهم ذلك»[4].

---

(1) الحيوان، م2، ص19.
(2) تهذيب الحيوان للجاحظ، ص122.
(3) انظر: لسان العرب، م2، ص123.
(4) احياء علوم الدين ، ط2، دار الغد العربي العباسية، القاهرة، ج5، ص63.

وتعود أحداث هذه القصة إلى أنه كان رجل من بني إسرائيل عقيما لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا، وركب بعضهم إلى بعض فقال ذوو الرأي منهم والنهى علام يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول ا فيكمþ فأتوا موسى –عليه السلام- فذكروا له ذلك، فقال ما كان في الآيات السابقة فشددوا عليه فشدد عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال، وا لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا فأخذوها بملء جلدها ذهبا فذبحوها، فضربوه ببعضها فقام، فقالوا: من قتلكþ فقال: هذا لابن أخيه، ثم حال ميتا، فلم يعط من ماله شيئا، فلم يروث قاتل بعد[1].

والسؤال الذي يطرح هو: لم جنس البقر بالذاتþ ولم اللجوء إلى هذه الوسيلة وا هو القادر على إحياء الموتى بلا واسطة بقوله "كن فيكون"þ إن في قصة هذه البقرة تبقى هناك حقيقة لا بد أن نقر بها وهي قدرة الخالق وعظمته، أما في اختيار البقرة فقيل «إن البقر يذبح قربانا كما كانت عادة بني اسرائيل... وبضعة من جسد ذبيح ترد بها الحياة إلى جسد قتيل، وما في هذه البضعة حياة، ولا قدرة على الإحياء، إنها هي مجرد وسيلة ظاهرة تكشف لهم عن قدرة ا التي لا يعرف البشر كيف تعمل، فهم يشاهدون آثارها، ولا يدركون كنهها، ولا طريقتها في العمل»[2].

فدلالة البقرة المستفادة هنا هي دلالة عظمة وقدرة للخالق في إحياء الموتى أمام ناظري جموع من الجماهير لينطق شهادة الحق ثم يخر ميتا نتيجة ضربة بجزء من هذه البقرة فهل من معتبرþ

وما دمنا قد تحدثنا عن بقرة بني إسرائيل في عصر موسى –عليه السلام- يجدر بنا أن نعرج إلى بقر الهنديين وحتى يومنا الحالي لا يزال هذا الحيوان يحظى بصفة التقديس، وهو مظهر من مظاهر العبودية التي ارتبطت بها الديانة المجوسية قديما،

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص219.
(2) في ظلال القرآن، م1، ج1، ص80.

ومن مظاهر تقديسهم لهذا الحيوان بأن لا يذبح، ولا يؤكل لحمه، وبذلك تتصدر الهند المراتب الأولى في احتياطها لهذا الحيوان.

فالدلالة هنا تمس جانب العقيدة؛ حيث اتخذوا من هذا الحيوان إلها يحظى بالشريف والرعاية رغم مرور آلاف السنين على البعثة المحمدية التي أقر فيها بإخلاص الوحدانية تعالى أن لا يكون له أنداد وهم في الأصل من مخلوقاته، التي شرف الإنسان عليها جميعا بعقله أفلا نتدبر.

5- الأنعام: النعم الإبل خاصة، والأنعام الإبل والبقر والغنم[1]

إن لفظة الأنعام التي حوت أصنافا معينة من الحيوانات كثر ذكرها في المدونة بمقارنتها مع بقية الحيوانات الأخرى، وارتبطت بسياقات مختلفة؛ حيث ضمت مع الثروات التي يعاقب عليها المرء إذا اكتنزها ولم ينفقها كالذهب والفضة لقوله تعالى: «**والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام**» آل عمران14.

ولم تتوقف أفعال الشيطان في غواية الإنسان عند حد الاكتناز وعدم الانفاق، وإخراج الزكاة، بل سول لهم ألاعيب آخر، وذلك بتحريم ما أحل ا بوضع سمة على هذه الأنعام فيحرم أكلها وركوبها مصداقا لقوله- جل وعلا-: «**وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام**»النساء119

هذه هي نية إبليس عليه اللعنة المتمثلة في غواية بني آدم والدفع بهم «إلى أفعال قبيحة وشعائر سخيفة من نسج الأساطير كتميزيق آذان بعض الأنعام ليصبح ركوبها بعد ذلك حراما أو أكلها حراما –دون أن يحرمها ا - ومن تغيير خلق ا وفطرته بقطع بعض أجزاء الجسد أو تغيير شكلها في الحيوان أو الإنسان كخصاء الرقيق ووشم الجلود، وما عليها من التغيير والتشويه الذي حرمه الاسلام»[2]

وشرعية أكلها بينة في قوله: «**أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد**» المائدة01.

---

(1) انظر لسان العرب ص 305

(2) في ظلال القرآن، م2، ج5، ص761.

وبهيمة الأنعام تشمل، الإبل والبقر والغنم ويضاف إليها الوحشي منها، كالبقر الوحشي والحمر الوحشية والظباء[1]

ومن التصورات المتعسفة للجاهلين في أرزاق المولى وأنعامه قوله تعالى: **«وللعلوا Ŷ مما ǶرP من الحرث والأنعا! نصيبا فقالوا lPlj Ŷ بـǋȠȤȷ! وlPlj لشركاǾنا فما كان لشركاǋǾ! فǖ يصل ǅǚ Ŷl» الأنعام 136.** وقال أيضا: **«وقالوا lPlj ǆنعا! وحرث حǆǆر لا يǓعمǋǆ ǅلا من نشاء بـǋȠȤȷ! وǆنعا! حرمت ظǋورزǋا وǆنعا! لا يǂكرون اس! Ŷl ǇليǋǆǇ» الأنعام138.**

عن ابن عباس قال: كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما، جعلوا منه سهما وسهما لآلهتهم، وكانت إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلهتهم إلى الذي جعلوه ردوه إلى الذي جعلوه لآلهتهم، وإذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه إلى الذي جعلوه لآلهتهم أقروه ولم يردوه[2]

أما إلى الأنعام فعمدوا إلى الأنواع المسماة: بحيرة، وسائبة ووصيلة، وحام فجعلوا ظهورها حراما على الركوب، كما عمدوا إلى أنعام فقالوا: هذه لا يذكر اسم ا عليها عند ركوبها ولا عند جلبها ولا عند ذبحها إنما تذكر اسماء الآلهة وتخاص لها كل ذلك "افتراء على ا "[3]

وتمادى هؤلاء الجهلة في طغيانهم بأن أحلوا هذه الأنواع للذكور دون الإناث لقوله تعالى: **«وقالوا ما في بـǓون lPlj الأنعا! خالصة Ǉكورنا ومحر! ǍǚY وǄاǆǆنا وǅن يكن ميتة فǋ! فيه شركاء»** الأنعام139. ولعلها تلك المسماة البحيرة والسائية والوصيلة، إنها خالصة للذكور منهم حين تنتج، محرمة على الإناث إلا أن تكون ميتة فيشارك فيها الإناث الذكور هكذا بلا سبب ولا دليل ولا تعليل إلا أهواء الرجال التي يصوغون منها دينا غامضا ملتبسا في الأفهام[4].

---

(1) المصدر السابق، م2، ج6، ص837.
(2) المصدر السابق، م2، ج8، ص1217.
(3) انظر: في ظلال القرآن، م2، ج8، ص1220.
(4) المصدر السابق، م2، ج8، ص1221.

وتتضح حكمة المولى في تسخيره هذه الأنعام لتعود بالمنفعة على الإنسان في طعامه وفراشه وإعانته في مشاقه فقال- جل جلاله-:

«ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين» الانعام 142.

«**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون**» النحل05.

«**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**» النحل 66.

«**والله جعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين**» النحل80.

يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون ومن ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها، ومالهم فيها من الجمال وهو الزينة[1].

وذكرت الأنعام لتفيد دلالة تختلف عن الدلالات السابقة نستشفها في قوله تعالى: "**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام**" الاعراف 179. هم الذين عطلوا الأجهزة التي وهبوها ولم يستخدموها لقد عاشوا غافلين لا يتدبرون أولئك كالأنعام بل هم أضل، فللأنعام استعدادات فطرية تهديها، أما الجن والإنس فقد زودوا بالقلب الواعي والعين المبصرة، والأذن الملتقطة فهم لم يفتحوها ليدركوا الحق[2].

فدلالة الأنعام في هذه الآية دلالة تحقير وعدم إدراك لأنهم منحوا أجهزة وحواسا فعطلوها فأولى بتشبيههم بالأنعام التي جبلت على الغريزة لا عن فهم وتدبر.

إن الأنعام التي طلقت لتدل على الإبل خاصة، وتوسعت لتشمل أصنافا أخرى اشتقت من النعمة التي تعني الخير والبركة وهي الدلالة التي تفيدها الأنعام «وكأن

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1621.

[2] انظر: في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1401.

الإسلام أراد من النعم النعمة والتسخير وسهولة الانقياد، بحيث لا تكون لها شراسة الدواب ونفرة السباع»[1]، وكأن هذه الحيوانات سميت بذلك لما فيها من الخير والنعمة، فيقال: فلان ذو أنعام، بمعنى صاحب خيرات لأنه يملك حيوانات عدها النبي –صلى ا عليه وسلم- من أنفس أموال العرب "ففي حديث طويل عن يوم خيبر قال رسولنا الكريم لعلي بن أبي طالب: "فوا لأن يهدي ا بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم –أي الإبل الحمر- أنفس أموال العرب"[2] رواه البخاري وقال أيضا في الإبل والغنم التي تدخل ضمن أصناف الأنعام: «عز أهلها والغنم بركة والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[3].

6-**الدابة**: مؤنث الداب يقع على المذكر والمؤنث والتاء فيه للوحدة، جمع: دواب، تصغيره: الدويبة مادب من الحيوان، وغلب على يركب ويحمل عليه.

بين المولى –عز وجل- أن جميع الخلائف عائدة إليه بشتى أشكالها وأنواعها فقال: **«وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون»** الأنعام38.

إنه ما من دابة تدب على الأرض -وهذا يشمل كل الاحياء من حشرات وهوام وزواحف وفقاريات ومن طائر يطير بجناحيه في الهواء- وهذا يشمل كل طائر من طير أو حشرة وغير ذلك من الكائنات الطائرة[4].

كثيرا ما نلاحظ أن لفظ الدابة يجنح في الاستعمال للدلالة على الحيوانات بشتى أنواعها الأليفة والمتوحشة إلا أننا نجد المولى –عز وجل- في أثناء حديثه عن عباده الذين وهبهم كل وسائل المعرفة ليتدبروا في ملكوت الرحمن، ويخلصوا له العبادة، فإذا هم يضلوا عن سواء السبيل فيقرن معهم لفظ "الدواب" ليتطابق وصفهم مع الحيوانات الفاقدة العقل والادراك.

---

(1) عبقرية العربية في رؤية الانسان والحيوان والسماء والكواكب، ص157.
(2) ذكر الطير والحيوان في اللغة والامثال والأحاديث والقرآن، ص56.
(3) المرجع السابق، ص59.
(4) انظر: في ظلال القرآن، م2، ج8، ص1080.

قال تعالى: «**إن شر الدواب Ÿند Ŷl الص! البك! الPين لا يعقلون**» الأنفال 22.
لقد جيء ذكر الدواب في موضعه المناسب ولفظ "الدواب" يشمل الناس فيما يشمل فهم يدبون على الأرض، ولكن استعماله يكثر في الدواب من الأنعام، فيلقي ظله بمجرد إطلاقه ويخلع على "الصم البكم الذين لا يعقلون" صورة البهيمة في الحس والخيال أو إنهم لكذلك! إنهم لدواب بهذا الظل، بل هم شر الدواب، فالبهائم لها آذان ولكنها لا تسمع إلا كلمات مبهمة ولها لسان ولكنها لا تنطق أصواتا مفهومة إلا أن البهائم مهتدية بفطرتها فيما يتعلق بشؤون حياتها الضرورية أما هؤلاء الدواب فهم موكولون إلى إدراكهم الذي لا ينتفعون به، فهم شر الدواب قطعا[1].

ونظير الآية السابقة والتي قصد بالدواب فيها البشر الذين لم يتبعوا الهدى فأضلوا قوله تعالى: «**إن شر الدواب Ÿند Ŷl الPين كفروا فهـ! لا يـDمنون**» الانفال55. إن لفظ الدواب حين يطلق على الإنسان «يلقى ظلا خاصا ظل البهيمة، ثم يصبح هؤلاء الآدميون شر البهيمة التي تدب على الأرض»[2].

كما أطلق لفظ الدابة ليفيد عموم الخلائق التي تحيا وتدب فالدلالة –هنا- مرتبطة بالمعنى اللغوي، في قوله تعالى: «**وما من دابة في الأر f إلا Ÿlى Ŷl رزقها ويعل! مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**» هود06.

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها بحريها وبريها، وأنه يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها[3].

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، م3،ج9، ص1493.
(2) المصدر السابق، م3، ج10، ص1541.
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1456.

نعود مرة أخرى إلى معاني الدابة وفيم تستعمل، إن الذي شاع في الاستعمال أن لهذه اللفظة معنى لغوي وآخر عرفي، فقيل في معناها الأول والثاني الدابة في اللغة اسم لما يدب أي يمشي على الأرض غير الانسان[1].

الدواب في اللغة، مادب على وجه الأرض عاقلا أو غيره، وفي العرفي مخصوص بالخيل والبغال والحمير[2] أما لفظ الدابة فإنه اسم يقع على كل شيء على الأرض من إنسان أو بهيمة وقوعا عاما في أصل اللغة لكن كثر استعماله في العرف واقعا على المركوبات من الخيل والبغال والحمير على الخصوص، والدليل على وقوع الدابة على كل شيء في أصل اللغة قوله تعالى: "وا خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع" فأوقع – سبحانه- لفظ الدابة على ما يمشي على بطنه كالحيات وشبهها، وعلى الماشي على رجلين من الإنسان، وعلى الماشي على الأربع من المركوبات وبهائم الأنعام[3].

وختاما نقول لقد اكتسى هذا اللفظ طابع نفور في مجتمعاتنا حين يتعلق بالإنسان أو مناداته به ربما استمده من معناه العرفي، أو لوصفه سبحانه وتعالى– للكفرة بشر الدواب وكلا الاحتمالين جائز.

7- **الناقة**: الأنثى من الإبل، وقيل: إنما تسمى بذلك إذا أجذعت والجمع أنوق[4]

تنيق في ملبسه أو مطعمه أو أموره تجود فيها (كتأنق) كأن ذلك مشتق من الناقة التي هي عندهم من أحسن أموالهم، ج: ناق ونوق وانوق وأونق وأنيق ونياق وناقات وأنواق وجج: أيانق و نياقات: الأنثى من الإبل سميت بذلك لارتفاع خلقها[5].

والناقة التي تسلط عليها الدراسة هي ناقة صالح –عليه السلام- لأنها لم تكن ناقة مألوفة؛ سواء في كيفية خلقها أم في الغاية من خلقها أصلا، قال تعالى: **«و**

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج12، ص05.
[2] انظر: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص121.
[3] انظر: كتاب الميل مطلع اليمن والاقبال في انتقال كتاب الاحتفال، الكبلي الغرناطي، ص45.
[4] انظر: لسان العرب، م14، ص387.
[5] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص848.

ثمود ﻷخاﻫﻢ صالحا ﻗﺎل ﻳﺎﻗﻮ! ﺍﻋﺒﺪﻭ ﺍ ﻣﺎ ﻟﻜ! ﻣﻦ ﻟﻪ ﻏﻴﺮﻩ ﻗﺪ ﺟﺎﺀﺗﻜ! ﺑﻴﻨﺔ ﻣﻦ ﺭﺑﻜ! ﻫﺬﻩ ﻧﺎﻗﺔ ﺍ ﻟﻜ! ﺁﻳﺔ ﻓﺬﺭﻭﻫﺎ ﺗﺄﻛﻞ ﻓﻲ ﺃﺭ ﺍ ﻭﻻ ﺗﺴﻮﻫﺎ ﺑﺴﻮﺀ»الاعراف 73.

وتعود قصة هذه الناقة إلى ما ذكره المفسرون: أن ثمودا اجتمعوا يوما في ناديهم فجاءهم رسول ا صالح فدعاهم إلى ا وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له، إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة –وأشاروا إلى صخرة هناك –ناقة من صفتها كيت وكيت وذكروا أوصافا سموها ونعتوها وتفننوا فيها، وأن تكون عشراء طويلة، من صفتها كذا وكذا، فقال لهم النبي صالح –صلى ا عليه وسلم- أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سالتم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهودهم ومواثيقهم عن ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلى - جل وعلا- ما قدر له، ثم دعا ربه أن يجيبهم إلى ماطلبوا، فأمر ا –جل وعلا- تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه المطلوب الذي طلبوا، فلما عاينوها كذلك رأوا أمرا عظيما، ومنظرا هائلا، وقدرة باهرة، ودليلا قاطعا، وبرهانا ساطعا، فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم[1].

فكانت هذه الناقة غير عادية، وأنها أخرجت إخراجا غير عادي مما يجعلها "بينة من ربهم، ومما يجعل نسبتها إلى ا ذات معنى، ويجعلها آية على صدق نبوته"[2] كانت هذه الناقة سبب إيمان العديد من قوم صالح –ثمود- ومصدر نعمة في تلبية غذائهم "فكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملؤون ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيهم»[3].

لم تطل نعمة الثموديين واستمتاعهم بالناقة بل ازداد كفرهم وتكذيبهم لنبيهم فإذا هم يقررون الخلاص منها وعقرها ليستأثروا بمائها كل يوم «ويقال: إنهم اتفقوا كلهم على قتلها، قال قتادة: بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم وأنهم رضوا بقتلها حتى النساء في خدورهن والصبيان أيضا»[4].

---

(1) انظر: قصص الأنبياء: ابن كثير، ص105.
(2) في ظلال القرآن، م3، ج8، ص1313.
(3) تفسير القرآن العظيم، م2، ص1183.
(4) المصدر السابق، م2، ص1184.

قال تعالى: **«وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا»** الإسراء59.

إن هذه الناقة كانت آية للثموديين و للناس أجمعين حتى لا يسألوا الآيات، فكان نتيجة طلبهم الآيات للتصديق ثم رجوعهم إلى الضلال وخيمة فأوردوا أنفسهم موارد التهلكة قال الإمام أحمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، حدثنا عبد ا بن عثمان بن ختيم، عن أبي الزبير، عن جابر قال، لما مر رسول ا –صلى ا عليه وسلم- بالحجر قال: "لا تسألو الآيات، وقد سألها قوم صالح فكانت –يعني الناقة- ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها فكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد ا –جل وعلا- من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم ا –جل وعلا- قيل: من هو يا رسول ا þ قال: هو أبو رغال، فلما خرج من الرحم أصابه ما أصاب قومه[1].

وكما قال النبي –صلى ا عليه وسلم- في ناقة ثمود ماروواه الطبراني عن عبد ا بن عمر –رضي ا تعالى عنهما- أن النبي –صلى ا عليه وسلم- قال: "أشقى الناش ثلاثة، عاقر ناقة ثمود، وابن آدم الأول الذي قتل أخاه، ما سفك على الأرض دم إلا لحقه منه لأنه أول من سن القتل، وقاتل على بن أبي طالب- رضي ا تعالى عنه-"[2]. وتبقى دلالة هذه الناقة جلية بأنها آية من آيات ا تجلت فيها قدرته وعظيم سلطانه «ورمز اللعنة التي تلحقها الضراوة والكفر وأشباههما من الصفات بمن تقتحم نزعاتهم على الحقيقة الإلهية، وتلتبس عنده معاني الأشياء...وفي رمزيتها الكثيفة التي تحتمل ما كان فيها من فتنة قال تعالى: "إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم" القمر27. فكانت الناقة آية بهذا المعنى؛ إذ هي ناقة ا ، طلعت عليهم من الصخرة الصماء وكأنها تخط بأقدامها حروف التحدي على مسمع من الجبال والصخور لتكون شاهذا على تمرد الإنسان وكفره بخالقه، فهي من هذه الجهة كالنذير في رغائها الوعيد، وفي حنينها الصيحة وفي خطوها رحلة الموت"[3].

---

(1) انظر: قصص الأنبيا، ابن كثير، ص109.

(2) ذكر الطير والحيوان في اللغة والمثال والأحاديث والقرآن، ص58.

(3) عبقرية العربية في رؤية الانسان والحيوان والسماء والكواكب، ص169.

8- الثعبان: جمع: ثعابين: الحية يطلق على الذكر والأنثى[1]

إن هذا الحيوان سيق في المدونة مرة واحدة، وكان آية من آيات ا لفرعون وقومه وتمثلت هذه الآية في انقلاب عصا موسى –عليه السلام- إلى ثعبان عظيم ومبين مصداقا لقوله –جل وعلا-: "**فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**" الأعراف 107 ثعبان: أي حية ضخمة طويلة، وعن الفراء أن الثعبان هو الذكر العظيم من الحيات، وقال آخرون إنه الحية مطلقا، وفي مجمع البيان أنه مشتق من ثعب الماء إذا انفجر: فكأنه سمي بذلك لأنه يجري كعنق الماء إذا انفجر[2].

إن عصا موسى –عليه السلام- العجيبة اتخذت أشكالا مختلفة كلها تدل على عظمة الخالق فتجسدت ثعبانا وحية وجانا و"الثعبان ذكر الحيات، والجان الحية الصغيرة ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة، فلما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة فمها بين لحيها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض قدر ميل قامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على صور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هاربا وأحدث أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه"[3].

يتضح من خلال النصوص السابقة أن عصا موسى –عليه السلام- اتخذت اشكالا متعددة لكنها لم تخرج بها عن الصنف الواحد، فلا باس بدراسة هذا الحيوان تحت أسماء: الثعبان والحية وكذا الأفعى، فكانت دلالة الثعبان أو الحية في سياقات إنقلاب العصا إليهما دالة على قدرة الإله القائل "كن فيكون" ليفتح الناس وعلى رأسهم قوم موسى –عليه السلام- عقولهم ويتدبروا الآيات فيهتدوا إلى طريق الحق وهذا ما حدث مع السحرة.

أما الحية فقد ارتبطت منذ الأزل بالخيانة إذ كانت عونا لإبليس عند غوايته لأبينا آدم وزوجه –عليهما السلام- فقيل "عاقب ا الحية بخمسة أشياء: قطع قوائمهما، وأمشاها على بطنها، ومسخ صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب، وجعل غذاءها

---

(1) انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص70.

(2) انظر: روح المعاني، الألوسي، ج9، ص20.

(3) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص89،

التراب، وجعلها تموت كل سنة بالشتاء، وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها، وأباح رسول ا –صلى ا عليه وسلم- وفي حال الإحرام قتلها، عن أبي هريرة قال: قال رسول ا –صلى ا عليه وسلم- "ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيئا منهن خيفة منه فليس مني" يعني الحيات"[1]. وفي وجوب قتل الحيات كذلك ما ورد في قصة ابن مسعود –رضي ا عنه- «فبينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فإذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته، ثم ضربها بقضيب حتى قتلها، ثم قال: سمعت رسول ا –صلى ا عليه وسلم- يقول "من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه"[2]

فدلالة العداوة التي ارتبطت بالحية نتجت عن ارتكابها للخطيئة وإعانتها للشيطان اللعين فصارا معا عدوا للإنسان كما قيل بأن "إبليس اجتمع مع الحية واتخذها زوجة، فمنها ذريته فإبليس أبو الجن كلهم وأمهم الحية، كما أن آدم أبو البشر كلهم وأمهم حواء، هكذا قال مجاهد والحسن وقتادة"[3].

ولقد عرفت الحية بصفات وأساليب تدل على فطنتها "فمن فطنتها أن منها مايغمس ذنبه في الرمل وينتصب نصف النهار في شدة الحر فيجيىء الطائر فيكره النزول على الرمل لحرارته فيقع على رأس الحية على أنه عمود فتقبض عليه"[4] كما عرفت الحية بالقوة «فليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية إلا والحية أقوى بدنا منه أضعافا ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها أو في صدع إلى صدرها لم يستطع أقوى الناس وهو قابض على ذنبها بكلتا يديه أن يخرجها لشدة اعتمادها وتعاون أجزائها"[5] ومن صفاتها كذلك الصبر " ويزعمون أن الحية لا تموت حتف أنفها، وإنما تموت بمرض يعرض لها، ومع ذلك فإنه ليس في الحيوان شيء هو أصبر على جوع من حية لأنها إن كانت شابة فدخلت في حائط صخر، فتتبعوا موضع مدخلها

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، اص32.
(2) المرجع السابق، ص33.
(3) كتاب الحيل، ص201.
(4) كتاب الحيل، ص194.
(5) تهذيب الحيوان للجاحظ، ص129.

بوتد أو حجر، ثم هدموا هذا الحائط وجدوها هناك منطوية وهي حية فالشابة تذكر بالصبر عند هذه العلة، فإن هرمت صغرت في بدنها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعم"[1]

وأثر في الحكايات المتعلقة بملحمة جلجامش أن الحية استطاعت أن تحظى بديمومة شبابها لسرقتها العشب المسؤول عن ذلك "فعندما تحصل جلجامش على النبت العجيب الذي يعود بفضله الشائب شبابا، فقطف منه ورجع إلى مدينته ولكن الحية تختلسه وتأكله فتحوز بذلك القدرة على تجديد شبابها بنزع جلدها كل عام"[2]

والإغريق كذلك يحكون عن القوة الغريبة التي تمتلكها الأفعى إلى درجة أنها تفهم لغة الحيوان وأنها عرفت العشب الذي يمنح الخلود[3].

9- الكلب: كل سبع عقور، والكلب: معروف، واحد الكلاب، وقد غلب الكلب على هذا النوع النابح[4] إن الكلاب عرفت بصفات إيجابية وأخرى سلبية وغلبت هذه الأخيرة، وبخاصة إن كانت وصفا للإنسان الذي كرمه الخالق وفضله بالعقل، فإذا بهذا الإنسان ونتيجة ارتكابه للمعصية ينزل إلى منزلة الكلب ويوصف بوصفه، مصداقا لقوله تعالى: **«فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كفروا بآياتنا»** الاعراف176.

اختلف المفسرون في معناه، فأما على سياق ابن اسحاق، عن سالم بن أبي النضر: أن بلعاما اندلع لسانه على صدره، فتشبيهه بالكلب في لهثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك، وقيل: معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراه فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهثه في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته هو يلهث في الحالين، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الايمان ولا عدمه[5]

إن دلالة الكلب ضمن هذا السياق ارتبطت بتشويه الصورة من أرقى درجاتها ألا هي صورة الإنسان إلى أخسها وهي صورة الحيوان المتمثل في الكلب لما جمع فيه من

---

(1) المرجع السابق، ص132.
(2) دراسات في الساطير والمعتقدات الغيبة، صالح بن حمادي، ص126.
(3) انظر الحكاية الخرافية، ترجمة الدكتور، نبيلة ابراهيم، ص180.
(4) انظر: لسان العرب، م13، ص95.
(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1135.

صفات وخصال "فشبه بالكلاب، أي سواء أوتي الحكمة أم لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات"[1]

وقيل: شبه بالكلاب الذي هو أخس الحيوانات[2]، كما قيل لأن الكلاب به "يضرب المثل في الخساسة لأنه يأكل القذرة، ويرجع في قيئه والجيفة أحب إليه من اللحم القريض، نعم هو أحسن من الرجل السوء"[3] إن كانت الآية السابقة نقلت إلينا دلالة سلبية للكلاب تمثلت في خسته، فإذا بنا أمام مشهد آخر يرد فيه هذا الحيوان لينقل دلالة وصفة إيجابية هي الوفاء لصاحبه تجسدت في كلب أصحاب الكهف، قال تعالى: **«وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا»** الكهف18.

قال ابن جريج: كان هذا الكلب يحرس عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته، حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب –كما ورد في الصحيح وقيل: كان كلب طباخ الملك وكان دفاعه على الدين فصحبه كلبه[4].

فالكلب هنا رمز الوفاء والحب لصاحبه إذ «ليس في الحيوان أشد حبا لصاحبه منه فإن أشار له على صيد وثب ناصبا رأسه رافعا ذنبه مستعدا كالفارس البطل والشجاع النجد مع نشاطه في الطلب، وهو يعلم أن الصيد ليس بحاضر، لكن ذلك منه حسن طاعة»[5] وخير مثال يجسد دلالة الوفاء التي ارتبطت بالكلب القصة التالية: [6]

يحكى عن بعض المسافرين أنه قال: مرّ في طريقه بمقبرة وإذ قبرٌ عليه قبة مبنية مكتوب عليها: هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا فإنّ فيها من يخبره، فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها، وسأل أهلها فدلوه على شيخ قد تجاوز المائة فسأله فقال: كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن، وكان

---

(1) احياء علوم الدين، ج1، ص101.
(2) انظر: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج1، ص108.
(3) روح المعاني، الألونسي، ج9، ص115.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، م3، ص1764.
(5) كتاب الامتناع والمؤانسة، ج1، ص183.
(6) انظر كتاب ال[illegible]يل، ص190-191.

مشتهرا بالنزاهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد رباه، فلما يفارقه، فخرج يوما إلى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثردة لبن قد اشتهيناها، ومضى إلى منتزهاته فجيء بلبن وصنع له الطباخ الثردة، ونسي أن يغطيها بشيء، واشتغل بطبخ أشياء أخر فخرجت من بعض شقوق الحيطان أفعى، فكرعت في ذلك اللبن ومجت في الثردة من سمها، والكلب رابض يرى ذلك كله، ولو كان له في الأفعى حيلة لمنعها، وكانت هناك جارية خرساء مسنة قد رأت ما صنعت الأفعى، وجاء الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: ياغلمان أول ما تقدمون إلي الثردة، فلما وضعت بين يدي الملك أشارت الخرساء إليه فلم يفهم ما تقول: ونبح الكلب فصاح فلم يلتفت إليه ولجّ في النباح فلم يعلم مراده ثم رمى إليه بما كان يرمي عليه في كل يوم فلم يقربه ولج في النباح، فقال للغلمان: نحوه عنا فإن له قصة ومد يده إلى ثردة اللبن فلما رآه الكلب يريد أن يأكل وثب إلى وسط المائدة وأدخل فمه في الثردة ووقاه بنفسه فسقط ميتا وتناثر لحمه، وبقي الملك متعجبا منه ومن فعله فأشارت الخرساء إليهم فعرفوا إذ ذاك مرادها بما صنع الكلب، فقال الملك لندمائه وحاشيته إن شيئا فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة وما يحمله ويدفنه غيري فدفنه وبنى عليه قبة وكتب عليه ما قرأته.

ومن الصفات التي وصف بها الكلب، واستمدت من نباحه صفة الجبن فقيل عنه «جبان وفيه جرأة ولؤم، ولو كان شجاعا، وفيه بعض التهيّب كان أمثل، ومن فرط الجبن أنه يفزع من كل شيء وينبحه»[1].

ومما ذكر في تعداد معايبها ومساوئها «من لؤمها وخبثها وضعفها وشرهها وغدرها وبذائها وجهلها وشرعها ونتنها وقذرها... ومن ضرب المثل بلؤمها ونذالتها، وقبحها وقبح معاظلتها، وعن سماجة نباحها وكثرة أذاها، وتقذر المسلمين من درنها، وانها كالخلق المركب والحيوان الملفق كالبغل في الدواب، وأنها لا سبع ولا بهيمة، ولا انسية ولا جنية»[2]

---

[1] تهذيب الحيوان للجاحظ، ص24.
[2] الحيوان، م1، ج1، ص122.

فمن هذا النص يمكن استخلاص العديد من الدلالات السلبية كهذا الحيوان كاللؤم والنذالة والسماجة.

10- الذئب: جمع ذئاب وأذؤب وذؤبان، ويقال أيضا الذيب، حيوان يشبه الكلب جرئ جدا عند الجوع، داء الذئب: الجوع، ذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم[1]

إقترن هذا الحيوان بقصة سيدنا يوسف –عليه السلام – وإخوته حين أرادوا التخلص منه، وعذرهم في ذلك أن الذئب هو الذي غدر به، قال تعالى -على لسان يعقوب عليه السلام-: «**قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**»يوسف 13.

ولم يكن هؤلاء الإخوة ليهتدوا إلى هذه الحيلة حتى لقنهم أبوهم هذا الجواب، فكان جوابهم في قوله: «**قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون**» يوسف 14.

وخص يعقوب –عليه السلام- الذئب؛ لأنه كان السبع الغالب على قطره، أو لصغر يوسف فخاف عليه هذا السبع الحقير[2].

كان جواب إخوة يوسف –عليه السلام- بعدما منحهم أبوهم الفرصة لأخذه معهم إلى الرعي وعودتهم مساء، ما ورد في قوله تعالى: «**قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**» يوسف17.

ومن خلق الذئب الاحتيال والنفور، وهو يفترس الغنم، وإذا قاتل الإنسان فجرحه ورأى عليه الدم ضرى به فربما مزقه[3].

وروى أن يعقوب –عليه السلام- تفطن إلى مكيدة أبنائه وقال «ما أحلم هذا الذئب يأكل ابني ولا يقد قميصه، وقيل أنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله، فقال يعقوب: أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه ا فقال: وا ما أكلت ولدك ولا

[1] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص232.
[2] انظر" قصص الأنبياء، الشعراوي، م2، ص909
[3] انظر: التحرير والتنوير، ج12، ص231.

رأيته قط، ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء فقال له يعقوب: فكيف وقعت بأرض كنعان؟ فقال: جئت لصلة الرحم فأخذوني وأتوا بي فأطلقه يعقوب»(1)

ولم يقترن الذئب بصفات إيجابية أبدا وإنما عرف بالمكر والمراوغة والسطو على من هو أضعف منه واشتهر بأسماء تدل على الخبث واللوم «فمن أسمائه قال أبو عبيد الأطلس منها الخبيث، وقيل هو الذي في لونه غبرة إلى السواد...والذئب يكنى أبا جعدة وأبا جعادة وذلك للؤمه لأن الجعد: اللئيم»(2).

كما يضرب به المثل في الحيطة والغدر، وتزعم الأعراب أن الذئب ينام بإحدى عينيه ومن شعر حميد بن ثور الهلالي في ذلك: (الطويل) (3).

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى   بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

والذئب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز عوى عواء استغاثة فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله، وليس شيء من السباع يفعل ذلك(4)

وربما من هذه الخاصية قيل: إن داء الذئب هو الجوع –كما مر سابقا- في التعريف ومن حيله كذلك إن خفي عليه مكان الغنم أتى مكانا وعوى صوتين أو ثلاثة ثم سكت منصتا لأصوات الكلاب التى مع الكلاب ونباحها حين سمعت عواءه فإذا سمع نباح الكلاب شد مسرعا نحوها، قاصدا إليها، فإذا قرب من الغنم مال من ناحية أخرى خالية من محرس الكلاب فاختطف ما أمكنه خطفه من الغنم(5)

إن اشتمال الذئب على هذه الصفات جعلت الاشارة إليه أو التمثيل به دالا على صفة من صفاته كقولنا: هو كالذئب، أو بالعدول عن التمثيل بالكل والإشارة إلى الجزء في قولنا: عينه كعين الذئب في مكرها وخداعها، وتبقى أشعار القدامى شاهدة على خبثه كقول احدهم:

والذئب وسط غنمي يعيث   وصحت بالغائط يا خبيث

(1) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص237.
(2) المخصص م2 السفر الثامن، ص67.
(3) انظر: تهذيب الحيوان للجاحظ، ص239.
(4) انظر كتاب عيون الأخبار، ص82.
(5) انظر: كتاب، الامتاع والمؤانسة، ج1، ص183.

ولولا ما في هذا الحيوان من صفات دنيئة لما شبه النبي –صلى ا عليه وسلم- الشيطان به حيث قيل: «إن الشيطان ذئب الإنسان –كما قاله الصادق المصدوق- ولكن لم يجعل ا لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطانا مع ضعفها، فإذا أعطت بيدها وسالمت الذئب ودعاها فلبت دعوته، وأجابت أمره، ولم تخالف بل أقبلت نحوه سريعة مطيعة وفارقت حمى الراعي الذي ليس للذئاب عليه سبيل ودخلت في محل الذئاب الذي من دخله كان صيدا لهم»[1]

---

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، ص100،

كما بين المولى –عز وجل- أن آدم وحواء –عليهما السلام- لم ينجحا في هذا الامتحان وذلك بتأثير وسوسة إبليس اللعين فقال تعالى: **«فوسوس لǊما الشيƱان ليبدǎ لǊما ما وورǎ ƳنǊما من سوءاتǊما وƿال ما نǊاكما ربكما Ƴن ǉƿǽ الشǲرƧ Ǚلا Ƙن تكونا ملكين Ƙو تكونا من الخالدين»** الأعراف20، فكانت النتيجة قوله تعالى: **«فلما ƿاƽǊ الشǲرƧ بدت لǊما سوءاتǊما وƱفقا يخصفان ƳليǊما من ورق الǲنة وناداǉما ربǊما ƘلǾ! ƘنǊكما Ƴن تلكما الشǲرƧ وƘƿل لكما Ǚن الشيƱان لكما Ƴدو مبين»** الأعراف 22 .أما عن نوع الشجرة التي أكلا منها فتضاربت الآراء وتنوعت "فعن ابن عباس قال: كانت الشجرة التي نهى ا عنها آدم وزوجته: السنبلة، فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وكان الذي دارى عنهما من سوآتهما أظفارهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة- ورق التين-، يلزقان بعضه إلى بعض، فانطلق آدم –عليه السلام- موليا إلى الجنة فعلقت برأسه شجرة من الجنة فناداه: يا آدم أمني تفرþ قال: لا ولكني استحييتك يارب، قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك، قال: بلي يارب، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا».[1]

وقال السدي عمن حدثه، عن ابن عباس: الشجرة هي: الكرم، وتزعم اليهود أنها الحنطة وقيل هي البر، وقال محمد بن اسحاق، عن بعض أهل اليمن: عن وهب بن منبه: أنه كان يقول: هي البر، ولكن الحبة منها ككلى البقر، ألين من الزبد وأحلى من العسل، وقال سفيان الثوري عن حصين عن أبي مالك قال: النخلة، وقال ابن جرير، عن مجاهد قال: تينة[2] . أما السيد قطب فلم يول اهتماما لنوع الشجرة، وإنما ركز جل اهتمامه على المغزى والعبرة المستخلصة من هذه الشجرة فقال: «ويسكت القرآن عن تحديد هذه الشجرة لأن تحديد جنسها لا يزيد شيئا في حكمة خطرها مما يرجح أن الخطر في ذاته هو المقصود، لقد أذن ا لهما بالمتاع الحلال، ووصاهما بالامتناع عن المحظور، ولا بد من محظور يتعلم منه هذا الجنس أن يقف عند حد، وأن يدرب المركوز في طبعه من الإرادة التي يضبط بها رغباته وشهواته ويستعلي

[1] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1155.

[2] انظر، المصدر السابق، م1، ص179.

بها على هذه الرغبات والشهوات فيظل حاكما لها لا محكوما لها كالحيوان فهذه هي خاصية الإنسان التي يفترق بها عن الحيوان ويتحقق بها فيه معنى الإنسان»[1]

كما وردت الشجرة في سياق آخر في مشهد تمثيل قال تعالى: «**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء**» إبراهيم24. قال أيضا: «**ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار**» إبراهيم26. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس "الكلمة طيبة" شهادة "أن لا إله إلا ا "، "كشجرة طيبة" وهو المؤمن "أصلها ثابت" يقول: لا إله إلا ا " في قلب المؤمن "فرعها في السماء" يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء، وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة: إذ ذلك عبارة عن المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح، وإن المؤمن كالشجرة من النخل، لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت، وعن ابن مسعود قال: هي النخلة، وعن ابن عباس هي شجرة في الجنة[2]

أما مثل كفر الكافر، لا أصل له، ولا ثبات وشبه بشجرة الحنظل، ويقال لها "الشريان" وقال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك، أن النبي –صلى ا عليه وسلم- قال: "هي الحنظلة"[3]

وشتان بين دلالة النخلة فهي رمز للأصالة والشموخ والحلاوة وبين الحنظلة التي ترمز لكل ما هو كريه وعلقم.

بقي نوع آخر من الأشجار لا بد أن أعرج عليه هو أشد مرارة وقسوة من الحنظلة سلطه ا عقابا لعباده الكفار في الحياة الأخروية قال تعالى: «**والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا**» الإسراء60.

أما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم كما أخبر بذلك رسول ا –صلى ا عليه وسلم- أنه رأى الجنة والنار، ورأى شجرة الزقوم فكذب الكفار ذلك، حتى قال

[1] في ظلال القرآن، م3، ج8، ص1268.
[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1578.
[3] انظر: المصدر السابق، م2، ص1579.

أبو جهل لعنه ا بقوله: هاتوا لنا تمرا وزبدا، وجعل يأكل هذا بهذا ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا حكى ذلك ابن عباس: وأبو مالك والحسن البصري[1]

فالشجرة الملعونة الزقوم، دالة على العقاب الذي يلقاه الكافر بصده عن السبيل فهي طعامه وأي طعام قال تعالى: «إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم (64) طلعها كأنه رؤوس الشياطين (65) فإنهم لآكلون منها فمالئون البطون (66) ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم (67) ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم(68)» الصافات، اللهم نعوذ بك من النار وشجرة الزقوم.

وباعتبار الشجرة أساس تقام عليها الفروع المتمثلة في الأغصان فإن الشجرة يكنى بها عن الأصل فيقال: «شجرة النسب، وهي ما يبتدأ فيها من الجد الأعلى إلى أولاده ثم إلى أحفاده وهلم جرا»[2]

2-العصا: العود، أنثى، وفي التنزيل العزيز: "هي عصاي أتوكأ عليها"[3]

العود، ما يتوكأ عليه، قيل سميت العصا عصا لأن اليد والأصابع تجتمع عليها، جمع عُصي وعِصي وأعْصٍ وأعصاء ومثناها عصوان[4]

وردت العصا في النص القرآني مقترنة بالحديث عن موسى –عليه السلام- فعصا موسى كانت خارقة، تأتي بالعجب بإذن ا قال تعالى: **«فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا»** البقرة606، حيث أمر ا تعالى موسى – عليه السلام- أن يضرب حجرا معينا بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدة أسباط بني إسرائيل، وكانوا يرجعون إلى اثنى عشر سبطا بعدة أحفاد يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسبون إليه.[5]

وعصا موسى لا تتوقف عند هذا الحد بل تتجاوزه فإذا بها تنقلب لتصير –بإذن ا - ثعبانا ضخما، يثير الرعب ويدعو على التدبر وإعمال الفكر آية لبني إسرائيل وفرعون على قائمتهم. قال تعالى: **«فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين»**الأعراف107-108.

---

[1] انظر: المصدر السابق، م3، ص1728، في ظلال القرآن، م4، ج15، ص2238.
[2] المنجد في اللغة والأعلام، ص374.
[3] لسان العرب، ابن منظور،م10 ص78.
[4] المنجد في اللغة والعلام، ص510.
[5] انظر: في ظلال القرآن، م1، ج1، ص74.

إنها المفاجأة إن العصا تنقلب ثعبانا لا شك في ثعبانيته، ثم إن يده السمراء وقد كان موسى عليه السلام "آدم" أي مائلا إلى السمرة، يخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سود –بيضاء ليست عن مرض ولكنها المعجزة، فإذا أعادها إلى جيبه عادت سمراء[1] .

كما بين في سياق آخر أن هذه العصا أوتيت قدرة عجيبة فإذا بها تأكل الباطل الذي أتي به سحرة فرعون قال تعالى: **«وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون»** الأعراف117.

يخبر تعالى أنه أوحي إلى عبده ورسوله موسى –عليه السلام- في ذلك الموقف العظيم الذي فرّق ا تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه فإذا هي تأكل ما يلقونه ويوهمون أنه الحق، وهو باطل، قال ابن عباس: فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء وليس هذا بسحر فخرّوا سجدا[2]

أما كيف وصلت هذه العصا إلى موسى –عليه السلام- فقد قال أكثر العلماء: كانت عصا موسى من آس الجنة، وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة إلى الأرض فورثها الناس صاغرا عن كابر إلى أن وصلت إلى شعيب فأعطاها لموسى»[3]

أما شكلها فقد قال أهل العلم بأخبار الماضين: «كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى إذا دخل مغارة ليلا ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشعبتين من نار تضيئان له مد البصر وكان إذ أعوزه الماء دلاّها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها، وإذا احتاج إلى الطعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه، وكان إذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت من ساعتها»[4] .

---

(1) انظر: المصدر السابق، م3، ج9، ص1347.
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1196.
(3) قصص الأنبياء المسمى بعرائش المجالس الثعلبي، ص179.
(4) قصص الأنبياء المسمى بعرائش المجالس، ص179.

نستخلص –من هنا- أن هذه العصا لم تكن عصا عادية، سخرها الله لنبيه موسى –عليه السلام- لتعينه في حياته العادية وفي تأدية رسالته فهذه العصا تنقلب ثعبانا –كما مر بنا- كما تصير حية أو جانا في سياقات أخرى، فالدلالة المستفادة من هذه العصا أنها آية من آيات عظمة الله ووحدانيته فهل من معتبر؟ كما أنها كانت آية لموسى –عليه السلام، «فعند حديثه مع المولى خاطبه –جل وعلا- مبينا له أنه القادر على كل شيء هو الذي يقول للشيء كن فيكون فقال: **«وما تلك بيمينك يا موسى»** طه17 أي أما هذه عصاك التي تعرفها منذ صحبتها، قال: "**قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى**" طه18، أي: بلى هذه عصاي التي أعرفها وأتحققها، "**قال ألقها يا موسى (19) فألقاها فإذا هي حية تسعى (20)**" طه، وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء كن فيكون وأنه الفعال بالاختيار. وعند أهل الكتاب: أنه سأل برهانا على صدقه عند من يكذبه من أهل مصر، فقال له الرب –جل وعلا- ما هذه التي في يدك؟ قال: عصاي قال: ألقها إلى الأرض "فألقاها فإذا هي حية تسعى" فهرب موسى من قدامها، فأمر الرب –جل وعلا- أن يبسط يده ويأخذها بذنبها فلما استمكن منها ارتدت عصا في يده»[1]

هذا بالنسبة لعصا موسى –عليه السلام- أما العصا كعنصر دلالي فهي ذات دلالات مختلفة فى مثل هذه التعبيرات: فلان صلب العصا شديد العصا، لا تقرع له عصا: بمعنى الشدة والقوة، أو بمعنى شديد على إبله، وفلان لين العصا وضعيف العصا بمعنى ضعيف أو حسن السياسة بالإبل، وألقى عصاه: أقام، ورفع عصاه بمعنى سافر، لا يصنع عصاه عن عاتقه بمعنى كثير الأسفار، أو مؤدب لأهله، لوت الأيام كفه على العصا: أيدى له ما في ضميره»[2]

5- أنواع الأطعمة:

1- **البقل**: بقل الشيء: ظهر، والبقل: معروف، قال ابن سيده: البقل من النبات ما ليس بشجر دق ولا جل، حقيقة رسمه أنه ما لم تبق له أرومة على الشتاء بعدما يرعى، وقال أبو حنيفة ما كان منه ينبت في بزره ولا ينبت في أرومة ثابتة فاسمه

---

(1) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص269، ط1: 1422-2002، دار السلام، مصر، القاهرة.

(2) التعبير الاصطلاحي (دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية) ،ص 117.

البقل، وقيل: كل نابتة في أول ما تنبت فهو البقل، واحدته بقلة. [1] "البقل: جمع بقول: هي جميع النباتات العشبية التي يتغذى بها الإنسان"[2]

2- القثاء: القِثاء والقثاء بكسر القاف وضمها معروف٬ مدتها همزة، وأرض مقثاة ومقثؤة: كثيرة القثاء، والمقثاة والمقثؤة، موضع القثاء، وقد اقثأت الأرض إذا كانت كثيرة القثاء، وأقثأ القوم: كثر عندهم القثاء، وفي الصحيح: القثاء: الخيار، الواحدة: قِثاءة[3]

"القثاء والقثاء الواحدة قثاءة نوع من النبات ثمره يشبه تمر الخيار»[4]

3**-الفو!**: الزرع أو الحنطة، وأزد السراة يسمون السنبل فوما، الواحدة فومة، وقال بعضهم: الفوم الحِمَّص لغة شامية، والفوم: الخبز أيضا، وقيل الفوم: لغة في الثوم، قال ابن جني: ذهب بعض أهل التفسير في قوله عز وجل: «وفومها وعدسها» إلى أنه أراد الثوم، فالفاء على هذا عنده بدل من الثاء، قال: والصواب عندنا أن الفوم: الحنطة وما يختبز من الحبوب.

التهذيب: قال الفراء،في قوله تعالى :«وفومها» قال: الفوم مما يذكرون لغة قديمة وهي الحنطة والخبز جميعا، وقال بعضهم: سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون: فوّموا لنا بالتشديد يريدون: اختبزوا وقال الزجاج: الفوم، الحنطة، ويقال الحبوب لا اختلاف بين اهل اللغة أن الفوم الحنطة وسائر الحبوب التي يختبز يلحقها اسم الفول، قال: ومن قال الفوم ههنا: الثوم، فإن هذا لا يعرف ومحال أن يطلب القوم طعاما لا برّ فيه وهو أصل الغذاء. [5]

«فوّم اختبز، الفُوم، جمع أفومان: الحنطة، الخبز، سائر الحبوب التي تخبز، الفومة: جمع فوم واحدة الفوم: السنبلة والفوم جمع أفومان: لغة في الثوم، الحمّص، الفومة: جمع فوم: ما تحمله بين أصبعيك». [6]

4- العدس: «من الحبوب واحدته عدسة، ويقال له: العلس العدس والبلس»[1]

---

[1] انظر: لسان العرب، م2، ص127.
[2] المنجد في اللغة والاعلام، ص45.
[3] انظر: لسان العرب، م12، ص26.
[4] المنجد في اللغة والاعلام، ص609.
[5] انظر: لسان العرب، م11، ص243.
[6] المنجد في اللغة والاعلام، ص601.

العدس، الواحدة "عدسة" نبات عشبي من فصيلة القطانيات وقبيلة الفراشيات: يزرع لحبه الصغير المغذي مهده الأصلى آسيا، وهو منتشر في مناطق كثيرة من العالم، تصلح سيقانه علفا للحيوانات[2]

5- **البصل**: التهذيب: البصل معروف: الواحدة بصلة، وتشبه به بيضة الحديد، والبصل بيضة الرأس من حديد، وهي المحددة الوسط شبهت بالبصل، وقال ابن شميل: البصلة إنما هي سفيفة واحدة وهي أكبر من القَرْك[3]

"البصل: بقل زراعي من فصيلة الزنبقيات، أصله من آسيا الوسطى يؤكل نيئا ومطبوخا، وله فوائد صحية جمة"[4]

وردت هذه الأطعمة كلها فيما طلبه قوم موسى –عليه السلام- من نبيهم في قوله تعالى «فادعُ لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها» البقرة61. فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة، وإما الفوم فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود "وثومها" بالثاء، كذلك فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم وقال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن نافع، حدثنا أبو عمارة يعقوب بن اسحاق البصري، عن يونس عن الحسن في قوله: "وفومها" قال: قال ابن عباس، الثوم، قالوا: وفي اللغة القديمة، فوموا لنا بمعنى: اختبزوا، وقال آخرون، الفوم: الحنطة، وهو البر الذي يعمل منه الخبز، وقال الجوهري: الفوم: الحنطة وقال ابن دريد: الفوم: السنبلة، وحكى القرطبي عن عطاء، وقتادة ان الفوم كل حب يختبز، قال: وقال بعضهم: هو الحمص لغة شامية، وقال البخاري، وقال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم.[5]

6- **العنب**: معروف، واحدته عنبة، ويجمع العنب أيضا على أعناب وهو العنباء بالمد أيضا قال الجوهري: الحبة من العنب عِنَبة، وهو بناء نادر، والعنب:

---

[1] لسان العرب، م10، ص59.

[2] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص491.

[3] انظر: لسان العرب، م2، ص97.

[4] المنجد في اللغة والاعلام، ص40.

[5] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص210-211.

الخمرٍ حكاها أبو حنفية وزعم أنها لغة يمانية، كما أن الخمر العنب أيضا في بعض اللغات[1]

"عنّب الكرم: صارذا عنبٍ، العنب: الواحدة: عِنَبة، جمع أعناب: تمر الكرم، أبيض أوأ رجواني أو أسود اللون عند النضج يصنع منه الخمر والعرق وبعض المربيات يؤكل أيضا مجففا"[2]

7- **الزيتون**: الزيت معروف: عصارة الزيتون، والزيتون: شجر معروف، والزيت: دهنه: واحدته زيتونة[3] "الزيتون: الواحدة زيتونة: شجر مثمر زيتي طويل البقاء في الأرض، من فصيلة الزيتونيات زراعته المعروفة منذ أبعد العصور مقتصرة على بلدان المتوسط، وأعلى مناطق ذات مناخ مماثل، يرمز ورقه منذ القدم إلى السلام، ويقال لدهنه: الزيت ولثمره الزيتون أيضا".[4]

8- **الرمـان**: شجرة معروفة من الفواكه، واحدته رمانة، الجوهري: قال سيبويه: سألته يعني الخليل عن الرمان، إذا سمي به، فقال: لا أصرفه في المعرفة، وأحمله على الأكثر إذا لم يكن له معنى يعرف به، أي لا يُدرى من أي شيىء اشتقاقه فيحمله علىالأكثروالأكثر زيادة الألف والنون.[5]

الرمان: الواحدة "رمانة" شجر مثمر من فصيلة الآسيات تحوي ثمرته ضمن قشر كثيف ثمارا صغيرة كالحبوب وردية اللون فيها سائل منعش ينبت في إيران وآسيا الصغرى يزرع في البلدان الممتدة على شواطئ المتوسط"[6]

كثيرا ما اقترنت هذه الأنواع الثلاثة من الفواكه في سياق واحد لذا فضلت ضمها بعضها إلى بعض حتى لا أكرر الآيات مع كل نوع، ومن هذه السياقات قوله تعالى: «**وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**» الأنعام99.

---

[1] انظر: لسان العرب، م10، ص293.
[2] المنجد في اللغة والاعلام، ص532.
[3] انظر: لسان العرب، م7، ص85.
[4] المنجد في اللغة والاعلام، ص314.
[5] انظر: لسن العرب، م5، ص232.
[6] المنجد في اللغة والاعلام، ص281.

قال قتادة وغيره في قوله: «والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه» يتشابه في الورق، قريب الشكل بعضه من بعض، ويتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعا[1]

وضمّ الزيتون والرّمان في قوله تعالى: **«وزاو ăPاا Đnشĉ اللنات معروشات وƷير معروشات والنخل والRرƱ مختلفا ĉكله والRيتون والرمان متشابMا وƷير متشابه كلوا من ثمرMا اثمر وĐتوا حقه يو! حصادMا»** الأنعام141، قال ابن جريج: متشابها في المنظر، وغير متشابه في الطعم[2] "إن ا هو الذي أنشأ النخل والزرع مختلف الألوان والطعوم والأشكال، وإن ا هو الذي خلق الزيتون والرمان منوع الصنوف متشابها وغير متشابه»[3]

وقرن الزيتون والعنب في سياق واحد دل على مدى عظمة الخالق في إخراجه أصنافا متعددة من الزروع والثمار وبأذواق مختلفة سخّرها لخدمة الإنسان فهل من متدبر، قال تعالى: **«ينبت لكم به الRرƱ والRيتون والنخيل والأƳناب ومن كل الثمرات Đن في ƿلP ǑƆية لقو! يتفكرون»** النحل11. فالمولى –عز وجل- يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد، على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها. [4]

ومن السياقات التي تبين أن العنب يحصل منه النبيذ المسكر قوله تعالى **«ومن ثمرات النخيل والأƳناب تتخPون منه سكرا ورƦقا حسنا Đن في ƿلP ǑƆية لقو! يعقلون»**النحل67.

ذكر تعالى ما يتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه، ولهذا امتن به عليهم، ودل على إباحته شرعا قبل تحريمه، ودل على التسوية بين السّكر المتخذ من العنب والمتخذ من النخل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل، كما قال ابن عباس: السكر ما حرم من ثمرتيهما، والرزق الحسن: ما أحل من ثمرتيهما، وفي رواية السكر: حرامه والرزق

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1091.
(2) انظر: المصدر السابق، م2، ص1120.
(3) في ظلال القرآن، م2، ج8، ص1223.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1624.

الحسن: حلاله، يعني: ما يبس منهما من ثمر وزبيب، وما عمل منهما من طلاء – وهو الدبس- وخل ونبيذ حلال يشرب قبل أن يشتد. [1]

لقد منحنا المولى –عز وجل- العديد من الخيرات من خضر وفواكه في حياتنا الدنيوية لننعم بها وهي مصدر بقائنا، ورغم لذتها فإنها لا تساوي شيئا أمام أطعمة الجنة وكمثال على ذلك العنب، حيث "قال أبو حيثمة: حدثنا عبد الله بن جعفر: حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فتقدمنا، ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في صلاتك شيئا ما كنت تصنعه؟ قال: "إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو آتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه» [2]

9- **الحب**: الزرع، صغيرا كان أو كبيرا واحدته حبة، والحب معروف مستعمل في أشياء جمة: حبة من بر وحبة من شعير حتى يقولوا: حبة من عنب، والحبة من الشعير والبر ونحوهما والجمع حبات وحب وحبوب وحبان الأخيرة نادرة، والحبة من الشيء: القطعة منه، ويقال للبرد: حب الغمام وحب المزان، وحب قر. [3]

والحب جمع حبوب وحبان الواحدة "حبة" جمع حبات: البزر، والحبة، جمع حبب: بزرة يغطيها غلاف خشبي كالنواة لكنها أصغر حجما وهي تتكاثر داخل بعض الأثمار كالعنب والتفاح[4] ذكر هذا اللفظ في سياقات متعددة منها قوله تعالى: **«مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم»** البقرة 261.

هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال سعيد بن جبير، يعني في طاعة الله، وقال مكحول يعني به: الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل،

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1638.

(2) حادي الأرواح إلى بلاد الأرواح، ابن القيم الجوزية ، تحقيق: محمد سيد، ط1: 2002-1423، دار الدعوة الاسلامية، الأزهر.ص165.

(3) أنظر: لسان العرب، م4، ص08.

(4) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص113.

وإعداد السلاح وغير ذلك، وعن ابن عباس: الجهاد والحج يضاعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف، وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الاعمال الصالحة ينميها ا - جل وعلا- لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة. [1]

«إن المعنى الذهني للتعبير ينتهي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة إلى سبعمائة حبة أما المشهد الحي الذي يعرضه التعبير فهو أوسع من هذا وأجمل وأكثر استجاشة للمشاعر، وتأثيرا في الضمائر إنه مشد الحياة النامية مشهد الطبيعة الحية، مشهد الزرعة الواهبة، ثم مشهد العجيبة في عالم النبات: العود الذي يحمل سبع سنابل والسنبلة التي تحوي مائة حبة»[2]

ومن معجزاته –جل وعلا- قوله تعالى: "**ﭐن Ŷا فالق الحب والنوىŋ يخرﺝ الحي من الميت ومخرﺝ الميت من الحي**" الأنعام95.

"الحب: اسم جمع لما يثمره النبت واحده حبة، والنوى اسم جمع نواة، والنواة قلب الثمرة، ويطلق على ما في الثمار من القلوب التي منها ينبت شجرها مثل العنب والزيتون"[3]، إنها معجزة الحياة نشأة وحركة في كل لحظة، تنفلق الحبة الساكنة عن نبتة نامية، وتنفلق النواة الهامدة عن شجرة، والحياة الكامنة في الحبة والنواة النامية في النبتة والشجرة سر مكنون لا يعلم حقيقته إلا ا ولا يعلم مصدره إلا ا [4].

ومن الآيات الدالة على عظمة الخالق وسعة علمه لكل ما يحيط بملكوته قوله تعالى: «**وŶندŴ مفاتŋ الغيب لا يعلمŴا ﺇلا ﻫو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة ﺇلا يعلمŴا ولا حبة في ظلمات الأرﺽ ولا رطب ولا يابس ﺇلا في كتاب مبين**» الأنعام59.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن حسان النمري عن ابن عباس قال: ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد ا

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص499.
(2) في ظلال القرآن، م1، ج3، ص306.
(3) التحرير والتنوير، ج7، ص388.
(4) انظر: في ظلال القرآن، م2، ج7، ص1153.

بن محمد بن عبد الرحمن بن المشور الزهري: حدثنا مالك بن سعير حدثنا الأعمش عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد ا بن الحارث قال: ما في الأرض من شجرة، ولا مفرز إبرة إلا عليها ملك موكل يأتي ا بعلمها، رطوبتها إذا رطبت ويبسها إذا يبست [1]

6- الريح والرياح:

- الريح: ج أرياح وأرواح ورياح وجج أراويح وأراييح، الهواء، نسيم كل شيء وهي مؤنثة. والرياح أربع: الجنوب وهي القبلية، والشمال وهي الشمالية، والصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية[2]

ورد هذا النسق بدلالات مختلفة فهو أحيانا دال على البشارة والخير والحياة، كما وضف في أحايين أخرى للدلالة على العذاب والعقاب والنقمة، هذا ما سنبينه في السياقات التالية: قال تعالى: **«وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»**البقرة 64. فالرياح تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه وتارة تجمعه، وتارة تفرقه وتارة تصرفه[3]، فهي ريح خير لأنها تنقل السحاب من مكان لآخر ليعم الخير بتساقط المطر.

ومن الريح التي فيها الخير قوله تعالى: **«وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين»** الحجر 22.

تلقح السحاب فتذر الماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها.

وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد ا بن مسعود قال: ترسل الريح فتحمل الماء من السماء، ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة، وقال عبيد بن عمير الليثي يبعث ا المبشرة فتقم على الأرض قما، ثم يبعث ا المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث ا المؤلفة فتؤلف السحاب، ثم يبعث ا اللواقح فتلقح الشجر. [4]

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1061.
(2) المنجد في اللغة والاعلام ، ص285.
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص345.
(4) انظر: المصدر السابق، م2، ص1604.

كما قرن ا أعمال الذين خسروا آخرتهم وكل ما أنفقوا في دنياهم بالريح فقال: **«مثل ما ينفقون في ǚǛij الحياƔ الدنيا كمثل ريŋ فيǗǋ صر ƪصابت حرث ǫو! ظلموا ƪنفسǋǗ! فƺƘǚlلكته وما ظلمǋǗ! اÎl ولكن ƪنفسǋǗ! يظلمون»** آل عمران117

وقال أيضا: **«مثل اǚǛين كفروا بربǋǗ! ƪƔماǋǗǚ! كرماد اشتدت به الريŋ في يو! ƔاصƩ لا يقدرون مما كسبوا ƔǚƔ شيء ǚlǚ زاو الضǚǚل البعيد»** إبراهيم18

فمشهد "الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلا، يجسمه في هذا المشهد العاصف المتحرك فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع العمل وذهابها بددا".[1]

كما زاوج –المولى- عز وجل- في سياق آخر بذكر رياح الخير وكيف يأمن لها الناس لتنقلب الأوضاع فيحل محلها ريح العذاب والنقمة فقال: **«زاو اǚǛǚ يسيركǋ! في البر والبحر حتƔ ǚƺǚ كنتǋ! في الفلǚ وǚǚارين بǋǗ! بريŋ ƪيبة وفرحوا بǗǋ ǚǚاءتǗǋ ريŋ ƔاصƩ وǚǚاءǚǚ! الموǚ من كل مكان»** يونس22.

ففي هذا الرخاء والمن، وفي هذا السرور الشامل تقع المفاجأة، فتأخذ الآمنين الفرحين فتتناوحت الفلك واضطربت بمن فيها، ولا طمها الموج وشالها وحطمها، ودار بها كالريشة الضائعة في الخضم، وهؤلاء أهلها في فزع يظنون أن لا مناص[2]، فهذا المشهد آية على عظمة الخالق، وعلى قدرته في تغيير الأوضاع من ريح لينة إلى ريح شديدة من موقف فرح وأمان إلى موقف فزع، ولا خلاص لذلك إلا بالدعوة لله والابتهال.

ومن السياقات التي دلت بها الريح على العذاب قوله –جل جلاله-: **«ƪǚ! ƪمنتǋ! ƪن يعيدكǋ! فيه تارƔ ƪخرǚ فيرسل ƔليكǗ! ǫاصفا من الريŋ فيǚرǫكǋ! بما كفرتǋ! ǫǋ! لا تǚǚادوا لكǋ! Ɣلينا به تبيعا»** الاسراء69.

قال ابن عباس وغيره: "القاصف: ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها"[3] فكيف يأمنون أن يردهم ا إلى البحر فيرسل عليهم ريحا قاصفة، تقصف الصواري

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، م4، ج13، ص2094.

[2] انظر: في ظلال القرآن، م3، ج11، ص1774.

[3] تفسير القرآن العظيم، م3، ص1730.

وتحطم السفن فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم[1]

فالريح فيها ما يعود على الإنسان بالخير والمنفعة ومنها ما يعود عليه بالشر، "ولذلك اختار أبو عمرو بن العلاء وعاصم إفراد كل ما في كتاب ا -عز وجل- من ريح العذاب، وجمع كل ما كان من رياح الرحمة فإن قال قائل: قد قال ا -عز وجل- :« وسليمان الريح» فأفرد، فالجواب عن ذلك أن سليمان سخر ا له الصبا فقط رخاء حيث أصاب فكانت تحمل سريره من كابل إلى قزوين في نصف يوم وهي مسيرة شهر"[2].

وأشد أنواع الرياح هلاكا هي الريح العقيم التي سلطت على قوم عاد قال تعالى: «وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم» الذاريات 41. وهي التي لا تنتج خيرا، ولا تثير سحابا ولا تلقح شجرا، بل هي عقيم لا نتيجة خير لها.

لقد أوحى ا تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم...فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد إلا أهلكته. روى مسلم في صحيحه حيث قال: «حدثنا أبو بكر الطامر، حدثنا ابن وهب قال: سمعت ابن جريج، حدثنا عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة قالت: كان رسول ا -صلى ا عليه وسلم- إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشرما أرسلت به»[3] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج

وكما مرّ سابقا فأمهات الرياح أربع: الشمال: وهي للرّوح والنسيم عند العرب، والجنوب للأمطار والأنداء والصبا لإلقاح الأشجار والدبور: للعذاب والبلاء-نعوذ با منها- وأهون الدبور أن تكون عاصفا تقذي العين[4]

وعن عمر بن الفتح قال: حدثنا إسحاق بن حاجب قال: حدثنا أبو إبراهيم الترجماني قال: حدثنا عنبسة عن أبي المهزّم قال: سمعت رسول ا -صلى ا عليه

(1) انظر: في ظلال القرآن، م4، ج15، ص2240.
(2) نصوص في اللغة ، ص29،.
(3) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص99.
(4) نصوص في اللغة، ص29.

وسلم- يقول: «الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواقح التي ذكرها ا في كتابه فيها منافع للناس، والشمال من النار تخرج، فتمر بالجنة فيصيبها نفحة فبردها من تلك النفحة»[1]

ولئن أرجعت أمهات الرياح إلى أربع فهناك من فصل فيها «فإذا وقعت بين الريحين فهي النكباء فإذا وقعت بين الجنوب والصبا فهي الجربياء، فإذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة، فإذا كانت لينة فهي الريدانة، فإذا جاءت بنفس ضعيف وروح فهي النسيم،فإذا ابتدأت بشدة فهي النافجة، فإذا كانت شديدة فهي العاصف والسيهوج، فإذا اشتدت حتى تقلع الخيام فهي الهجوم فإذا صبت من الأرض نحو السماء كالعمود فهي الإعصار، فإذا كانت باردة فهي الحرجف والصرصر، فإذا كانت حارة فهي الحرور والسموم، فإذا لم تلقح شجرا ولم تحمل مطرا فهي عقيم»[2]

من خلال ما مر بنا يتضح لنا أن الرياح تحمل دلالات معينة كدلالة الخير إن كانت بأوصاف معينة، كما أنها قد تكون نذير شؤم ومصدر هلاك فهي تنصر أقواما وتقهر أقواما آخرين.

ولهذا قال رسول ا –صلى ا عليه وسلم- :«نصرت بالصبا –يعني يوم الخندق- وأهلكت عاد بالدبور».[3]

ونبقى دائما مع قوم عاد وريح الدبور (العقيم) التي أهلكهم ا بها والتي دامت سبع ليال وثمانية أيام، فسميت هذه الأيام في مجتمعاتنا بأيام العجوز: حيث قيل: مما بقي من قوم عاد عجوز ترثيهم وتنوح عليهم "وينظر العرب إلى هذه الأيام على أنها أيام نحس حيث يتشاءمون منها، فلم يكن يحدث زواج في هذه الأيام، ولا كي، كما أن الرجل لم يكن يجامع زوجته في هذه الأيام لأنه كان يعتقد أن المرأة إذا حملت سيكون الجنين مشوها، وتكون الأنثى عاقرا، وحسب اعتقادات العديد من الناس في الريف والبادية حتى فترة قريبة من الزمن إلى يومنا هذا –بل ما زال بعضهم يعتقد إلى حد

---

(1) المرجع السابق، ص31.
(2) الفروق في اللغة، ، ص117-118،
(3) نصوص في اللغة، ص29.

ما- بأن الأشجار والنباتات الأخرى التي تزرع في هذه الأيام لا تثمر....ومن الأمثال التي قيلت في هذه الأيام: "ما حلال بيدوم إلا بعد الحسوم"».[1]

نخلص في الاخير لنقول إن دلالات الرياح إما عذاب وإما رحمة "والرياح ثمانية أربعة عذاب: العاصف والكاصف والصرصر والعقيم وأربعة رحمة الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات".[2]

7- الفلكيـات:

1- الهلال: غرة القمر حين يهله الناس في غرة الشهر، وقيل: يسمى هلالا لليلتين من الشهر ثم لا يسمى به إلى أن يعود في الشهر الثاني، وقيل: يسمى به ثلاث ليالٍ ثم يسمى قمرا، وقيل: يسمى هلالا إلى أن يبهر ضوءه سواد الليل، وهذا لا يكون إلا في الليلة السابعة، قال أبو إسحاق: والذي عندي وما عليه الأكثر أن يسمى هلالا ابن ليلتين فإنه في الثالثة يتبين ضوءه، والجمع اهلة[3]

ورد الهلال مقترنا بمناسك الحج في قوله تعالى: **«يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون»** البقرة189.

يعود سبب نزول هذه الاية ما قاله العوفي عن ابن عباس: سأل الناس رسول ا –صلى ا عليه وسلم- عن الأهلة فنزلت هذه الآية يعلمون بها حل دينهم، وعدة نسائهم ووقت حجهم، وقال أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول ا لم خلقت الأهلة؟ فانزل ا الآية، يقول: جعلها ا مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم، وعدة نسائهم ومحل دينهم وقال: محمد بن جابر: عن قيس بن طلق، عن أبيه قال: قال رسول ا –صلى ا عليه وسلم- :«جعل ا الأهلة، فإذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا، فإن أغمي عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»[4]

---

(1) الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية د: علي حسن موسى، ص56-57.

(2) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص79.

(3) انظر: لسان العرب، م15، ص83.

(4) تفسير القرآن العظيم، م1، ص378.

فالهلال عند المسلمين يحمل دلالات متعددة فهو أوّلا ملمح أساسي يرتبط بديننا الإسلامي من صوم وحج وجهاد..الخ، «وكذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقا ثم أخذه في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى فكم في ذلك من حكمة ومصلحة ومنفعة للخلق فإن بذلك يعرفون الشهور والسنين والأجال وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الأعمار ومدد الإجارات وغيرها، وهذا وإن كان يحصل بالشمس إلا أن معرفته بالقمر وزيادته وتقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم»[1]

فالليل فيه علامة مميزة للتأريخ هي الهلال، صحيح أن الشمس تشرق كل صباح وتغرب ولكن الليل يمكن أن نعرف منه الشهر، ولا يتم ذلك إلا بالعين المجردة، ولما كانت التوقيتات الشرعية موقتة بالشهور القمرية، ذكر آية الأهلة في سياق آيات الصيام، وفي مقدمة آيات الجهاد والحج.

الهلال كنسق دلالي مرتبط بتأريخ الأشهر القمرية، والتي شرع فيها المولى – عز وجل- العديد من الاحكام التي ذكرناها كالصوم والحج0و رمز من رموز العقيدة الإسلامية إذن 0.

2- **البروج**: البرج واحد من بروج الفلك، وهي اثنا عشر برجا، كل برج منها منزلتان، وثلث منازل للقمر وثلاثون درجة للشمس، إذا غاب منها ستة طلع ستة، ولكن برج اسم على حدة والجمع أبراج وبروج. [2]

ورد البرج بصيغة الجمع، في قوله تعالى: «**ولو كنتم في بروج مشيدة**» النساء 78. البروج ههنا: الحصون[3]، وقال أيضا: "**ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين**" الحجر16.

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثواقب، بمن تأملها وكرّر النظر يرى فيها من العجائب والآيات الباهرات ما يحار نظره فيه، "ولهذا قال مجاهد وقتادة: البروج ههنا هي، الكواكب، ومنهم من قال: البروج هي: منازل الشمس والقمر، وقال عطية العوفي: البروج ههنا: هي قصور الحرس وجعل

---

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، ص235،.

[2] انظر: لسان العرب، م2، ص50.

[3] انظر: المصدر السابق.م2ص50

الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى فمن تمرد منهم وتقدم لاستراق السمع جاءه"(1)

والبروج اثنا عشر برجا وأسماؤها هي: «الحمل أو الكبش، والثور والجوزاء أو التوأمان، والسرطان والأسد أو الليث والسنبلة أو العذراء والميزان والعقرب والقوس أو الرامي والجدي أو التيس والدلو أو الساقي والحوت أو السمكة»(2)

ولقد أخذت هذه الأبراج أبعادا في أوساط مجتمعاتنا فصارت أحد الدعائم المعول عليها في معرفة الحظ والمستقبل، ولم يستقر الوضع عند الأوساط العامة بل انتشر واستفحل الأمر ليمس الأوساط المتعلمة والمثقفة، وهذا ما نلحظه بجلاء في الجرائد والمجلات فلم تخل جريدة –إن لم أبالغ- إلا وخصصت حيزا من صفحاتها لهذه الأبراج، فصار أول ما يشد انتباه القراء فيطالعونه بشغف هذه الأبراج فيفرحون إذا ابتسم لهم الحظ في حين ترى علامات الحزن والكآبة عليهم إن حدث العكس، وكأنما اعتبروها الحكم الفيصل في سيرورة حياتهم، فالأبراج كنسق دلالي تحيل إلى هذه المعتقدات الغيبة –علم التنجيم- حيث تتخذ لمعرفة المستقبل وكم في ذلك من باطل! .

3- **القمر:** الذي في السماء، والقمر يكون ليلة الثالثة من الشهر والجمع أقمار، وقيل: يسمى القمر لليلتين من أول هلالا ولليلتين من آخره، ويسمى ما بين ذلك قمرا، قال الجوهري: القمر بعد ثلاث على آخر الشهر يسمى قمرا لبياضه(3).

4- **الشمس:** تصغيرها شمسية: جمع شموس، الكوكب النهاري المعروف وهي كرة غازية تقدر درجة حرارتها السطحية بـ 6000 والداخلية ببضعة ملايين، قطرها 109 أضعاف قطر الأرض.

لقد فضلت أن أضم الدراسة المتعلقة بالقمر والشمس وأجعلها واحدة نظرا لاقترانهما المتعدد في المدونة من جهة، ولايراد مجموعة من النصوص التي قيلت فيها معا حتى لا أكررها لاحقا من جهة ثانية.

---

(1) تفسير القرآن العظيم، م، ص1603.

(2) المنجد في اللغة والاعلام، ص31.

(3) انظر: لسان العرب، م12، ص187.

قال تعالى:**«ǖن ربكا! Ŷl ăPl خلق السماوات والأر ƒ في ستة ǘيا! ƥ! استوnjj ĂlŸ العر Σ يƐشي الليل النǛار يǗلبه حثيثا والشمس والقمر والنǛاو! مسخرات بǖمرǽ»** الأعراف 54.

هذه الآية دليل على عظمة الخالق في خلقه السماوات والأرض في مثل هذه المدة الوجيزة وبتعاقب الليل والنهار حيث «يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر، والجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته»(1)

كما ورد هذان النسقان في سياق الحديث عن قصة إبراهيم الخليل –عليه السلام- مصداقا لقوله تعالى:**«فلما رǖnj القمر بازƷƦ قال ǆPlj ربي فلما ǖفل قال لƠن لǛ! يǛدني ربي لأكونن مّن الضالين»** الأنعام 77، وقال أيضا: **«فلما رǖnj الشمس بازŸƦة قال ǆPlj ربي ǆPlj ǖكبر فلما ǖفلت قال ياƾو! ǚني برăء مما تشركون»** الأنعام 78. التجربة تتكرر وكأن إبراهيم لم ير القمر قط، ولم يعرف أن أهله وقومه يعبدونه فهو الليلة في نظره جديد بنوره الذي ينكسب في الوجود، وتفرده في السماء بنوره المبين ولكنّه يغيب والرب –كما يعرفه إبراهيم بفطرته وقلبه لا يغيب. (2)

إنها التجربة الثالثة مع أضخم الأجرام المنظورة أشدها ضوءا وحرارة الشمس والشمس تطلع كل يوم وتغيب، ولكنها اليوم تبدو لعيني إبراهيم كأنّها خلق جديد إنه اليوم يرى الأشياء بكيانه المتطلع إلى إله يطمئن به ويطمئن إليه ويستقر على قرار ثابت بعد الحيرة المقلقة والجهد الطويل....ولكنها كذلك تغيب(3)

تبين إبراهيم –عليه السلام- في الأخير أن هذه الأجرام مسيّرة ومسخرة، فهي لا تملك لنفسها تصرفا، ومثل هذه لا تصلح لان تعبد.

كما وضح المولى –عز وجل- المهام والوظائف التي من أجلها خلق القمر والشمس، فقال: **«فالق الإصباƟ وǛعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ǇلP تقدير العƦيƦ العليƧ!»** الإنعام96. «**ǆPl ăjlو Ǜعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وƾدرǽ منازǅ لتعلموا Ÿدد السنين»** يونس05، **«وسخّر الشمس والقمر كل يǛار لأǛǅ مسمĂ يدبر الأمر يفصل اǓيات لعلكا! بلقاء ربكا! توƾنون»** الرعد02. **«وسخّر لكا! الشمس والقمر**

---

(1) تفسير القرآن العظيم، م2، ص1174.

(2) انظر: في ظلال القرآن م2، ج8، ص1140.

(3) انظر: المصدر السابق، م2، ج8، ص1141.

دائبين وسخر لكم الليل والنهار» إبراهيم39. «**وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**» النحل12.

دعانا المولى –عز وجل- في هذه الآيات وغيرها إلى التدبر في الشمس والقمر فجعل حركتيهما مقدرة، وكل منهما يسير في فلكه يسير بحركة ثابتة ومقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص منها لهما فائدة عظيمة في حياتنا من إنارة وضياء ودفء، وما تزال المواقيت والمواعيد تضبط بالشمس والقمر لكافة الناس فهما عظيمان لكن خالقها أعظم.

ولقد ارتبطت الظواهر الطبيعية باعتقادات وتفسيرات لا تمت إلى الواقع بصلة لدى القدامى، وفي مقدمة هذه الظواهر: الشمس والقمر: ومن هذه الحكايات أنّ «القمر كان يلاحق الشمس في غير انقطاع بمطارحات الحب حتى غضبت الشمس في النهاية فلطخت وجهه المستدير بالرماد لكي يدعها في هدوء، ومنذ ذلك الحين والقمر يحتفظ بتلك البقع السوداء وعلى العموم فإن البقع السوداء التي تظهر في القمر لها تفسيرها لدى الشعوب المختلفة، ومن الغريب أن الشعوب المستقلة تماما عن بعضها البعض تكاد تتفق فيما تحكيه من أن شرير نفي إلى القمر بسبب حمق ارتكبه، وفي بعض الاحيان يفسر هنا السواد على أنّه أرنب أو أطفال»[1].

أما التغيرات التي تطرأ على القمر بمراحله فقيل: «إن القمر عريان لأنه لا يتلاءم معه أي لباس نتيجة لتقلبه بين الزيادة والنقصان، كما يحكى أنه يتحطم في كل شهر»[2]

وفي حكاية إفريقية تتفق الشمس والقمر على أن يطرحا بأولادها في الماء، ولكن القمر يخدع الشمس ويلقي بجوال مملوء حجارة في الماء، ولذلك كانت الشمس وحيدة في السماء، أما القمر فإنه يسير في صبحه أطفاله النجوم في اثناء الليل تحت القبة الزرقاء ومنذئذ والقمر والشمس عدوان[3].

أما تفسير ظاهرتي كسوف الشمس وخسوف القمر «فإنّ هذا يعني لدى كثير من الشعوب أن كائنات هائلة تلاحقهما وتريد أن تبتلعهما، وأنهما يحاولان عن طريق

---

[1] الحكاية الخرافية، الدكتورة: نبيلة إبراهيم، ص93-94.
[2] المرجع السابق، ص93.
[3] انظر: المرجع السابق، ص94.

الصياح والضجيج أو طريق إطلاق السهام وما شابه ذلك من الأعمال أن يطرداها، وتعبر بصفة خاصة الروايات الشرقية ذات الطابع الخرافي عن خشية الشمس والقمر من الحيوان المهول الذي يقتفي أثرهما وغالبا ما يكون هذا الحيوان المهول كلبا أو ذئبا او تنينا أو ماردا كان من قبل مكبلا أو كان مقيما عند جبل ولكنه يجاهد مع قيده ويتخلص منه في نهاية الزمن، وعند ذلك يبتلع النجوم، وبهذا تكون نهاية العالم قد شارفت»[1].

أما ما قيل في بدء خلق الشمس والقمر ما رواه ابن عباس، "قال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول في الشمس والقمر وبدء خلقها ومصير أمرهما، قلنا: بلى يرحمك الله تعالى فقال: إن الله تعالى لما أتقن خلقه إحكاما ولم يبق إلا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كانا من سابق علم الله تعالى أن يدعها شمسا فإنه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها، وأما ما كان من سابق علم الله أن يطمسها ويحولها قمرا فإنه خلقها دون الشمس في العظم ولكن إنما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الأرض فلو ترك الله الشمس كما كان في بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل.... فأرسل جبريل –عليه السلام- فأمر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور»[2]

كان هذا بعض ما قيل عن الشمس والقمر قديما، وكما ارتبط هذان السنقان في قرون مضت بخرافات وأساطير ارتبط كذلك للدلالة على الجمال والحسن؛ لما للشمس من إشراق وضياء، ولما للقمر من نور بخاصة عند اكتماله وخيرما يجسد ذلك ما قاله النبي –صلى الله عليه وسلم- عن يوسف- عليه السلام فقال: «مررت ليلة أسري بي إلى السماء، فرأيت يوسف، فقلت: يا جبريل: من هذا؟ فقال هذا يوسف، قالوا فكيف رأيته يا رسول الله ﷺ قال: كالقمر ليلة البدر»[3]

---

(1) الحكاية الخرافية، نبيلة إبراهيم، ص94.

(2) قصص النبياء المسمى بعرائش المجالس، ص 16-17.

(3) المرجع السابق، ص110.

7- **النلاو!**: النجم في الأصل: اسم لكل واحد من كواكب السماء، وهو بالثريا أخص، فإذا أطلق فإنما يراد به هي[1]

والفرق بين النجم والكوكب أنّ الكوكب اسم الكبير من النجوم، وكوكب كل شيء معظمه والنجوم عام في صغيرها وكبيرها، ويجوز أن يقال: الكواكب هي الثوابت ومنه يقال فيه كوكب من ذهب أو فضة لأنه ثابت لا يزول، والنجم الذي يطلع منها ويغرب، ولهذا قيل للمنجم منجم لأنه ينظر فيما يطلع منها ولا يقال له كوكب[2].

بين المولى –عز وجل- في العديد من الآيات أهمية النجوم في حياتنا فقال: **«وزاو الPă للعل لكا! النلاو! لتللتدوا بللا في ظلمات البر والبحر»** الأنعام97.

قال بعض السلف: من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على ا : أن ا جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين، ويهتدي بها في ظلمات البر والبحر[3]

فالإهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر يحتاج إلى علم بمسالكها ودوراتها ومواقعها ومداراتها كما يحتاج إلى قوم يعلمون دلالة هذا كله على الصانع العزيز الحكيم "فالاهتداء هو الاهتداء في الظلمات الحسية الواقعية، وفي ظلمات العقل والضمير والذين يستخدمون النجوم للاهتداء الحسي ثم لا يصلون ما بين دلالتها ومبدعها هم قوم لم يهتدوا بها، تلك الهداية الكبرى، وهم الذين يقطعون بين الكون وخالقه وبين آيات هذا الكون ودلالتها على المبدع العظيم»[4].

فمهمة النجوم "أن يستعان بها على أمور الدنيا لتعرف بها مقادير الأوقات، فتستغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة"[5].

ومن الآيات التي تبين أهمية النجوم كذلك قوله تعالى: **«وYلُمات وبالنلا! jا! يللتدون»** النحل16. يهتدي بها الناس إلى معالم الطرق في الأرض من جبال ومرتفعات ومنعرجات ويهتدي بها كذلك لمعرفة الأوقات والأزمان، فالنجوم من المخلوقات التي أبدع الخالق في صنعها وسخرها خدمة للإنسان تعينه في أمور حياته

---

(1) انظر: لسان العرب، م14، ص203.
(2) انظر: الفروق في اللغة ، ص298.
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1090.
(4) في ظلال القرآن، م2، ج7، ص1159.
(5) إحياء علوم الدين، ، ص07.

ودينه من معرفة الأوقات لأداء الفرائض والواجبات فدلالتها الحقيقية مرتبطة بالدين وأموره شأنها في ذلك شأن الهلال، لذلك كثيرا ما نجد في الأعلام العربية النجم أو الهلال أو إقترانهما معا ليشير إلى معالم الدين الاسلامي الحنيف.

وقد أثيرت حول النجوم –قديما- حكايات خرافية لا تمت إلى الواقع بصلة فقد قيل عنها أنها، «تتحطم في كل شهر وأن النجوم تصنع من حطام القمر القديم»[1].

أما صور النجوم التي تتساقط بسبب شكلها أو بسبب موقعها فان الحكايات الشعبية والخرافية تشرحها بطريقتها الخاصة «فالنجوم السبعة "بليادن" تظهر في شكل حمامات أو شكل نسوة يلاحقن صائدا أو في شكل دجاجة تصطحب ستة من أفراخها الذهبية، وتحكى في بعض الحكايات الخرافية أن النجوم السبعة إخوة نفوا إلى السماء»[2].

ولأن النجم يعني الظهور والطلوع فقيل: "نجم في بيت فلان شاعر أو فارس إذا نبغ"[3] كما يقال: «ليس لهذا الحديث نجم: أي أصل»[4]، كما يستعمل النجم لكل ما يؤدي من الدين في وقت معين يقال: «جعلت مالي عليه نجوما منجمة يؤدي كل نجم منها في وقت كذا»[5].

8- - **الشهاب**: شعلة نار ساطعة، والجمع شُهُب وشهبان وأشهب، وروى الزهري عن ابن السكيت قال: الشهاب العود الذي فيه نار، وقال أبو الهيثم: الشهاب أصل خشبة أو عود فيها نار ساطعة، ويقال للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل شهاب، والشهب: النجوم السبعة المعروفة بالداراري[6]. قال تعالى: **«إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين»** الحجر18.

مما جاء مصرحا به في صحيح البخاري في تفسير هذه الاية: «حدثنا علي بن عبد ا ، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي –صلى ا عليه وسلم- قال: «إذا قضى ا الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها

(1) الحكاية الخرافية، ص93.
(2) المرجع السابق، ص94.
(3) المنجد في اللغة والاعلام، ص793.
(4) التغيير افصطلاحي كريم زكي حسام الدين، ص183.
(5) المنجد في اللغة والاعلام، ص793
(6) انظر: لسان العرب، م8، ص151.

خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا، ماذا قال ربكم؟ قالوا: الذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر –ووصف سفيان بيده ففرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض- فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، وربما لم يدركه حتى يرمى بها على الذي يليه على الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض»[1].

ولأن الشهاب من أبرز سماته الضياء وتحديد الهدف قيل: «فلان شهاب حرب إذا كان ماضيا فيها، على التشبيه بالكوكب في مضيه»[2].

ولقد حظي الشهاب في أوساط المجتمعات العربية بدلالة معينة، مفادها أن من رأى شهابا يقال له تمنى ما تريد في حياتك قبل أن يختفي فإن أمنيتك ستتحقق فعلا ومازال هذا التفكير الخرافي مستعملا إلى يومنا الحالي حيث إلتقطته مسامعي في العديد من المرات كانت آخرها صائفة العام الماضي، وكأن هذا الشهاب محقق الأمنيات فهو ارتبط هنا بالخرافة.

8- محرمات:

1- **الميسـر**: كل قمار، اللعب بالقداح، الجزور التي كانوا يتقامرون عليها وذلك أنهم كانوا ينحرون الجزور ويقسمونها ثمانية وعشرين قسما أو عشرة أقسام، ثم يضربون بالقداح وفيها الرابح والغفل فمن خرج له قدح رابح فاز وأخذ نصيبه من الجزور، ومن خرج له الغفل غرم ثمنها[3].

ذكر هذا النسق في قوله تعالى: **«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»** البقرة219، وقوله أيضا: **«ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون»** المائدة9.

يقول تعالى ناهيا عباده عن جملة من الأفعال منها الميسر وهو القمار، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: الشطرنج من الميسر، وقال ابن أبي

(1) تفسير القرآن العظيم، م2، ص1603.
(2) المنجد في اللغة والاعلام، ص406.
(3) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص924.

حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا وكيع، عن سفيان عن ليث، عن عطاء ومجاهد وطاوس، قال سفيان: كل شيء من القمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز، وروي عن راشد بن سعد وحمزة بن حبيب، وقالا: حتى الكعاب والجوز والبيض التي يلعب بها الصبيان، وقال موسى بن عقبة عن نافع: عن ابن عمر قال: الميسر هو القمار، وقال الضحاك عن ابن عباس قال: الميسر هو القمار كانوا يتقامرون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام فنهاهم ا عن هذه الأخلاق القبيحة، وقال مالك، عن داود بن الحصين: أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: كان ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين، وقال الزهري عن الأعرج قال: الميسر والضرب بالقداح على الأموال والثمار[1].

المستفاد من نص الآيتين تحريم الميسر لأنه عبارة عن بعثرة الجهد في العبث الذي ينجم عن الفراغ الذي يطارد صاحبه إذ "شاعت قديما مناسبات إجتماعية كان يجري فيها الميسر عن طريق الأزلام، وهي قداح كانوا يستقسمون بها الذبيحة، فيأخذ كل منهم نصيبه منها بحسب قدحه، فالذي قدحه (المعلى) يأخذ النصيب الأوفر، وهكذا حتى يكون من لا نصيب لقدح، وقد يكون هو صاحب الذبيحة فيحشرها كلها"[2].

وما هي في حقيقتها إلا ضربة حظ قد تعود بالخسارة على المستحق لها، وينعم بها من ليس بأهل لها وكم في ذلك من ظلم وتوليد للضغائن والأحقاد بين النفوس إلى حد ارتكاب الجرائم وهذا ما نشهده مجسدا في أيامنا هذه نظرا لعدم امتثالهم لأوامر ونواهي المولى –عز وجل-.

2- **الأنصاب**: النصُب والنصْب كل ما عبد من دون ا تعالى، والجمع أنصاب، وقال الزجاج: النصب جمع واحدتها نصاب، قال: وجائز أن يكون واحدا، وجمعه أنصاب، الجوهري: النصب ما نصب فعبد من دون ا تعالى وكذلك النصب بالصنم، التهذيب: قال الفراء: كان النصاب الآلهة التي كانت تعبد من أحجار0 ابن سيده: والأنصاب حجارة حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها، ويذبح لغير ا تعالى[3]. "النصب

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1001.
[2] في ظلال القرآن، م2، ج7، ص973.
[3] انظر: لسان العرب، م14، ص266.

جمع نصاب ما عبد من دون الله من الأصنام والتماثيل، والأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها و يذبح لغير الله"[1].

3- الأزلام: زلم: وهي القداح التي كانت في الجاهلية، كانت لرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد سفرا أو رواحا وأمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما، فإن خرج الأمر مضى لشانه، وإن خرج النهي كفّ عنه ولم يفعله، والأزلام: كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي وافعل ولا تفعل، قد زلمت وسوّيت ووضعت في الكعبة، يقوم بها سدنة البيت، فإذا أراد رجل سفرا أو نحاكا أتى السادن فقال: اخرج لي زلما، فيخرجه وينظر إليه، فإذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه، وإن خرج قدح النهي قعد عما أراده، وربما كان مع الرّجل زلمان وضعهما في قرابة، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما[2].

ورد هذان النوعان من الشرك بالله في الآية السابقة –آية الميسر- في قوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**» المائدة90.

كانت هذه الذبائح تنحر على الأنصاب وهي أصنام لهم كانوا يذبحون عليها ذبائحهم وينضحونها بدمها (كما كانت تذبح عليها الذبائح التي تقدم للآلهة أي لكهنتها، وفي ذبائح مجالس الخمر وغيرها من المناسبات الإجتماعية التي تشبهها كان يجري الميسر عن طريق الأزلام، وهي قداح كانوا يستقسمون بها الذبيحة، فيأخذ كل منهم نصيبه منها بحسب قدحه، فالذي قدحه (المعلى) يأخذ النصيب الأوفر، وهكذا حتى يكون من لا نصيب لقدحه وقد يكون هو صاحب الذبيحة فيخسرها كلها[3].

وبين المولى –عز وجل- أن الأنصاب والأزلام عبارة عن فسق في قوله: "**وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم**" المائدة03.

قال مجاهد وابن جريج، كانت النصب: حجارة حول الكعبة، وقال ابن جريج، وهي ثلاثمائة وستون نصبا كان العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم، ويضعونه على النصب، فنهى

---

[1] المنجد في اللغة والاعلام، ص811.
[2] انظر: لسان العرب، م7، ص53.
[3] انظر: في ظلال القرآن، م2، ج7، ص973.

ا المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم ا في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه ا ورسوله، كما حرم الاستقسام بالأزلام: واحدها زَلم، وقد تفتح الزاي فيقال: زَلم وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب: (افعل) وعلى الآخر (لاتفعل) و الثالث غفل ليس عليه شيء، ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد: «أمرني ربي»، وعلى الآخر: «نهاني ربي»، والثالث غفل ليس عليه شيء فإذا أجالها فطلع السهم الآمر فعله، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستفهام، والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام. هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا الحجاج بن محمد، أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء ابن عباس قال: والأزلام: قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور. وذكر محمد بن إسحاق وغيره، أن أعظم أصنام قريش صنم كان يقال له: هبل وكان داخل الكعبة، منصوب على بئر فيها، توضع الهدايا وأموال الكعبة فيه وكان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه مما أشكل عليهم، فما أخرج لهم منها رجعوا إليه ولم يعدلوا عنه[1].

4- الأنصاب: "الصنم معروف واحد الأصنام، يقال: إنه معرب شمن، وهو الوثن، قال ابن سيده وهو ينحت عن خشب ويصاغ من فضة ونحاس والجمع أصنام، وقد تكرر في الحديث ذكر الصنم والأصنام وهو ما اتخذ إلها من دون ا ، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن"[2].

"الصنم جمع أصنام: كل ما عبد من دون ا أو كل ما يعبده الوثنيون من صورة أو تمثال فارسية وقيل آرامية أو عبرانية"[3] ارتبط هذا اللفظ بالعقيدة شأنه في ذلك شأن الأنصاب والأزلام بل أكثر إذ تشكلها تدخل في الشرك با وهذا ما يتضح من خلال حوار إبراهيم –عليه السلام- وأبيه آزر، قال تعالى: **«وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين»** الأنعام74.

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص892.
[2] لسان العرب، م8، ص294.
[3] المنجد في اللغة والاعلام، ص438.

إنها الفطرة تنطق على لسان ابراهيم إنه لم يهتد بعد بوعيه وإدراكه –إلى إلهه- ولكن فطرته السليمة تنكر ابتداء أن تكون هذه الأصنام التي يعبدها قومه آلهة –وقوم إبراهيم من الكلدانيين بالعراق- كانوا يعبدون الأصنام كما كانوا يعبدون الكواكب والنجوم، فالإله الذي يعبد والذي يتوجه إليه العباد في السراء والضراء، والذي خلق الناس والأحياء هذا الإله في فطرة إبراهيم لا يمكن أن يكون صنما من حجر، أو وثنا من خشب، وإذا لم تكن هذه الأصنام هي التي تخلق وترزق وتسمع وتستجيب فما هي التي تستحق أن تعبد، وما هي بالتي تتخذ آلهة[1].

ولم يكن قوم إبراهيم الخليل من عبد الأصنام فقط، بل امتد الأمر عبر الأزمان فعبد قوم موسى –عليه السلام- الأصنام واستمر شغفهم بها رغم معرفتهم و إيمانهم قال تعالى: «وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون» الأعراف 138.

يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى –عليه السلام- حين جاوزوا البحر، وقد رأوا من آيات ا وعظيم سلطانه ما رأوا فمروا "على قوم يعكفون على أصنام لهم" قال بعض المفسرين، كانوا من الكنعانيين وقيل، كانوا من لخم، قال ابن جريج: وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر[2]، هاهم أولاء ما يكادون يمرون بقوم يعكفون على أصنام لهم حتى ينسوا تعليم أكثر من عشرين عاما منذ أن جاءهم موسى –عليه السلام- بالتوحيد[3].

ومع إبراهيم –عليه السلام- وقومه-مرة أخرى- فلما تبين له الحق وعرف ا حق معرفته تأكد من بطلان ما يعبد قومه فدعا المولى –عز وجل- أن يجنبه وبنيه هذه الأصنام مصداقا لقوله تعالى: **«وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام»** إبراهيم 35.

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، م2، ج7، ص1138.
[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1203.
[3] انظر: في ظلال القرآن، م3، ج9، ص1366.

ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته، ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس وأنه برئ ممن عبدها وفوض أمرهم إلى ا ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم(1).

9- الأموال وما يدخل فيها:

1- الذهب: التبر، القطعة منه ذهبة، وعلى هذا يذكر ويؤنث والجمع الأذهاب والذهوب(2).

لقد ورد هذا اللفظ في العديد من المرات واقترن بسياقات مختلفة، فقد كان ولا يزال من الأشياء التي حببت للإنسان مصداقا لقوله تعالى: «**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث**» آل عمران14.

إن الذي ترسمه "القناطير المقنطرة، أنها تلقي ظلا خاصا هو المقصود، ظل النهم الشديد لتكديس الذهب والفضة ذلك أن التكديس ذاته شهوة(3).

ورغم نفاسة الذهب وغلائه فإنه لن ينفع صاحبه يوم القيامة إن هو أشرك با وكفر، مصداقا لقوله تعالى: «**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به**» آل عمران 91.

من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدا، ولو كان أنفق ملء الأرض ذهبا فيما يراه قربة كما سئل النبي –صلى ا عليه وسلم- عن عبد ا بن جدعان- وكان يقرى الضيف، ويفك العاني، ويطعم الطعام، هل ينفعه ذلك؟ فقال: "لا، إنه لم يقل يوما من الدهر: رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين" وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضا ذهبا ما قبل منه... ويقتضي ذلك ألا ينقذه من عذاب ا شيء، ولو أنفق مثل الأرض ذهبا، ولو أفتدى نفسه من ا بملء الأرض ذهبا بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها(4).

---

(1) تفسير القرىن العظيم، م2، ص1593.
(2) انظر: لسان العرب، م6، ص48.
(3) انظر: في ظلال القرآن، م1، ج4، ص375.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص582.

الذهب الذي هو مصدر نعمة قد ينقلب على صاحبه فيصير مصدر نعمة وبلاء يجر صاحبه إلى أن يعذب به إن هو إدخره ولم يخرج زكاته، قال تعالى: **«والᵖلين يكنᴿون الᵖjزاب والفضة ولا ينفقونᏓᏓ في سبيل Ŷl فبشرزا! بعᵖاب الي!** (34) **يو! يحمة ŇᏓᏓᏓᏓ في نار ᏓᏓᏓᏓ! فتكوزn ᏓᏓᏓ ᏓᏓᏓᏓᏓᏓ! وللنويᏓᏓ! وظᏓᏓورزا!»** التوبة 35.

سئل عبد ا بن عمر عن الكنز المذموم المتوعد في الآية في الذهب والفضة، ما هوþ فقال: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة[1].

عن أبي الضحى، ابن جعدة بن هبيرة عن علي –رضي ا عنه- قال : قال النبي –صلى ا عليه وسلم-: «تبا للذهب، تبا للفضة» يقولها ثلاثا، قال :فشق ذلك على أصحاب رسول ا –صلى ا عليه وسلم- وقالوا: فأي مال نتخذþ فقال عمر –رضي ا عنه- أنا أعلم لكم ذلك فقال: يا رسول ا ، إن أصحابك قد شق عليهم، وقالوا: فأي مال نتخذþ قال: «لسانا ذاكرا، قلبا شاكرا، وزوجة تعين أحدكم على دينه»[2].

ويبقى الذهب من أنواع الجزاء التي يتنعم به الإنسان في أخراه إن منح الجنة – إن شاء - لقوله تعالى: **«يحلون فيᏓᏓ من ᶜساور من ᵖjزاب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكᶿين فيᏓᏓ ĂŁŶ الأراþᶿ نعا! الثواب وحسنت مرتفقا»** الكهف31.

فهم في أنواع من النعيم من سندس واستبرق تزيد عليها أساور من ذهب للزينة والمتاع[3].

2- **الفضة:** من الجواهر والجمع فضض وشيء مفضض مموه بالفضة[4] أو مرصع بالفضة، الفضة جوهر ثمين أبيض تضرب منه النقود، وتصنع أنواع من الحلي والأواني[5].

الفضة كذلك من المعادن النفيسة ولقد ارتبط ذكرها مع الذهب إلا أنها أقل قيمة منه لذا ترد دائما تالية له في الذكر كما مر بنا مع تفسيرهما في قوله تعالى: **«ᴿين للناس حب الشᏓᏓوات من النساء والبنين والقنᶰير المقنᶰرᶉ من الᵖjزاب**

[1] انظر: التحرير والتنوير، ج10، ص177.
[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1346.
[3] انظر: في ظلال القرىن، م4، ج15، ص2270.
[4] انظر: لسان العرب، م11، ص192.
[5] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص586.

والفضة...»آل عمران14. **«والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»** التوبة34.

3- **الدرهم:** "الدرهم والدرهَم لغتان فارسي معرب ملحق ببناء كلامهم وجمع الدرهم: دراهم0 ابن سيده وجاء في تكسيره الدراهيم، ورجل مدرهم، كثير الدراهم»(1).

درهم: جمع دراهم: قطعة من فضة مضروبة للمعاملة يونانية، والدراهم عند المولدين تطلق على النقود مطلقا(2).

ورد هذا اللفظ في سياق بيع يوسف –عليه السلام- من طرف إخوته 0قال تعالى: **«وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين»** يوسف 20.

"دراهم يدل من (ثمن) وهي جمع درهم وهو السكوك، وهو معرب عن الفارسية"(3).

«فعن ابن مسعود باعوه بعشرين درهما، وكذا قال ابن عباس ونوف البكالي والسدي وقتادة وعطية العوفي وزاد: أقسموها درهمين درهمين، وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهما، وقال محمد بن اسحاق وعكرمة، أربعون درهما»(4).

4- **الورِق:** الوَرِق والوِرق جمع: أوراق ووِراق، الدراهم المضروبة

ذكر هذا اللفظ مرة واحدة في سياق ذكر قصة أصحاب الكهف بعدما استفظوا وما دار بينهم من نقاش توصلوا من خلاله إلى ما قاله تعالى على لسان أحدهم: «**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا**» الكهف19. «"بورقكم" أي: فضتكم هذه، وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها فتصدقوا منها وبقي منها(5).

(1) لسان العرب، م5، ص253.
(2) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص214.
(3) التحرير والتنوير، ج12، ص144.
(4) تفسير القرآن العظيم، م2 ص1503.
(5) تفسير القرآن العظيم: م3، ص1764، وانظر: في ظلال القرآن: م4، ج15.

وقيل: الوَرِق: الفضة مطلقا، أي الدراهم التي كانت معهم من بيوت آبائهم...وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس وكان الواحد منها قدر خف ولد الناقة الصغير(1).

5- **الدينار:** "فارسي معرب، وأصله دِنّار بالتشديد، قال أبو منصور: دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية غير أن العرب تكلمت بها قديما فصارت عربية، ورجل مُدَنّر: كثير الدنانير"(2) الدينار:" جمع دنانير: ضرب من قديم النقود الذهبية (لاتينية)" (3).

ورد هذا النسق في بيان الفروقات بين أهل الكتاب في آدائهم للأمانة وحفظها تجلى ذلك في قوله تعالى: **«ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما»** آل عمران 75.

يخبر تعالى عن اليهود بأن فيهم الخونة، ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم فإن منهم من إن تأمنه بقنطار من المال يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقك، وإذا كان هذا صنيعه في الدينار فما فوقه أولى ألا يؤديه،...والدينار معروف، وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية عن زياد بن الهيثم، حدثني مالك بن دينار قال: إنما سمي الدينار لأنه دين-نار- وقال: معناه: أنه من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النار(4).

فدلالة الدينار هنا دلت على قلة القيمة في المال بمقارنتها بلفظة القنطار.

10-1 الملابس والأثواب:

1- **اللباس:** ما يلبس وكذلك الملبس واللِّبس بالكسر مثله، ابن سيده: لبس الثوب يلبسه لبسا وألبسه إياه: وألبس عليك ثوبك وثوب لبس إذا كثر لبسه(5).

---

(1) انظر: حاشية العلامة الصاوي علىتفسير الجلالين، م3، ج3، ص08.
(2) لسان العرب، م05، ص294.
(3) المنجد في اللغة والاعلام، ص226.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص574.
(5) انظر: لسان العرب، م13، ص161.

2- **الريش:** الريش والرياش: الخصب والمعاش والمال والأثاث، واللباس الحسن الفاخر عن ابن جني قال: رياش قد تكون جمع ريش، وقال محمد بن سلام: سمعت سلاما أبا منذر القارئ يقول الريش الزينة والرياش كل اللباس.

وقال ابن السكيت: قالت بنو كلاب الرياش هو الأثاث من المتاع ما كان من لباس أو حشو من فراش أو دثار، والريش المتاع والأموال، وقد يكون في النبات دون المال، وإنه لحسن الريش أي الثياب(1).

ورد هذان اللفظان في قوله تعالى: «يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون» الأعراف26. يمتن تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والرياش، فاللباس المذكور ههنا لستر العورات –وهي السوآت- والرياش والريش: هو ما يتجمل به ظاهرا، فالأول من الضروريات والريش من التكملات والزيادات، قال ابن جرير: "الرياش" في كلام العرب: الأثاث، وما ظهر من الثياب وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الريش: المال، وكذا قال مجاهد، وعروة بن الزبير والسدي والضحاك، وقال العوفي عن ابن عباس: "الرياش، اللباس والعيش والنعيم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "الرياش" الجمال، وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا مختار بن نافع الثمار، عن أبي مطر، أنه رأى عليا –رضي الله عنه- أتى غلاما حدثا، فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم، ولبسه إلى ما بين الرسغين على الكعبين، يقول ولبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتي، فقيل: هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: هذا شيء سمعته من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول عند الكسوة: «الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتي»(2) إن الله –عز وجل- يذكر عباده بنعمته عليهم وفي حكمة تشريع اللباس حفاظا لأجسامهم وصيانة لإنسانيتهم حتى لا تدنو إلى الحيوانات

(1) انظر: المصدر السابق، م6، ص277.
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1156.

«واللباس قد يطلق على ما يواري السوأة وهو اللباس الداخلي، والرياش قد يطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به وهو ظاهر الثياب»[1].

3- **السربال:** "القميص والدرع، وقيل: كل مالبس فهو سربال، وقد تسربل به وسربله إياه، وسربلته فتسربل أي ألبسته السربال، والجمع على سرابيل، وقيل في قوله تعالى: سرابيل تقيكم الحر﴾ إنها القميص تقني الحر والبرد، وأما قوله تعالى: وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ فهي الدروع»[2].

وتسربل: ألبسه السربال، تسربل بالسربال: تلبس به، تقول العامة: "تسربل الرجل" إذا ارتبك في أمره حتى لا يدري كيف يتصرف فيه.

السربال جمع سرابيل: القميص أو كل ما يلبس[3].

ورد هذا اللفظ مرتبطا بمشهد مرعب تجسد في نوع السربال الذي يرتديه الكفار يوم القيامة في قوله –جل وعلا-: **«سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار»**إبراهيم50. فمشهد المجرمين، اثنين اثنين مقرونين في الوثاق، يمرون صفا وراء صف، مشهد مذل دال كذلك على قدرة القهار، ويضاف على قربهم في الوثاق أن سرابيلهم وثيابهم من مادة شديدة القابلية للالتهاب، وهي في ذات الوقت قذرة سوداء ففيها الذل والتحقير، وفيها الإيحاء بشدة الاشتعال بمجرد قربهم من النار[4].

قال الإمام أحمد –رحمه ا - حدثنا يحي بن إسحاق أنبأنا ابن يزيد عن يحي بن أبي كثير، عن زيد عن أبي سلام عن أبي مالك الاشعري قال: قال رسو ا –صلى ا عليه وسلم- «أربع من أمر الجاهلية لا يتركن، الفخر بالحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» انفرد بإخراجه مسلم[5] .إن كانت السرابيل في الآية السابقة دلت على ذلة الكفار، وشدة ما يلاقونه من عذاب كونها من قطران، فإن السربال في الحياة الدنيوية هو مصدر عز الإنسان، إذ به يتميز عن سائر أصناف الحيوانات إضافة إلى فائدته في مقاومة شتى التغيرات الجوية من حر

---

[1] في ظلال القرآن، م3، ج8، ص1279.
[2] لسان العرب، م7، ص162.
[3] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص329.
[4] انظر: في ظلال القرآن، م4، ج13.
[5] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1599.

وبرد، قال تعالى: **«وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم»** النحل81.

4- **القميص :** الذي يلبس معروف مذكر، وقد يعني به الدرع فيؤنث والجمع: أقمصة وقمص وقمصان[1] "قميص، جمع أقمصة وقُمُص وقمصان: ما يلبس على الجلد يذكر ويؤنث"[2].

ارتبط القميص في المدونة بقميص يوسف –عليه السلام- وتعددت سياقاته، وكان القميص في كل مرة شاهدا على براءة يوسف وعونا له، قال تعالى: **«وجاءوا على قميصه بدم كذب»** يوسف18 هذه الآية بينت الحيلة التي لجأ إليها أخوة يوسف – عليه السلام- حين أرادوا أن يوهموا أباهم أن الذئب قد افتك بأخيهم.

ذكر مجاهد والسدي أن إخوة يوسف –عليه السلام- عمدوا إلى سخلة فذبحوها، ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب، وقد أصابه من دمه، ولكنهم نسوا أن يخرقوه، فلهذا لم يرُج هذا الصنيع على نبي ا يعقوب، فقال الثوري عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لو أكله السبع لخرق القميص، وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد[3].

والسياق الثاني الذي ذكر فيه القميص قوله –جل وعلا- :**«واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب»** يوسف25.

وهذه الآية نزلت في يوسف –عليه السلام- وامرأة العزيز، حين أرادت الفاحشة، ونفر يوسف –عليه السلام- من ذلك الفعل، وكان القميص ههنا شاهدا مرة أخرى على براءة يوسف حيث أخبر تعالى «عن حالهما حين خرجا يستبقان إلى الباب، ويوسف هارب، والمراة تطلبه ليرجع على البيت، فلحقته في أثناء ذلك أمسكت بقميصه من ورائه فقدته قدًا فظيعا، يقال إنه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في أثره»[4].

---

(1) انظر: لسان العرب، م12، ص189.
(2) المنجد في اللغو والاعلام، ص654.
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1502.
(4) تفسير القرآن العظيم، م2، ص1506.

عندما اتهمت امرأة العزيز يوسف –عليه السلام- برغبته في الفاحشة دافع عن نفسه من خلال هذه الآيات في قوله تعالى: «**قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (26) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (27) فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم!** (28)» يوسف.

فإن كان قميصه قد من قبل فذلك إذن من أثر مدافعتها له، وهو يريد الاعتداء عليها فهي صادقة وهو كاذب وإن كان قميصه قد من دبر فهو إذن من أثر تملصه منها وتعقبها هي له حتى الباب وهي كاذبة وهو صادق[1].

وتتجلى معجزة أخرى من معجزات قميص يوسف – عليه السلام- في قوله تعالى: «**اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا**» يوسف 93.

"يقول: اذهبوا بهذا القميص «فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وكان قد عمي من كثرة البكاء"[2].

كيف عرف يوسف أن رائحته ستترد إلى أبيه بصره الكليل؟ ذلك مما علمه ا ، والمفاجأة تصنع في كثير من الحالات فعل الخارقة، ومالها لا تكون خارقة ويوسف نبي رسول، ويعقوب نبي رسول، مفاجأة القميص هو دليل على يوسف وقرب لقياه، ومفاجأة ارتداد البصر بعدما ابيضت عيناه[3].

من آيات قميص يوسف –عليه السلام- «ما رواه ابن فتحويه قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد ا بن ثابت، أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال: كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاءوا به على أبيه، فقالوا: أكله الذئب، فقال أبوه: لئن أكله الذئب ليشقن قميصه، وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خاف فعرف الوزير أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيرا»[4].

(1) انظر: في ظلال القرآن م4، ج12، ص1983.
(2) تفسير القرآن العظيم، م2، ص1523.
(3) انظر: في ظلال القرآن، م4، ج13، ص2028.
(4) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، ص117.

وقيل إن هذا القميص العجيب يعود إلى سيدنا إبراهيم الخليل –عليه السلام- حين ألقى في النار جرد من ثيابه، وقذف في النار عريانا، فأتاه جبريل –عليه السلام- بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلما مات إبراهيم ورثه إسحاق، فلما مات إسحاق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه، فلما ألقى في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فأخرج القميص وألبسه إياه، وجعل يؤنسه بالنهار(1).

5-**السندس:** الجوهرى في الثلاثي: السندس البزيون، وفي الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم- بعث إلى عمر –رضي الله عنه- بحلة سندس، وقال المفسرون في السندس: إنه رقيق الديباج ورفيعه وفي تفسير الإستبرق إنه غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه.

الليث: السندس ضرب من البزيون يتخذ من المرعزي ولم يختلف أهل اللغة فيهما أنهما معربان، وقيل في السندس ضرب من البرود(2).

6- الاستبرق: غليظ الديباج(3)

ذكر هذا اللفظان في بيان لباس أهل الجنة. وإن كان مر بنا أن لباس أهل النار كان سرابيل من قطران، فإن لباس أهل الجنة لونها أخضر مصنوعة من السندس والإستبرق، قال تعالى «**يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق**» الكهف 31.

قال جماعة من المفسرين: السندس ما رق من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه وقالت طائفة ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيق

وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به(4).

(1) انظر: المرجع السابق، ص115، وحاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالتين، م2، ج2، ص236.
(2) انظر: لسان العرب، م7، ص274.
(3) انظر: المصدر السابق..ص274
(4) انظر: حادي الأرواح على بلاد الفراح، ا ص184،

ورد في التفسير "السندس لباس رقاع رقاق كالقمصان وما جرى مجراها، وأما الإستبرق فغليظ الديباج وموازين العدل وفيه بريق"(1).

وقيل: هم يتنعمون في ألوان الحرير من سندس ناعم خفيف ومن إستبرق محمل كثيف(2).

11- موازين العدل:

1- **المكيال:** الكيل: كيل البر ونحوه وهو مصدر كال الطعام ونحوه يكيل كيلا ومكالا ومكيلا أيضا، وقيل: المكيال: ما يكال به حديد كان أو خشبا والكيل والمكيل والمكيلة: ما كيل به(3).

2- **الميزان**: قال أبو منصور: رأيت العرب يسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المسواة من الحجارة والحديد موازين، واحدها ميزان: وهي المثاقيل واحدها مثقال، ويقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضا(4).

3- **القسطاس**: القسطاس والقسطاس، أعدل الموازين وأقومها، وقيل:هو شاهين الزجاج، وقيل: القسطاس القرسطون وقيل: هو القبان، والقسطاس: هو ميزان العدل أي ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها(5)

ورد المكيال والميزان في المدونة مقترنا بأصحاب مدين قوم شعيب –عليه السلام- حيث كانوا أهل تطفيف في المكاييل والموازين قال تعالى: **«وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان»** هود84. وقال أيضا: **«وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط»** هود85.

أما القسطاس فقد ورد في سياق قريب من هذا المعنى حين دعا المولى –عز وجل- إلى العدل في الكيل فقال: « **وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا»** الإسراء35 "القسطاس" قرىء بضم القاف وكسرها هو الميزان، وقال مجاهد هو العدل بالرومية(6)

(1) تفسير القرآن العظيم، م3، ص1772.

(2) انظر: في ظلال القرآن، م4، ج15، ص2270.

(3) انظر: لسان العرب، م13، ص143.

(4) انظر: المصدر السابق، م15، ص205.

(5) انظر: المصدر السابق، م13، ص102.

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، م3، ص1715.

ولئن اختلفت هذه الكلمات الثلاث في ألفاظها فإنها تجتمع في المعنى وهو الدلالة على العدل «فالقسط هو العدل البين الظاهر ومنه يسمى المكيال قسطا والميزان قسطا لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهرا، وقد يكون من العدل ما يخفى... وتقسط القوم الشيء، تقاسموا بالقسط»[1]

وخلاصة ذلك أن الميزان أو المكيال والقسطاس تحمل دلالة مشتركة هي الدلالة على العدل، وخير ما يجسد ذلك أن الميزان صار رمزا للعدل نشاهده مجسدا أمام المحاكم.

[1] الفروق في اللغة، ص229.

إن باب الأنساق المتعلقة بالأشياء يتسع لكل ما هو خارج عن نطاق الإنسان والحيوان إذ يدخل فيه ما يلي: أنواع الطعام، واللباس، والظواهر الطبيعية... وغيرها: وهذه الانساق تؤدي بالإضافة إلى معانيها الحقيقية دلالات أخرى شاعت في أوساط المجتمعات وعرفت بها، وهذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل و ذلك بترتيب هذه الأنساق وفق أسبقية ورودها في المدونة.

1- الكتاب وما يتصل به:

1- **الكتاب**: الكتاب معروف والجمع كتب والكتب كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة وكتبه خطة، قال الأزهري، الكتاب اسم لما كتب مجموعا والكتاب مصدرا، والكتابة لمن تكون له صناعة[1]

والكتاب: جمع كتب وكتب: ما يكتب فيه، سمي بذلك لجمعه أبوابه وفصوله ومسائله[2] لقد ورد هذا النسق في المدونة لا ليشير إلى كل ما كتب وجمع في فصول وأبواب وإنما ليقصد به الكتاب السماوي أو الكتب السماوية التي أنزلها ا على أنبيائه الصالحين فمن الدلالات التي انتقل إليها هذا الكتاب الدلالة على التوراة أو الانجيل، أو القرآن الكريم أو الدلالة على جميع الكتب المنزلة.

ونسق الكتاب أول ماذكر ككر للدلالة على النص القرآني فلا بأس من إيراد بعض الايات التي تشير إلى ذلك.

قال تعالى: «**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**»البقرة02. و"الكتاب" القرآن ومن قال: إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل، كما حكاه ابن جرير وغيره، فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع، وتكلف ما لا علم له به.[3]

كما قال قطب: «لا بد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم، وبقلب خالص». وقوله تعالى أيضا: «**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**»[4] البقرة151.

---

[1] انظر لسان العرب، م3،ص17.

[2] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص671.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص124.

[4] في ظلال القرآن سيد قطب، م1، ج1، ص39.

ومعنى تعليمهم الكتاب –وهو القرآن- والحكمة هي السنة[1]

وقال -جل شانه-: «**نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل**» آل عمران03. وقال: «**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**» آل عمران07 حيث يخبر تعالى: أن القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم[2].

هذا بالإضافة إلى العديد من الآيات التي دلّ الكتاب بها على القرآن*

كما ورد لفظ الكتاب للدلالة على التوراة ومن بين هذه المواضع قوله تعالى: «**وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون**» البقرة53.

والكتاب هو التوراة، والفرقان وهو ما يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال[3] وقوله أيضا: «**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** »البقرة75. والكتاب هنا التوراة بدليل وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم، وما لهم[4].

وقال أيضا: «**قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا**»الأنعام91 والتوراة قد أنزلها الله على موسى بن عمران نورا وهدى للناس ليستضاء بها فى كشف المشكلات ويهدى بها من ظلم الشبهات[5]

كما أنّ هناك آيات أخرى ورد فيها الكتاب للدلالة على التوراة**

---

(1) أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص337.

(2) أنظر: المصدر السابق، م1، ص536.

* آل عمران164، النساء105، النساء136، الأنعام114، الأعراف2، الأعراف52، هود01، يونس01، يوسف01، الرعد01، الرعد36، ابراهيم01، النحل64، النحل89، الكهف01، الكهف27...

(3) أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص197، في ظلال القرآن، م1، ج1، ص71

(4) أنظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ج1، ص71.

(5) أنظر: المصدر السابق، م2، ص1086،

**الأنعام155، هود17، هود110، الاسراء2.

كما وردت آيات كثيرة تشمل الحديث عن كتابي اليهود والنصارى وهما التوراة والإنجيل وفي كثير من الحالات يقترن لفظ الكتاب مع لفظ أهل، الذي يعود على اليهود والنصارى ومن النماذج على ذلك قوله تعالى: **«وϸ كثيرϗ من ﻷjij ال الكتاب لو يردونكا! من بعد ﻹيمانكا! كفارا حسدا من Ύند ﻷنفسهϒ! من بعد ما تبين لهϒ! الحق»** البقرة109

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود للعرب حسدا، إذ خصهم ا برسوله –صلى ا عليه وسلم- وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا فأنزل ا فيهما هذه الآية[1].

وقال أيضا: **«وϳا! يتلون الكتاب كϯϳϰ قال الϱين لا يعلمون مثل قولهϒ! فاΎ يحكا! بينهϒ! يوا! القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»** القبرة113.

فهم يعلمون أن شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت، ولكن تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد[2] .من الآيات كذلك التى دلت بلفظ الكتاب على التوراة والإنجيل*

كما ذكر لفظ الكتاب للدلالة على جميع الكتب المنزلة ومن بين هذه المواضع قوله تعالى: **«ﻹن الϱين يكتمون ما ﻷنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﻷولϯ يلعنهϒ! اΎ ويلعنهϒ! اللΎعنون»** البقرة159.

لقد كان أهل الكتاب يعرفون مما بين أيديهم من الكتاب مدى ما في رسالة محمد –صلى ا عليه وسلم- من حق، ومدى ما في الأوامر التي تبلغها من صدق، وفي هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب[3]. وقال أيضا: **«ولكن البرϗ من ءامن باΎ واليوا! اϴخر والمϴϸكة والكتاب والنبيين وءاتى المال Ύلى حبه ϯوϖ القربى واليتامى والمساكين»** البقرة177.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، م1، ص280.

[2] المصدر السابق، م2، ص283.

* البقرة144، البقرة145، البقرة146، 174، 175، 176، آل عمران 20، 23، 65، 69، 70، 71، 72، 75، 78، 110، 113، 186، 199، النساء 44، 84، 123، 159، المائدة05، 15، 68، الانعام157، التوبة29، الرعد36،.....

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص343، وفي ظلال القرآن، م1، ج2، ص150.

والكتاب: هو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن الكريم المهيمن على ما قبله من الكتب والذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ ا به كل ما سواه من الكتب قبله[1] ومن الآيات كذلك التي استعمل فيها الكتاب ليشير إلى جميع الكتب السماوية* كما ورد الكتاب ليشير إلى فعل الكتابة في قوله تعالى: **«ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل»** آل عمران48.

والظاهر أن المراد بالكتاب ههنا الكتابة[2] وقوله كذلك: **«وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل»** المائدة 110.

والكتاب هنا بمعنى: الخط والفهم[3]

نلمح من خلال هذه السياقات التي ورد فيها الكتاب أنه يفيد دلالات متعددة فبالإضافة إلى معناه الحقيقي الذي يفيد الكتابة التي تتم في أوراق يدل على كل كتاب أنزله المولى –عز وجل- على أنبيائه المرسلين فدل على الزبر والصحف والتوراة والإنجيل، وكان آخرها القرآن الكريم الذي جمع بين ثناياه ما جاءت به الكتب السابقة، وهذه الكتب المقدسة وعلى رأسها القرآن العظيم- بالتحديد- لم تنزل في بداية أمرها في كتاب جامع، وإنما أنزلت سورا وآيات مفرقة كتبت على الصخور والجلود واللحاف...لكي لا تنسى، ثم جمعت في كتاب، فقد سبق في علم المولى –عز وجل- أن هذا الأمر سوف يحدث، فلو لم تجمع لتساءل القارئ لهذه الآيات وغيرها –أين هذا الكتاب؟

2- **الألواح**: كل صحيفة عريضة من صفائح الخشب، قال الأزهري: اللوح صفيحة من صفائح الخشب والكتف إذا كتب عليها سميت لوحا، واللوح الذي يكتب فيه، واللوح: اللوح المحفوظ، وفي التنزيل: في لوح محفوظ؛ يعني مستودع مشيئات ا

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص353.

* آل عمران119، النساء54، يونس94.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص562.

(3) انظر: المصدر السابق، م2، ص1032.

تعالى، وإنما هو المثل الأعلى، وكل عظم عريض لوح والجمع منها ألواح وألاويح جمع الجمع[1].

الألواح في المدونة اقترنت بألواح موسى –عليه السلام- التي منحه ا إياها، قال تعالى: **«ولما رﷲع موسة Ǎlā قومه 3ضبان ʗسفا قال بئسما خلفتموني من بعدة ǎ ʗﷲYﷲلت! ʗمر ربكا! وǍلقة الألواɲ وʗخɁ برʗس ʗخيه يﷲره Lلiليه»** الأعراف150.

وقال أيضا: **«ولما سكت Yن موسة ǍالƸضب ʗخɁ الألواɲ وفي نسختﷲNJ njزادj ورحمة للɁين زا! لربﷲNJ! يرزابون»** الأعراف154.

أما مما صنعت هذه الألواح فقيل: «كانت الألواح من زمرد: وقيل: من ياقوت، وقيل: من بُرْد»[2] . وهناك من فصل فيها فقال: «بعث ا تعالى جبريل –عليه السلام- إلى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ منها الألواح من زمرد أخضر، ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا، وصار النور قلما أطول مما بين السماء والأرض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا، وذلك يوم الجمعة وأشرقت الأرض بالنور»[3]

فألواح موسى –عليه السلام- لم تكن ألواحا مألوفة من خشب، وإنما كانت من مادة نفيسة جلبت من الجنة، وأهم من ذلك أن ما كتب فيها لم يكن كلاما عاديا، وإنما كان كلام الرحمن فالألواح في مضمونها شأنها شأن الكتب المقدسة إن لم تكن هي نفسها التوراة.

وهذه الألواح لم تبق على سابق عهدها "فلما رجع موسى رأى قومه حول العجل، وما يصنعون به ألقى الألواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذي كان فيها ولم يبق فيها إلا سدسها، ثم أعيدت له في لوحين"[4].

---

[1] أنظر: لسان العرب، م13، ص250.
[2] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1209.
[3] قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، ص207.
[4] المرجع السابق، ص214.

3- **القرطاس**: القُرطاس والقِرطاس والقُرطس والقَرطاس كله: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، الأخيرتان عن اللحياني[1].

القُرطس القَرطس والقَرطاس والقرطاس جمع قراطيس: الصحيفة التي يكتب فيها، والقُرطاس: جمع قَراطيس بَرديّ مصري، والصحيفة من أي شيء كانت[2]

ورد هذا اللفظ في بيان كفر وعناد المشركين في عدم تصديقهم لما أنزل عليهم، قال تعالى: **«ولو نزلنا عليك كتـابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين»** الأنعام07 " لو أن الله سبحانه -نزل على رسوله- صلى الله عليه وسلم- هذا القرآن لا عن طريق الوحي الذي لا يرونه، ولكن فى ورقة منظورة ملموسة محسوسة ثم لمسوا هم هذه الورقة بأيديهم لا سماعا عن غيرهم، ولا مجرد رؤية بعيونهم ما سلموا بهذا الذي يرونه ويلمسونه ولقالوا: جازمين مؤكدين: «إنّ هذا إلا سحر مبين»"[3]

كما ذكر القرطاس في موضع آخر في قوله تعالى: **«قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا»** الأنعام91. قراطيس: قطعا يكتبونها من الكتاب الأصلي (التوراة) الذي بأيديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويأولون . [4]

4- **الزبر**: زَبَرَ زَبْرًا البئر: بناها بالحجارة أي طواها بها فتماسكت واستحكمت، البناء: وضع بعضه فوق بعض، وعن الأمر: منعه ونهاه عنه لأن زبرته عن الضلال فقد أحكمته كزبْر البئر بالطي، وزبَر، زبْرا وزبّر وازدبر، الكتاب: كتبه والزبْر: الكتابة والكلام، والزبور، جمع زبُر: الكتاب، والزبور جمع زُبُر: الكتاب وغلب على مزامير داود النبي. [5]

---

[1] انظر: لسان العرب، م12، ص74.
[2] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص621.
[3] في ظلال القرآن، م2، ج6، ص1039.
[4] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1086.
[5] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص293.

لقد ذكر هذا اللفظ بصيغة الجمع في قوله تعالى: **«فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير»** آل عمران184.

"والزبر: هنا الصحائف المتضمنة للتوجيهات الإلهية"[1]

وقال أيضا: **«بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»** النحل44، "والزبر" وهي الكتب، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم، والزبر: جمع زبور تقول العرب: زبرت الكتاب إذا كتبته.[2]

كما ذكر هذا اللفظ بصيغة المفرد وخص بكتاب أو مزامير داوود عليه السلام في قوله تعالى: **«وآتينا داوود زبورا»** النساء163.

وقال أيضا: «**وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبورا»** الاسراء55. الزبور: اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داوود عليه السلام[3]

وما جاء به داود في الزبور أمر تجمع عليه كل الشرائع وهو تمجيد الله والثناء عليه....وقد يقول قائل: ما معنى الزبور؟ نقول: المادة مأخوذة من زبر البئر فعندما يقوم الناس بحفر بئر ليأخذوا منها الماء، فإنهم يخافون أن ينهال التراب من جوانبه عليه فيطم البئر؛ لذلك يصنعون لجدران البئر بطانة من الحجارة...فكلمة زبر البئر تؤدي معنى كل عملية لإصلاح البئر ثم أخذ الناس هذه الكلمة في معاني مختلفة فسموا العقل زبرا؛ لأنه يعقل الأمور فإذا كان السياج من الحجارة يعقل التراب عن البئر، فكذلك العقل يحمي الإنسان من الشطط.[4]

5- **القلم**: الذي يكتب به، والجمع أقلام وقلام، قال ابن بري: وجمع أقلام أقاليم، والقلم: الزلم والقلم: السهم الذي يجال بين القوم في القمار وجمعها أقلام[5]

---

[1] في ظلال القرآن، م1، ج4، ص138.
[2] انظر تفسير القرآن العظيم، م2، ص1633.
[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص862.
[4] انظر: قصص الأنبياء، محمد الشعراوي، م4، ص2204.
[5] انظر: لسان العرب، م12، ص182.

ذكر القلم في المدونة لا ليشير إلى القلم الذي يكتب به، وإنما ليدل على الزلم، قال تعالى: «**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كانت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون**» آل عمران44.

نزلت هذه الآية حين اقترع القوم أيهم يكفل مريم –عليها السلام- حين جاءت بها أمها وليدة إلى الهيكل وفاء لنذرها وعهدها مع ربها «قال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين، حدثني حجاج: عن ابن جريج، عن القاسم بن أبي بزة، عن عكرمة وأبي بكر قال: «خرجت بها –يعني أم مريم بمريم – تحملها في خرقها إلى بني الكاهن بن هارون أخي موسى، -عليها السلام- قال: وهم يومئذ يلون في بيت المقدس، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حررتها وهي ابنتي ولا تدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردها إلى بيتي، فقالوا: هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة فقال زكرياء: إدفعوها إلي، فإن خالتها تحتي، فقالوا: لا تطيب أنفسنا، هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا بأقلامهم عليها التي يكتبون بها التوراة، فقرعهم زكريا فكفلها»[1]

وقد ذكرت بعض الروايات أنهم ألقوا بأقلامهم في نهر الأردن فجرت مع التيار إلا قلم زكريا فثبت وكانت هذه هي العلامة بينهم فسلموا مريم له[2]

أما القلم كنسق دلالي فإنه يحمل دلالة القدسية –إن صح التعبير- فهو الذي يدون به ورغم أنه مر بأطوار متعددة فتعرض للتطور من قصب إلى ما هو عليه الآن بأشكاله المتنوعة فإن مهمته الأساسية بقيت خالدة فهو يدل على فعل الكتابة والتدوين ولولاه لما كنا تعرفنا عن ماضينا السحيق، ولا تعلمنا، فجدير به أن يحمل هذه الدلالة لما يوحي به من علم ومعرفة هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى يحق له أن ينال هذه المكانة لما رُوي "أن أول ما خلق ا القلم فنظر إليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والأرض فانشق نصفين وقال أكتب فقال: يا رب ما أكتب؟ قال: أكتب بسم ا الرحمن الرحيم، ثم قال له: أجرِ بما هو كائن إلى يوم القيامة".[3]

---

(1) تفسير القرآن العظيم، م1، ص561.

(2) انظر: في ظلال القرآن، م1، ج4، ص396، تفسير القرآن العظيم، م1، ص561.

(3) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، ص14.

2- النـار ودركاتها:

1- النار ودلالاتها:

-النار: مشتقة من نار ينور نورا ونيارا، والنار من بعيد: تبصرها، وجمعها: أنور ونيران ونيرة، جوهر لطيف مضيء محرق، والكلمة مؤنثة وقد تذكر وتصغيرها نويرة(1) ورد هذا النسق في المدونة مرات عديدة نذكر منها، قوله تعالى: «**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون**» البقرة17 لقد استوقدوا النار، فلما أضاء لهم نورها لم ينتفعوا بها وهم طالبوها عندئذ ذهب ا بنورهم الذي طلبوه ثم تركوه وتركهم في ظلمات لا يبصرون جزاء إعراضهم عن النور(2) إن النار في هذه الآية أريد بها نار الحياة الدنيا والإنسان بحاجة إليها لتلبية منافعه من إنارة وطهي...في حين ذكرت النار الأخروية كعقاب للكافرين قال جل شانه: «**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**» البقرة24. إنه لمشهد مفزع، مشهد النار التي تأكل الأحجار ومشهد الناس الذين تزحمهم هذه الأحجار في النار(3)

ومن السياقات التي وردت فيها النار للدلالة على نار جهنم قوله تعالى: «**أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم**» التوبة109.

«إنه قائم على حافة جرف ينهار، قائم على تربة مخلخلة مستعدة للانهيار إننا نبصره اللحظة يتأرجح ويتزحلق وينزلق إنه ينهار!إنه ينزلق إنه يهوى إن الهوة تلتهمه يا للهول! إنها نار جهنم»(4)

ولقد بين المولى –جل وعلا- مشهد الناس في نار جهنم مكروبي الأنفاس فقال: «**فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق**» هود106.

كما أورد في سياق آخر حال نار جهنم وهي محيطة بأصحابها فلا مفر لهم منها فقال: "**إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل**

---

(1) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص845.

(2) انظر: في ظلال القرآن، م1، ج1، ص46.

(3) انظر: المصدر السابق، م1، ج1، ص49.

(4) المصدر السابق، م3، ج11، ص1711.

يشوة الوللاوا" الكهف19، فالنار ذات سرادق يحيط بالظالمين فلا سبيل إلى الهرب، ولا أمل في النجاة والإفلات ولا مطمع في منفذ تهب منه نسمة، أو يكون فيه استرواح[1]

كما بين تعالى في سياقات أخرى أن النار هي المادة التي خلق منها الجن وعلى رأسهم إبليس –عليه اللعنة- فقال تعالى: «**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**»الأعراف12.

إن إبليس اللعين نظر إلى أصل العنصر فبين أنه خير من آدم لأنه خلق من نار وهذا الأخير خلق من طين، ولم ينظر إلى التشريف العظيم وهو أن الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه[2]

وبين في سياق آخر أن جميع الجن خلقت من نار فقال: «**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**» الحجر27.

قال ابن عباس: هي السموم التي تقتل، وقال بعضهم السموم بالليل والنهار، ومنهم من يقول: السموم بالليل والحرور بالنهار، وقال أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة عن أبي اسحاق قال: دخلت على عمرو الأصم أعوده، فقال: ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله بن مسعود يقول: هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان، وعن ابن عباس إن الجان خلق من لهب النار، وفي رواية: من أحسن النار، وعن عمرو بن دينار: من نار الشمس.[3]

من خلال تتبع سياقات هذه الآيات يتضح لنا أنّ هناك فروقا جوهرية بين النار الدنيوية التي سخرها الله لنا في المقام الأول للمنفعة من إنارة، وبعث دفء وطهي طعام..وبين النار الأخروية التى سلطت للعقاب والتعذيب، وروي أن النار الدنيوية مصدرها النار الأخروية ذلك «أن آدم-عليه الصلاة والسلام- بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذي أصابك؟ فقال: أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا أجد إلى العبادة منه سبيلا وإني أجد بين لحمي وجلدي دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل، ذلك يسمى

---

[1] انظر: المصدر السابق، م4، ج15، ص2269.
[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1151.
[3] انظر: المصدر السابق، م2، ص1606.

الجوع، قال وكيف الخلاص من ذلك، قال: سوف أهديك إلى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين أحمرين والعلاة يعني- السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين- ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم فطار منه شرارة فوقعت في البحر فدخل جبريل إليها وأتى بها فدفعها إلى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات، فذلك قول النبي – صلى ا عليه وسلم- "إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع مرات، فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار فقالت: يا آدم إني لا أطيعك وإني منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل: يا آدم إنها لن تطيعك ولكني أسجنها لك ولأولادك ليكون لك ولأولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحديد" [1]

وفي بيان عظمة نار جهنم «قال الأوزاعي: بلغني أن جبريل –عليه السلام- أتى النبي- صلى ا عليه وسلم- فقال يا جبريل صف لي النار فقال: إن ا تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه»[2] ومما قيل في نار الدنيا ونار الآخرة ليتضح الفرق بين دلالتيهما «أن نار الدنيا قطعا من جهنم غمست في البحر سبع مرات ثم أخذها أوقد على جهنم ثلاثة آلاف سنة: ألف حتى ابيضت وألف حتى احمرت وألف حتى اسودت فهي الآن سوداء مظلمة»[3]

ولأن النار إذا شبت في مكان ما لن تنطفئ إلا إذا صيرته رمادا أسود، فيتعين أثرها ومكانها بجلاء بمقارنته مع باقي الأماكن التي لم تصلها، كذلك الشأن بالنسبة لآكل المال الحرام من ربا أو سحت أو رشوة....وبخاصة آكل أموال اليتامى ظلما حيث بين تعالى أن آكله إنما يأكل نارا مصداقا لقوله تعالى: **«إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا»** النساء 10.

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، ص35.
(2) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس، ص52،51.
(3) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م1، ج1، ص16.

فكما تصير النار المكان رمادا وسوادا، يميل جسم آكل الحرام شيئا فشيئا إلى السواد حتى لا يبقى فيه مكانا دالا على نقائه حتى وإن لم يظهر للعيان كما يظهر الرماد في البقعة المحترقة.

ومن الدلالات التي تفيدها النار بالإضافة إلى ما قلناه الدلالة على هيجان الحرب فيقال: أوقد نار الحرب، أي أوجد شرها وهيّجها، كما يقال: لا تستضيء بنار فلان، أي لا تستشيره، ويقال كذلك: لا تتراءى ناراهما، أي لا يجتمعان بحيث تكون نار أحدهما تقابل نار الآخر.[1]

2- النار الأخروية

لقد أوضحنا أن النار الأخروية تزيد عن النار الدنيوية بتسع وستين درجة، وهذا أكبر دليل حسي على مدى شدتها وعظمتها، ويبقى في هذا العنصر "النار" الأخروية سؤال مفاده: هل النار الأخروية متساوية في درجاتها؟

إن ما أوضحه القرآن العظيم والسنّة النبوية الشريفة يؤكد أن نار الآخرة متفاوتة لتفاوت أعمال العباد، وما كسبوا من خير وشر في حياتهم الدنيوية، وهذا هو مقتضى العدل الإلهي أنّ كل نفس توفى ما عملت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، حيث قسمت النار إلى أبواب عرفت بـ دركات جهنم كل دركة عذابها أسوء من التي سبقتها وأخف من التي تليها «قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»[2] ، وقال أيضا –عليه أفضل صلاة وسلام: "منهم –من أهل النار- من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوتة"، وفي هذا أظهر دليل وأوضحه على تفاوت العذاب بين أهل النار»[3]

ولقد صرح النص القرآني بجميع دركات جهنم وقدرت بسبع وهي " أعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد –صلى الله عليه وسلم- وهي التي

---

(1) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص845.

(2) عقيدة المؤمن: ابو بكر جابر الجزائري، دار البيان العربي، الأزهر، ص316.

(3) المرجع السابق، ص317.

تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية"[1]

قال الضحاك: في الدرك الأعلى المحمديون، وفي الثاني: النصارى، وفي الثالث: اليهود، وفي الرابع: الصائبون، وفي الخامس: المجوس، وفي السادس: مشركو العرب، وفي السابع: المنافقون[2]

والدركات التي وردت في المدونة هي:جهنم والسعير والهاوية التي كني عنها بالدرك الأسفل والجحيم

1- **ﷲﷲﻨـ!**: الجهنام: القعر البعيد، وبئر جهنم وجهنام: بكسر الجيم والهاء: بعيدة القعر، وبه سميت جهنم لبعد قعرها، ولم يقولو جهنام فيها، وجهنم: من أسماء النار التي يعذب ا بها عباده –نعوذ با منها- هذه عبارة الجوهرى ولوقال: يعذب بها من استحق العذاب من عبيده كان أجود0 و في جهنم قولان، جهنم: اسم النار التي يعذب ا بها في الآخرة وهي أعجمية لا تجرى للتعريف والعجمة، وقال آخرون، جهنم عربي سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها[3]. "جهنم: دار العقاب الأبدي بعد الموت، ممنوعة من الصرف (عبرانية)". [4]

إن لفظ جهنم وإن كنا قد اشرنا –سابقا- إلى أنه الدرك الأعلى والذي خص ا به عصاة أمة محمد –صلى ا عليه وسلم- فإنه ورد في المدونة في العديد من المرات ليشير إلى النار بصفة عامة ومن هذه السياقات قوله تعالى في بيان جزاء من قتل متعمدا: «**ومن يقتل مDمنا متعمدا فﷲDIRﷲ ﷲﷲﻨ! خالدا فيﷲ وﯕضب اﷲ Ŷ ليه وŶ٤د له Ŷ PŶابا Ŷظيما**» النساء93. وخير ما يجسد ما قلناه آنفا قوله تعالى: «**وŵن ﷲﷲﻨ! لموŶدزا! ٤ﷲمعينŮ ﷲﷲ سبعة ٤بواب لكل باب منﷲ! ﷲRﷲ ء مقسو!**»الحجر 43، 44.

---

[1] التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآPرة، شمس الدين أبي عبد اŸ محمد بن ابي بكر بن فرج النصاري القرطبي قدم له وضبط نصه وPرج أحاديثه: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، ص393.

[2] المرجع السابق، ص393.

[3] أنظر: لسان العرب، م3، ص230.

[4] المنجد في اللغة والاعلام، ص108.

أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب، قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله، قال إسماعيل بن علية وشعبة كلاهما، عن أبي هارون الغنوي، عن حطان بن عبد الله أنه قال: سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال: إن أبواب جهنم هكذا –قال أبو هارون: أطباقا بعضها فوق بعض، وقال إسرائيل، عن أبي اسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن علي –رضي الله عنه- قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تملأ كلها، وقال ابن جريج: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم ثم الهاوية.[1]

وفي بيان عاقبة الكافرين الذين لم يتبعوا الهدى والحق، قال تعالى: **«ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا»** الاسراء97.

وقيل إنما سميت جهنم بهذا الاسم "لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذابا من غيره"[2] ،وعن لون جهنم قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- :"أترونها –نار جهنم- حمراء كناركم هذه؟ لهي أسود من القار"[3] وعن عمقها "قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "إن الصخرة لتلقى من شفير جهنم فتهوى سبعين عاما، وما تفضي إلى قرارها"، وعن أبي هريرة قال: "كنا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إذ سمع وجبة، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم- : تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها».[4]

وخير ما يجسد هول نار جهنم وشدتها "ما رواه إبراهيم بن هدية قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : «لو أن جهنميا من أهل جهنم

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1608.
(2) التذكرة، القرطبي، ص396.
(3) عقيدة المؤمن، ص307.
(4) المرجع السابق، ص308.

أخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصرونها لأحرقت الدنيا من حرها، ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى»".[1]

2- **السعير**: السعير والساعورة، النار وقيل: لهبها، والسعار والسعر، حرها والمسعر والمسعار: ما سعرت به، ويقال لما تحرك به النار من حديد أو خشب: مسعر ومسعار ويجمعان على مساعير ومسعر الحرب: موقدها[2]

سعر سعرا النار: أشعلها، سعرناهم بالنبل: أحرقناهم وأمضضناهم، سعر الرجل: ضربته السموم، سعر النار: أشعلها، أسعر النار: أشعلها، تسعرت النار: اتقدت، السعر: الحر، السعير جمع سعر: لهب النار[3]

ورد هذا اللفظ في بيان العقاب الذي ينتظر آكل أموال اليتامى ظلما في قوله – جل وعلا-: **"إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا»** النساء10 الذين أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون نارا تتأجج في بطونهم يوم القيامة، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا عبيدة، أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، حدثنا أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله، ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال «انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير، رجال كل رجل منهم له مشفران كمشفري البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في فى أحدهم حتى يخرج من أسفله، ولهم جوار وصراخ، قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، "إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا" وقال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه، يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم.[4]

---

[1] التذكرة: القرطبي، ص407.

[2] انظر: لسان العرب، م7، ص188.

[3] انظر، المنجد في اللغو والاعلام، ص334.

[4] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص686.

كما ذكر هذا اللفظ ليراد به المعنى اللغوي وهو الاستعار والتاجج في قوله تعالى: **«مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا»** الإسراء 97.

إن السعير هو الدرك السادس في ترتيب طبقات النار وهو أشدها لهبا وعذابا باستثناء الهاوية، وقيل إنما سمي السعير "لأنه يسعر بهم، ولم يطف منذ خلق. فيه ثلاثمائة قصر في كل قصر ثلاثمائة بيت، في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب، وفيه الحيات والعقاب والقيود والسلاسل والأغلال، وفيه جب الحزن ليس في النار عذاب أشد منه إذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزنا شديدا»[1]

3- **الهاوية**: هوى هويا وهُويا وهويانا الشيء: سقط من علو إلى اسفل، وقيل: الهَوي للارتفاع والهُوي للانحدار هاوية: من أسماء جهنم معرفة ممنوعة من الصرف، وتدخلها أل تلحق الصفة فيقال "الهاوية"[2]

ولم تذكر الهاوية في المدونة باسمها الصريح، وإنما كني عنها بلفظ: الدرك الأسفل الذي خصصه المولى –عز وجل- للمنافقين في قوله: **«إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا»** النساء145.

قال الوالي عن ابن عباس: في أسفل النار: وقال غيره: النار دركات كما أن الجنة درجات، وقال سفيان الثوري عن عاصم، عن ذكوان أبي صالح قال: في توابيت ترتج عليهم، وروى ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان، عن عبيد ا بن موسى، عن إسرائيل، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: الدرك الاسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم، وقال ابن جرير، حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل، عن حيثمة، عن عبد ا بن مسعود قال: في توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مقفلة، رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشبح، عن وكيع ، سفيان، عن سلمة، عن خيثمة، عن ابن مسعود قال: في توابيت من حديد مبهمة عليهم، ومعنى قوله: مبهمة، أي مغلقة مقفلة لا يهتدى لمكان فتحها.[3]

---

(1) التذكرة، القرطبي، ص397.

(2) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص878.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص841.

والدرك الأسفل يقال له "الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبدا، وفيه بئر الهبهاب، وإذا فتح الهبهاب يخرج منه نار تستعيذ منه النار"(1)

ومما يدل على عظمة نار جهنم وشدتها بصفة عامة أن "أبوابها حديد، وفرشها شوك، غشاءها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج، النار من فوقهم والنار من تحتهم لهم من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة مدلهمة مزجت بغضب ا »(2) نعوذ با منها ومن سخط الرحمن.

4- الجحيم: أجحم منه، كف كاجحم وأجحم الرجل: دنا أن يهلكه، والجحيم، اسم من أسماء النار، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم.

ابن سيده: الجحيم: النار الشديدة التأجج كما أججوا نار إبراهيم النبي –على نبينا وعليه الصلاة والسلام- فهي تجحم جحوما أي توقد توقدا، وكذلك الجحمة والجُحمة، قال ساعده بن جؤية:

إن تائه في نهار الصيف لا تره إلا يجمع ما يصلى من الجُحم

ورأيت جُحمة النار: أي توقدها وكل نار توقد على نار جحيم، وهي نار جاحمة، وأنشد الأصمعي: وضالة مثل الجحيم الموقد. ويقال للنار: جاحم أي توقد وإلتهاب، وقال بعضهم: هو يتجاحم أي يتحرق حرصا وبخلا وهو الجحيم، وهو من أسماء جهنم، وأصله ما اشتد لهبه من النار(3)

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: « **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**» التوبة113. لم يشر "ابن كثير" إلى معنى الجحيم ودرجته وإنما سماه بمرادفه: النار(4)

(1) التذكرة، ص397.
(2) المرجع السابق، ص397.
(3) انظر: لسان العرب، م3، ص83.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1401.

والجحيم هو الدرك الخامس من درجات جهنم "ويقال له الجحيم لأنه عظيم الحمرة، الحمرة الواحدة أعظم من الدنيا»[1].

3- **التنور:** لاختلاف العلماء والمفسرين في بيان المعنى والدلالة الحقيقية للفظ التنور إرتأيت أن أضمه إلى حقل النار ودركاتها لتقارب دلالة العلماء عليه بأنه موقد النار

التنور:نوع من الكوانين، الجوهري التنور: الذي يخبز فيه، وفي الحديث: قال لرجل عليه ثوب معصفر: لو أن ثوبك في تنور أهلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب وأحرقه، قال ابن الأثير: وإنما أراد أنك لو صرفت ثمنه إلى دقيق تخبز، أو حطب تطبخ به كان خيرا لك كأنه كره الثوب المعصفر، والتنور الذي يخبز فيه، والتنور وجه الأرض فارسي معرب[2].

ورد التنور مقترنا بقصة نوح –عليه السلام- وبالضبط حين أوحي إليه المولى – عز وجل- بهلاك قومه وموعد ذلك فوران التنور، قال تعالى: «**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل**» هود40.

عن ابن عباس: التنور: وجه الأرض: أي صارت الأرض عيونا تفور، حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار، وصارت تفور ماء، وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- التنور: فلق الصبح وتنوير الفجر، وهو ضياؤه وإشراقه، وقال مجاهد والشعبي: كان هذا التنور بالكوفة وعن ابن عباس: عين بالهند، وعن قتادة، عين بالجزيرة يقال لها: عين الوردة[3].

والتنور مما اتفق في لغة العرب والعجم كالصابون ورثه نوح –عليه السلام- من أمه حواء والأشهر أنه كان بالكوفة، وكان وقت فوران التنور وغليانه وقت طلوع الفجر[4].

---

[1] التذكرة، ص397.
[2] انظر: لسان العرب، م2، ص241.
[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1461.
[4] انظر: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، م2، ج2، ص215.

قال الحسن أراد بالتنور الذي يخبز فيه وكان التنور لآدم ثم انتقل إلى نوح فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره ا تعالى[1].

كل هذه الأقوال تكاد تتفق وتجمع على أن التنور هو ما يُطهى فيه، في حين نقرأ تفسيرا مغايرا مفاده ما قاله بعض المفسرين وهو أعنى-التنور- «يشير إلى سفينة نوح التى كانت بخارية، وأن قوم نوح كانوا قد بلغوا في المدنية شأوا بعيدا فاستخدموا البخار وأجروا به السفن»[2] فمهما كان أمر التنور فإنه دال فى الآية على حلول العذاب الذى سلط على قوم نوح –عليه السلام-

3 - **الجنة ودرجاتها**: إن الحديث عن الجنة ودرجاتها يثلج الصدر، ويقوي عزيمة المرء ليسعى جاهدا لتحصيلها ومما جاء في وصفها "ما روي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول ا –صلى ا عليه وسلم- ذات يوم لأصحابه "ألا مشمر للجنة؟ بأن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبد في جدة ونضرة في دار عالية سليمة بهية، قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول ا ، قال: «قولوا إن شاء ا ، ثم ذكر الجهاد وحض عليه».[3]

كما ذكر المولى –عز وجل- في سياقات متعددة جهنم لتدل على جميع أبواب النار، خص الجنة كذلك للدلالة على كل أبواب الجنة بدرجاتها المتفاوتة، وسأتتبع هنا – إن شاء ا - ما جاء عن الجنة وبعض درجاتها.

1-الجنـة: الحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها، وقال أبو علي: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك، وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، والجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة من الإجتنان وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف

---

(1) انظر: قصص الأنبياء المسمى بعرائس ا لمجالس، ص54.
(2) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص46، ط2، مكتبة الرحاب بور سعيد.
(3) التذكرة، ص458.

أغصانها، قال: وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنة جنا إذا ستره فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإظلالها.[1]

جنَّ: جنًا وجُنونا وجنان الليل: أظلم أو اختلطت ظلمته، جنَّ جنا، الجنين في الرحم: استتر الجنّة جمع جنان وجنّات: الحديقة ذات الشجر قيل لها ذلك لسترها الأرض بظلالها.[2]

والجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين، «وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، ومنه سمي البستان جنة، لأنه يستر داخله بالأشجار وتغطيه، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الشجار مختلف الأنواع».[3]

ولأن لفظ الجنة تكرر كثيرا لذا اقتصرت- ههنا -بذكر بعض السياقات فقط، قال تعالى: **«وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون»** البقرة25.

فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار أي: من تحت أشجارها وغرفها وقد جاء في الحديث: أن أنهارها تجري في غير أخدود، وجاء في الكوثر أن حافيته قباب اللؤلؤ المجوف، ولا منافاة بينها فطينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر، وعن أبي هريرة قال: قال رسول ا –صلى ا عليه وسلم- : "أنهار الجنة تفجر تحت تلال أو من تحت جبال المسك"[4]

وذكرت الجنة في قصة آدم –عليه السلام- في قوله- جل وعلا- " **«وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين»** البقرة35 "لقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم هي في السماء أم

(1) انظر: لسن العرب، م3، ص221.
(2) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص102.
(3) حادي الرواح الى بلاد الأفراح، ابن القيم الجوزية، ص91.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص59.

في الارضþ والأكثرون على الأول، وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض"[1]

وأحسن جزاء يناله العبد المؤمن في الدار الآخرة قوله تعالى: «**ƌن Ŷl اشترnjz من المƉمنين ƍنفسNJ! وƍموالNJ! بƋن لNJ! اللانة يقتلون في سبيل Ŷl فيقتلون وƞقتلون وƳدا ƴليه حقا في التوراƅ والإنالايل والقرƃن**» التوبة111.

يخبر تعالى أنه عوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإذا قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، ولهذا قال: الحسن البصري وقتادة: بايعهم و ا فأغلى ثمنهم[2]

صدق من قال عن ا قد أعلى ثمنهم حين جازاهم الجنة، نظرا لما ينتظرهم من جزاء كريم وتعالوا نتعرف على أدنى أهل الجنة حيث "روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن سعيد عن النبي –صلى ا عليه وسلم- قال :«سأل موسى –عليه السلام- ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلةþ قال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذانهمþ!! فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنياþ فيقول: رضيت رب، فيقول: له لك ذلك ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلةþ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وجثمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»[3]

ومن أسماء الجنة:

-دار السلام!: السلام: اسم من التسليم كالكلام من التكليم، التحية، الاستسلام للانقياد والطاعة والسلام: من أسماء ا لسلامته تعالى من النقص والعيب والفناء، دار السلام: الجنة[4]

ورد هذا اللفظ في موضعين في قوله تعالى:

---

(1) المصدر السابق، م1، ص73.
(2) انظر: المصدر السابق، م2، ص1397.
(3) حادي الأرواح الى بلاد الأفراد، ص102.
(4) أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص347.

«لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون» الأنعام127.

«والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» يونس25.

دار السلام وهي الجنة، وإنما وصف ا الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيما سكلوه من الصراط المستقيم المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا على دار السلام والسلام- وهو ا - وليهم وحافظهم وناصرهم ومؤيدهم، جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأثابهم الجنة بمنه وكرمه[1] "وقد سماها ا بهذا الاسم وهي أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار ا واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهله في قوله: **«سلام عليكم بما صبرتم»**"[2] الرعد24.

2- **الفردوس**: "جمع فراديس: البستان والجنة، الروضة، خضرة الأعشاب يذكر ويؤنث، فردوس النعيم، اسم للجنة"[3].

والفردوس: اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس، البستان والفراديس البساتين، قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم، يقال كرم مفردس أي معرش، وقال الضحاك: هي الجنة المكثفة بالأشجار، وهو اختيار المبرد، وقال: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجر الملتف والأغاب عليه العنب وجمعه: الفراديس، قال: ولهذا سمي باب الفراديس بالشام وأنشد لجرير (البسيط)

فقلت للركب إذا جد المسير بنا   يا بعد نيرين من باب الفراديس

وقال مجاهد: هذا البستان بالرومية، واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية قال: وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين قال حسان[4] (الطويل)

وإن ثواب ا كل مخلد   جنان من الفردوس فيها يخلد

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، م2، ص1113.
(2) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص92.
(3) المنجد في اللغة والاعلام، ص575.
(4) انظر: حادي الأرواح الى بلاد الأفراح، ص95.

ولقد ذكرت هذه الجنة –الفردوس- في بيان النعيم الذي ينتظر المؤمنين والصالحين في قوله تعالى:"**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**» الكهف 107 قال مجاهد: الفردوس هو: البستان بالرومية، وقال كعب والسدي والضحاك: هو البستان الذي فيه شجر العناب، وقال أبو أمامة: الفردوس: سرة الجنة، وقال قتادة: الفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها، وقد روى هذا مرفوعا من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي –صلى ا عليه وسلم- "الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأحسنها"[1] والفردوس أعلى الجنات "لقوله –صلى ا عليه وسلم- "إذا سألتم ا فاسألوه الفردوس"[2] وعن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول ا –صلى ا عليه وسلم- يقول: "الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس منها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم ا فاسألوه الفردوس»[3]

ومما يزيد من عظمة الفردوس أن ا –جل وعلا- خلقها بيده في مجموع ما خلق لقوله –صلى ا عليه وسلم-: «خلق ا ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث" قالوا: يا رسول ا قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ قال: "الذي يقر السوء في أهله"[4]

وعن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: خلق ا جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات، فيقول: ازدادي طيبا لأوليائي ازدادي حسنا لأوليائي"[5]

اللهم نسألك الجنة اللهم نسألك الفردوس.

3-عدن: عدن فلان بالمكان يعدن عدنا وعدونا: أقام وعدنت البلاد: توطنته، ومركز كل شيء معدنه وجنات عدن منه أي جنات إقامة لمكان الخلد، وجنات عدن

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، م3، ص1804.
[2] التذكرة، القرطبي، ص455.
[3] انظر: المرجع السابق، ص472، حادي الأرواح الى بلاد الأفراح، ص169.
[4] حادي الأرواح الى بلاد الأفراح، ص101.
[5] انظر: المرجع السابق، ص101.

بطنانها وسطها وبطنان الأدوية: المواضع التي يستربض فيها ماء السبيل فيكرم نباتها، واحدها بطن[1] جنة عدن: الموضع الذي وضع ا فيه آدم، جنات عدن: جنات إقامة الخلود، وأصل ذلك من عدن البلد توطنه.[2]

ورد اسم هذه الجنة في بيان الجزاء الذي ينتظره عباد ا المؤمنين مصداقا لقوله تعالى: **«وYد اÎ المDمنين والمDمنات اللنات تاللارة من تحتاNN الأنNNار خالدين فيNN ومساكن لايبة في اللنات Yدن ورضوان من اÎ أكبر pJp زاو الفوR العظيا!»** التوبة72.

«يخبر تعالى بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن أبي موسى عبد ا بن قيس الشعري، عن أبيه قال: قال رسول ا –صلى ا عليه وسلم- "جنتان من ذهب آنيتهما وما فيها، وجنتان من فضة آنيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظر وإلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"».[3]

4- الشللار وما يصنع منNN:

1- الشللارY الشجرة الواحدة تجمع على الشّجر والشجرات والأشجار، والشّجر والشّجر من النبات: ما قام على ساق، وقيل: الشجر كل ما سما بنفسه دقّ أو جلّ قاوم الشتاء أو عجز عنه، والواحدة من كل ذلك شجرة وشّجرة[4]

أول مرة ذكر فيها لفظ الشجرة هي التي يمكن أن نطلق عليها شجرة الإمتحان حين امتحن ا عبده آدم –عليه السلام- فمنحه نّعم الجنّة كاملة يتمتع بها حيث يشاء عدا شجرة واحدة نهاه عنها فقال: **«وقلنا ياآدم! اسكن أنت وRوpك اللنة وكلا منNN رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشللارY فتكونا من الظالمين»** البقرة35.

وقال أيضا: **«وياآدم! اسكن أنت وRوpك اللنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشللارY فتكونا من الظالمين»** الأعراف19.

---

[1] انظر: السان العرب، م10، ص65.
[2] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص492
[3] تفسير القرآن العظيم، م2، ص1370.
[4]

1الأماكن

أ – الأماكن الخاصة :

1 - البيت: البيت من الشعر ما زاد على طريقة واحدة يقع على الصغير والكبير و يقال للمبنى من غير الأبنية التي هي الأخبية بيت والخباء بيت صغير من صوف أو شعر فإذا كان أكبر من الخباء فهو بيت ثم مظلة إذا كبرت عن البيت وهى تسمى بيتا أيضا إذا كان ضخما مروقا .وبيت الرجل داره وبيته وقصره [(1)]

تكرر هذا اللفظ مرات عديدة في المدونة منها قوله تعالى:**<وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود>**البقرة125

يتضح من خلال هذه الآية أن هذا البيت لم يكن كسائر البيوت فهو بيت خصص للعبادة وبالتالي ارتبط بمعتقد ديني بناه سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل-عليهما السلام –بإيعاز من المولى –عز وجل-وقد كان أول بيت وضع لعبادة الله مصداقا لقوله تعالى <**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**>آل عمران96

قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا شريك عن مجاهد عن الشعبى عن على قال كانت البيوت قبلة ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله تعالى قال وحدثنا أبى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل إلى على فقال ألا تحدثنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الأرض.قال لا ولكنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا [(2)]

وما دام هذا البيت خص لعبادة الله فقد بين المولى فى سياق آخر الفريضة التى تؤدى

([1]) انظر لسان العرب م 2ص185

(2)انظر تفسير القرآن العظيم م1 ص586

فيه ألا وهى الحج فقال : " **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** " آل عمران 97

فهذا هو البيت الذي اختاره الله للمسلمين قبلة هو بيت الله الذي جعل له هذه الكرامة ، وهو أول بيت أقيم في الأرض للعبادة ، وهو بيت أبيهم إبراهيم، وفيه شواهد على بناء إبراهيم له ، والإسلام هو ملة إبراهيم فبيته هو أولى بيت بأن يتجه إليه المسلون ، وهو بمثابة الأمان في الأرض ، وفيه هدى للناس ، بما أنه مثابة هذا الدين[1]

كما بين المولى بعض الطقوس التي كان يقوم بها الكفار زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – وهي عادات توارثوها عن أجدادهم قال تعالى " **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** " الأنفال 35

قال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد حدثنا يونس بن محمد المؤدب : حدثنا يعقوب ، حدثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر وتصفق والمكاء : التصفير وإنما تشبهوا بصفير الطير والتصدية التصفيق [2]

وعن أبي عمر أيضا أنه قال : " كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون " رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عنه ، وقال عكرمة : كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد ، وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي – صلى الله عليه وسلم- صلاته [3]

فالبيت في هذه السياقات ارتبط بمعتقد ديني هو عبادة الله بصفة عامة أو بأداء فريضة الحج بصفة خاصة ، ولقد سبق في علم الغيب أن هذا البيت سيبنيه إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل – عليهما السلام- وسيأتيه الناس من كل فج للعبادة وأداء مناسك الحج حيث أورد الثعلبى حديثا جمع المولى – عز وجل – وعبده آدم – عليه السلام- يدور في هذا الشأن " قال الله تعالى : " سأجعل في الأرض بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي ، وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه

---

(1) أنظر :فى ظلال القرآن .م1.ج4.ص435.

(2) أنظر تفسير القرآنالعظيم.م2.ص1289.

(3) انظر المصدر السابق.ص1289.

بكرامتي وأوثره باسمي فأسميه بيتي وإنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا" [1]

لقد تعرض هذا البيت لتغيرات عديدة لكنه بقي على مر العصور يؤدي وظيفته الأصلية المتمثلة فى أداء مناسك الحج " فلم يزل البيت على مابناه إبراهيم – عليه السلام- إلى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد – صلى ا عليه وسلم- وذلك قبل مبعثه بخمس سنين ، فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها ، وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الأخبار أن الكعبة كانت رخمة فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها ، وقالوا إن القبائل قد اجتمعت لبنائها فلما بلغوا في البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه دون الأخرى حتى تخالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال ....حتى احتكموا إلى محمد – صلى ا عليه وسلم- فقال : هلموا إلى ثوب فأتوا به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى إذا بلغو به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه ، قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش إلى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن قمير السكوني عبد ا بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق "[2]

وفي الصحيحين من حديث مالك، عن أبي شهاب عن سالم : أن عبد ا بن محمد بن أبي بكر أخبر ابن عمر ، عن عائشة ، أن رسول ا – صلى ا عليه وسلم- قال : " ألم ترى أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيمþ ، فقلت يا رسول ا ، ألا تردها على قواعد إبراهيم þ فقال : " لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت " [3]

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 38/37

(2) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص89-90

(3) أنظر قصص الأنبياء . ابن كثير ص 151.

وقد بناها ابن الزبير – رضي ا عن – في أيامه على ما أشار إليه رسول ا – صلى ا عليه وسلم- حينما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عنه، فلما قتله الحجاج في سنة ثلاث وسبعين كتب إلى عبد الملك بن مروان الخليفة إذ ذاك ، فاعتقدوا أن ابن الزبير إنما صنع ذلك من تلقاء نفسه، فأمر بردها إلى ما كانت عليه. فنقضوا الحائط الشامي وأخرجوا منها الحجر ، ثم سدوا الحائط وردوا الأحجار في جوف الكعبة فارتفع بابها الشرقي وسدوا الغربي بالكلية كما هو مشاهد إلى اليوم . ثم لما بلغهم أن ابن الزبير إنما فعل هذا لما أخبرته عائشة أم المؤمنين ندموا على ما فعلوه وتأسفوا أن لو كانوا تركوه، ثم لما كان زمن المهدي بن المنصور استشار الإمام مالك ابن أنس في ردها على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له : أني أخشى أن يتخذها الملوك لعبة ، يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي يريد فاستقر الأمر على ما هي عليه اليوم[1]

2- **المقام** : " جمع مقامات موضع القدمين " [2]

ورد المقام مرتبطا بإبراهيم الخليل – عليه السلام –أثناء بنائه للكعبة الشريفة قـال تعالى : " **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** " البقرة125

عن ابن عباس قال : مقام إبراهيم : الحرم كله وروى عن مجاهد وعطاء مثل ذلك ، كما روى عن ابن عباس قال : أما مقام إبراهيم الذي ذكره ههنا ، فمقام إبراهيم الذي في المسجد وقال سفيان الثوري عن عبد ا بن مسلم عن سعيد بن جبير قال : الحجر مقام إبراهيم نبي ا قد جعله ا رحمة ، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة ، وقال السدي : المقام : الحجر الذي وضعته زوجة إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتـى غسلت رأسه[3]

ولما كان إبراهيم – عليه السلام- هو باني البيت ورافع قواعده ، وهـو أول مـن دعا الناس إلى الحج إليه " أكرمه تعالى فأمر المسلمين على سبيل الندب والاستحباب أن يصلوا عند الحجر الذي بقيت فيه آثار قدميه عند ما قام – عليه السلام-عليه وهو

(1) أنظر المرجع السابق ص 152.
(2) المنجد في اللغة والأعلام.ص6630.
(3) أنظر تفسير القرآن العظيم.م1.ص301

يرفع بناء البيت...وقد صلى النبي- صلى ا عليه وسلم- عند المقام ، عندما حـج حجة الوداع ، ففي حديث جابر الذي وصف حجته – عليه السلام – " حتى إذا أتينـا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ، ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم – عليـه السلام- فقرأ : " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " فجعل المقام بينه وبين البيت " [1]

هذا ما يدل على أن المراد بالمقام : إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم– عليه السلام – يقوم عليه لبناء الكعبة بما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل -عليه السلام – به ليقوم فوقه ، ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار .فكانت أثار قدميه ظاهرة فيه ، ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفـة اللامية .

وموطن إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ، ومكانه معروف اليوم إلـى جانـب الباب مما يلي الكعبة يمنة الداخل من الباب[2]

هذا بالنسبة لمقام إبراهيم – عليه السلام – الذي منحه ا صفة التقديس فصار يصلى ويتعبد فيه، وبعد ذلك أخذ المقام كنسق عام أبعادا دلالية تمثلت في المعتقدات الشعبية فلم يعد المقام حصرا على إبراهيم الخليل بل تعدى ذلك حيـث حظيـت فئـة مـن الشخصيات بتكريم خاص من جانب الناس ، وهو ما عرف في مجتمعنا العربي باسم : الولي الصالح : فبمجرد وفاة هذا الولي يقام له ضريح يختلف عن البقيـة ويطلـق عليه مقام الولي (ويدون اسمه) فينال مقام هذا الولي درجة من التقديس حيث تقـدم له القرابين والنذور والأضاحي تبركا به يلجأون إليه في الشدائد بغية الإغاثة والعون وفي سورية كأنموذج " مازلت تمارس عادة الاستسقاء في العديد من المناطق ،- مع أن المناطق كافة كانت تلجأ إليها في النصف الأول من هذا القرن والعقد الأول مـن النصف الثاني منه – فإلى جانب صلاة الاستسقاء والدعاء على ا في أماكن العبادة كان الناس يخرجون أحيانا كثيرة إلى خارج منطقة العمران إلى منطقة مرتفعـة ، أو إلى منطقة فسيحة رحبة لا أشجار فيها ، وكثيرا ما كانوا يختارون مكانا لـه طـابع

([1] الإسلام لله تعالى فى سورة البقرة .علد الحميد محمود طهماز .ط1 : 1414\1993.دار القلم .دمشق .الدار الشاميةبيروت.ص140

([2] أنظر : المرجع السابق ص 141

مقدس في نظرهم بحيث يكون فيه مقام لأحد الأولياء الصالحين يصلون صلاة الاستسقاء ويدعون ا طالبين منه الغيث رحمة بأطفالهم وحيواناتهم[1]

وقد تنوعت حاجات الزوار لمثل هذه الأماكن " المقام " ولعل أهم الممارسات التي يلجأ إليها زائر الضريح " يبدأ بقراءة الفاتحة ويطوف حول الضريح سبعا بدءا من اليمين إلى اليسار ، ويدعو لقضاء حاجته وينحر ذبيحة ، ويقبل أركان المقام داعيا ، ويقبض على حواجز من المقام ويستغيث بالولي ، ثم يحتفظ ببعض من تراب عتبة الضريح أو المقام"[2]

أما الممارسات التي يقوم لها موكب العروسة فيتمثل في " الدوران حول الضريح سبعا بدءا من اليمين والدخول إلى داخل الضريح لتقديم شموع أو حناء ، وقد يرافقها بعض العجائز التي تقوم إحداهن بوضع بعض تراب الضريح على وجه العروسة التماسا للبركة"[3]

أما الممارسات التي تتم ضد الأولياء المفسدين كأن " تصب عليهم الشتائم وترمي قبورهم بالحجارة " [4]

وهذه العادات والتقاليد التي ظهرت في المجتمع الإسلامي ليست مستحدثة ، وإنما جذورها تغوص فى أعماق التاريخ الجاهلى فقد أثر عن العرب الجاهليين أثار من ذلك أثناء اجتماعهم حول مقدساتهم وكانت الكعبة على رأسها إذ " لم يكن أشد على أناس الجاهلية في جزيرتهم العربية من وطأة احتباس الأمطار وهلاك الزرع والضرع لأن فيه هلاكهم ، فكانوا يلجأون إلى البيت الحرام ليطلبوا الغيث المغيث من ا ، وفي الجاهلية المتأخرة كان لبني هاشم من قريش مكانة مرموقة في قبيلتهم لما لهم من شرف ونسب عظيمين ، وهم رواد اللجوء إلى الإله الواحد عبادة واستغاثة [5]

3 – الصفا والمروة :

---

(1) الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية . د: علي حسن موسى دار الفكر : سوريا . دمشق دار الفكر المعاصر : بيروت لبنان ط1 ، 1418-1997م.ص181.

(2) الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية (من دليل العمل الميداني الجامعي التراث الشعبي / ج2 إشراف د: محمد الجوهري . دار المعرفة الجامعية : الإسكندرية ج2.ص189

(3) المرجع السابق ص 190.

(4) المرجع السابق ص 191.

(5) الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية . ص 164.

" الصفا والمروة من شعائر ا في الحج ، هما صخرتان أكمتان قرب الكعبة وزمزم يسعى الحاج بينهما سبعة أشواط كانتا في الجاهلية مقدستين "[1]

قال تعالى: " **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**" البقرة 158

قال ابن عباس : كانت الشياطين تفرق بين الصفا والمروة الليل كله، وكانت بينهما آلهة فلما جاء الإسلام تحرج الناس عن الطواف بينهما فنزلت هذه الآية ، وقال الشبعي : كان أساف على الصفا وكانت نائلة على المروة وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الإسلام عن الطواف بينهما فنزلت هذه الآية وذكر ابن اسحاق أن أسافا ونائلة كانا بشيرين فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرتين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما[2]

أما السيد قطب فقد أورد أن سبب نزول هذه الآية الرواية التي تقول : " إن بعض المسلمين تحرجوا من الطواف بالصفا والمروة في الحج والعمرة بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين في الجاهلية وأنه كان فوقهما صنمان هما أساف ونائلة فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون في الجاهلية"[3]

فالمستفاد مما قيل أن الصفا والمروة جبلان بمكة قدستهما العرب فى الجاهلية وأنه انطلاقا من أساف ونائلة وهما عبارة عن صنمين فالمولىعز وجل حين شرع السعي بين الصفا والمروة إنما كان يريد تخليد خطا أول من سعى بهما وهي هاجر أم إسماعيل – عليها السلام، فقد تركهما سيدنا إبراهيم – عليه السلام- في هذا المكان : " وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفذ الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى إنسيا فلم تسمع شيئا، ولم تر أحدا ، ثم أنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل فأقبلت إليه

(1) المنجد في اللغة والأعلام ص 345.
(2) أنظر : تفسير القرآن العظيم م1. ص 341.
(3) في ظلال القرآن .م1ح2 . ص 149.

بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت ومـا تريـد الـسعي كالإنـسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة"[1]

فلم تزل تردد في هذه البقعة المشرقة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى ا حتى كشف ا كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم وشفاء سقم "[2]

فالسعي بين الصفا والمروة الذي هو من مناسك الحج هو تكريم وتبـرك بالـسيدة هاجر لأنها أول من سعت " فأراد ا تعالى أن يخلد خطا هذه المرأة . فشرع السعي بين الصفا والمروة للحجاج والمعتمرين كما سعت وجعله منسكا من مناسك الحج التي بينها لإبراهيم وإسماعيل-عليهما السلام-.

ولما دخلت الوثنية على العرب ، وانحرفوا عن ملة التوحيد التي كانوا عليها، وجلبوا الأصنام ووضعوا بعضها حول الكعبة المشرقة وصنعوا أيضا صنمين علـى الـصفا والمروة، وكانوا يسعون يتمسحون بهما [3]

4-٧رفات : " عرفات أو عرفة : من مناسك الحج ، ينفر إليه الحجاج ويقفون داعين بي يدي ا قبل عيد الأضحى بيوم هو يوم الوقفة "[4]

قال تعالى : " **ليس ٧ليكا! ﷲناΝ ن تبتΣوا فضلاً من ربكا! فاPfa فαـضتا! مـن ٧رفات فاPكروا ا Ŷ ٧ند المشعر الحرا! واPكروا كما زاداكا! واٌن كنتا! من ٥بله لمـن الضالين** " البقرة 198.

فعرفة موضع الموقف في الحج وهي عمدة أفعال الحج ، ولهذا روى الإمام أحمـد ، وأهل السنة باسناد صحيح عن الثوري عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي، قال: سمعت رسول ا – صلى ا عليه وسلم – يقول : " الحج عرفـات – ثلاثا – فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك ، وأيام منى ثلاثة ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه "[5]

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص82.

(2) أنظر تفسير القرآن العظيم م1 ص 342

(3) الإسلام الله تعلى في سورة البقرة ، ص 168-169..

(4) المنجد في اللغة والأعلام ص 374.

(5) أنظر : تفسير القرآن العظيم : م1 ص 399، في ظلال القرآت م1.ج1 ص 198

أما تسمية الجبل باسم عرفات فهناك من أرجع ذلك إلى زمن أبينـا آدم- عليـه السلام- حين أنزل إلى الأرض فقيل " لما وقف آدم – عليه السلام – بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفـات" (1)

وهناك من أرجع التسمية إلى عهد إبراهيم الخليل – عليه السلام – فقيـل : " إنمـا سميت عرفات لما رواه عبد الرزاق أخبرني إبن جريج قال : قال ابن المسيب قال : عن علي ابن أبي طالب : بعث ا جبريل – عليه السلام – إلـى إبـراهيم – عليـه السلام – فحج به ، حتى إذا أتى عرفة قال : عرفت وكان قد أتاها مرة قبل ذلـك ، فلذاك سميت عرفة ، وقال ابن المبارك عن عبد ا بن أبي سليمان عن عطاء قال : إنما سميت عرفة ، أن جبريل كان يرى إبراهيم المناسك فيقـول : عرفـت عرفـت فسمي عرفات " (2)

ومهما تعددت الأقوال في أصل تسمية هذا الجبل باسم عرفات فإنه يحمل دلالة ترتبط بالعقيدة الإسلامية وبركن من أركان الإسلام ألا وهو الحج، والذي لن يتم إلا بتأديـة هذا الركن المتمثل بالوقوف بعرفة حيث تجتمع الوفود من كل حدب وصوب داعيـة ا راجية المغفرة ملبية " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك .....", ولا يكون يوم أشد على الشيطان من يوم عرفة : لأن هذا يوم عظيم ، يرحم ا فيـه عبـاده ، ويتفضل عليهم بعفوه وغفرانه ، وصفحه وإحسانه ، ويباهي بهم ملائكته ، ويكثر فيه العتقاء من النار ، وفي صحيح مسلم عن عائشة- رضي ا عنهـا – أن النبـي – صلى ا عليه وسلم – قال : " ما من يوم أكثر من أن يعتق ا فيه عبدا من النـار من يوم عرفة "(3)

5- المشعر الحرام : قال تعالى **: " فاذكروا الله عند المشعر الحرام "** البقرة 198

قال أبو اسحاق السبيعي : عن عمرو بن ميمون : سألت بن عمـرو عـن المـشعر الحرام ، فسكت حتى إذا هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة قال : أين السائل عن المشعر

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 33.

(2) تفسير القرآن العظيم م1. ص 399.

(3) مناسك الحج الطريق إلى الله . عثمان البدوي ص 68.

الحرام þ هذا المشعر الحرام وقال عبد الرزاق ، أخبرنا معمر الزهري عن سالم قال : قال ابن عمر : المشعر الحرام المزدلفة كلها[1].

ومادام المشعر الحرام يعني المزدلفة ، والتي قيل أنها سـميت بـذلك " لأن آدم وحواء – عليهما السلام – افترقا زمنا طويلا هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كـل واحـد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفـا فـسميت المزدلفـة "[2] فالمشعر الحرام أو المزدلفة مكان ارتبط بفريضة الحج فبعد الانتهـاء مـن الوقـوف بعرفة أمر ا أن يذكر ويدعى فيها عند المشعر . حيث " تكون الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة بعد غروب الشمس لأن النبي – صلى ا علي وسـلم – وقـف حتـى غربت الشمس وقد أفاض بالسكينة وهو يقول : " يا أيها الناس عليكم بالـسكينة فـإن البر ليس بالإيضاع ، يعني الإسراع ، ويندب في الإفاضة الإكثار من التلبية والدعاء ، والذكر وقراءة القرآن "[3]

فالمشعر الحرام دل على معتقد إسلامي وبركن من أركانه وهو الحج

6-المحراب : جمع محاريب : صدر المجالس ، مجلس الناس ومجتمعهم

محراب المسجد : مقام الإمام[4]

قال تعالى : " **فتقبلـlNJ ربـlNJ بقبول حسن وأنبتـlNJ نباتا حسنا وكفلـlNJ Rكريا كلما دخـل YلـيـlNJ Rكريا المحراب وللد Yندlljز لـR5 ال5 يا مريـ! Ăني pJ lPlj ال5ـت زاو من Yنـد Ŷl نd Ŷl يرRق من يشاء بkير حساب** " آل عمران 37

كفل زكريا مريم – عليها السلام – " واتخذ لها مكانا شريفا في المسجد : لا يدخلـه سواها ، فكانت تعبد ا فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها ، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثـل بعبادتهـا فـي بنـي إسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة ، والصفات الشريفة ، حتـى إنه كان نبي ا – زكريا- كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريبـا

---

(1) أنظر : تفسير القرآن العظيم : م1 ، ص 400..
(2) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 31
(3) مناسك الحج الطريق إلى الله . عثمان البدوي ص 77
(4) أنظر : المنجد في اللغة والأعلام ص 124.

في غير أوانه ، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهـة الـشتاء فـي الصيف"[1]

فالمحراب كاسم لمكان دل على العبادة والتفرغ تعالى شأنه شأن المساجد أو هـو أخـــــــص منهـــــــا.

2 - الأماكن العامـة :

1-بابل : أكبر وأشهر مدن الشرق القديم أنقاضها على الفرات شرقي بغـداد قـرب الحلة ازدهرت فيها الدولة البابلية الأولى نحو الألف الثاني ق.م حلت محل سـومر ، بلغت عصرها الذهبي مع المشرع الكبير " حمو رابي " 1711-1669 ق.م تم تغلب عليها الحيثيون والآشوريون ظهرت فيها الدواة البابلية الثانية636-539.ق م أشـهر ملوكها نبوخذ نصر .دمرها سنحاريب الأشورى.689.ق م.أعاد بناءهـا أسـرحدون .احتلها قورش ملك الفرس 539.ق.م والاسكندر 331 ق.م وفيها توفي من آثارهـا باب عشتار ، وبلاط نبوخذ نصر والطريق الملوكي[2]

ورد لفظة " بابل " مرة واحدة فى المدونة في سياق الحديث عن قصة امتحان المولى تعالى لقدرة الملكين : هاروت وماروت على تحمل أعباء الحياة في الأرض دون إرتكاب الآثام والمعاصي قال -جل شأنه- : **" وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت "** البقرة 102

أي بابل مقصودة ذهب السدي وغيره أنها بابل بالعراق ، ثم الدليل على أنها بابل العراق ما قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن صالح ، حدثني ابن وهب ، حثني ابن لهيعة ويحي بن أزهر ، عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري أن عليا بن أبي طالب – رضي ا عنه – مر ببابل وهو يسير ، فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر ، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال : " إن حبيبي – صلى ا عليه وسلم– نهاني أن أصلي بأرض المقبرة ونهاني أن أصلي ببابل فإنها ملعونة "[3]

---

[1] قصص الأنبياء ، ابن كثير ص 480

[2] أنظر : المنجد في اللغة والإعلام ص 100

[3] أنظر تفسير القرآن العظيم م1.ص 266

فبابل – إذن – اسم مدينة العراق وهي مدينة قديمة جدا أما دلالة الاسم " فمأخوذة من البلبلة لأن أهلها كانوا يتكلمون بثمانين لغة وأول من اختطها نوح-عليه السلام- وسماها ثمانين "[1]

2-القرية : القرية والقرية لغتان المصر الجامع . وقيل : القرية بفتح القاف لا غير ، وكسر القاف خطأ وجمعها قرى .... والقرية من المساكن والأبنية والـضياع وقـد تطلق على المدن[2]

وقد ورد هذا النسق في سياقات متعددة منها قوله تعالى " **وإذ قلنا ادخلـوا هـذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطـة نغفـر لكـم خطاياكم وسنزيد المحسنين** " البقرة 8 .

لقد نزلت هذه الآية في جماعة موسى الذين نجوا من فرعون حيت " لامهم ا علـى نكولهم عن الجهاد ودخول الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى – عليه السلام- فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي لهم عن أبـيهم إسـرائيل ، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنلاوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرماهم ا في التيه عقوبة لهم ولهذا كان أصح الأقوال إن هذه البلادة هي بيت المقدس"[3]

ومن سياقات ورود القرية للدلالة على بيت المقدس قوله جل جلاله : " **أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعـد موتهـا** " البقـرة 259.

أما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس [4]

كما وردت القرية للدلالة على مكة [5] المباركة قال تعالى : " **الذين يقولون ربنـا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا مـن لـدنك نصيرا**" النساء 75 .

---

(1) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين.م1.ج1.ص49

(2) أنظر لسان العرب ، م 12 ص 93

(3) تفسير القرآن العظيم م1، ص206. وانظر ، في ظلال القرآن م1.ج1 ص 73

(4) أنظر المصدر السابق م1 ص 497

(5) أنظر المصدر السابق م1 ص 781

وقال أيضا : " **وضرب Ŷǐ مثلًا 5رية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كـل مكان فكفرت بأنعم Ŷǐ فأذاقها Ŷǐ لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** " النحل 112

هذا مثل أريد به أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مستقرة يختطف الناس من حولها ومـن دخلها آمن لا يخاف[1]

كما ورد هذا النسق للدلالة على أمم الأنبياء الغابرة وما حل بها فقال- جل جلاله- : " **وكم من 5رية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم 5ائلون** " الأعراف 04

" إنها كثيرة تلك القرى التي أهلكت بسبب تكذيبها ، أهلكت وهي غارقة غافلة ، فـي الليل وفي ساعة القيلولة حيث يسترخي الناس ويستسلمون للأمن " [2]

قال تعال : " **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون " (97) أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون** " (98) الأعراف97.98

وقد قص تعالى على نبيه- صلى ا عليه وسلم – خبر الرسل السابقة فقال : " **تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع Ŷǐ على 5لوب الكافرين** " الأعراف 101

ولقد اتسع نطاق القرية ليشمل ويدل على المدينة الكبيرة وحتى العاصمة [3]

قال تعالى : " **وإذ 5يل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا** " الأعراف 161

وقال كذلك : " **وكذلك جعلنا في كل 5رية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون** " الأنعام 123

فالقرية تطلق لتدل على المجمع من الناس سواء كان هذا المجمع ضمن إطار متخلف أم متحضر ، فدل بها على القدس ومكة ومصر وسائر الأمم الغابرة ..... أما إذا أضيفت تحدد معناها فيقال : قرية النمل ، مجتمع ترابا ، قرية الأنصار : المدينة أو ريتان : مكة والطائف "[4]

---

(1) أنظر : تفسير القرآن العظيم . م2 ص 1148.

(2) في ظلال القرآن م3.ج8. ص 1260

(3) أنظر المصدر السابق م3 ج9 ص 1382، و م2ج8 ص 1202

(4) المنجد في اللغة والأعلام ص 626.

3 - **المدينة** : الحصن يبنى في أصطمة الأرض ، مشتق من ذلك ، وكل أرض يبنى بها حصن في أصطمتها فهي مدينة والجمع مدائن ومدن . والمدينة اسم مدينة سـيدنا رسول ا –صلى ا عليه وسلم- خاصة غلبت عليها تفخيما لها شرفها ا وصانها (1)

جاءت المدينة بصيغة الجمع في قصة سيدنا موسى – عليه الـسلام- وفرعـون عندما استطاع نبي ا أن يقهره بعصاه التي تنقلب ثعبانا عندئذ أمر بجمع سـحرته . قال تعالى " **قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين** " الأعراف 111

والمدائن : الأقاليم التابعة للملك فرعون (2)

ودائما مع قصة موسى – عليه السلام – وفرعون نجد لفظ المدينة ولكن بـصيغة المفرد في قوله : " **قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فـي المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون** " الأعراف 123. والمدينة بلاد مصر(3)

كما ذكرت المدينة لتدل على المدينة المنورة التي شهدت أعظم فترة لانتشار الإسلام في عهد النبي – صلى ا عليه وسلم- رغم ما كان فيها من الكفار والمنافقين الـذين يتربصون بالنبي –صلى ا عليه وسلم- وبالدين الذي جاء به قال تعـالى :"**وممـن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهـم نحـن نعلمهم**" التوبة101

وفي سياق آخر قال المولى :" **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم مـن الأعـراب أن يتخلفوا عن رسول الله** " التوبة 120

إن أهل المدينة هم الذين تبنوا هذه الدعوة ، وهذه الحركة ، فهم أهلها الأقربون ، وهم بها ولها وهم الذين آووا رسول ا –صلى ا عليه وسلم- وبايعوه ، وهم الذين باتوا يمثلون القاعدة الصلبة لهذا الدين في مجتمع الجزيـرة كلـه، وكـذلك القبائـل الضاربة من حول المدينة وقد أسلمت (4)

(1) لسان العرب م14 ص 40.
(2) أنظر تفسير القرآن العظيم م2، ص 1195.
(3) أنظر المصدر السابق م2 / ص1197.
(4) أنظر في ضلال القرآن م2.ج8 ص 1733.

وفي الآية يعاتب ا تعالى المتخلفين عن رسول ا – صلى ا علي وسلم- فـي غزوة تبوك من أهل المدينة ، ومن حولها من أحياء العرب ، ورغبتهم بأنفسهم عـن مواساته فيما حصل من المشقة " (1)

وفي قصة زوج العزيز وما شاع من تعلقها وشغفها بيوسف – عليه السلام- قـال تعالى : " **وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه** " يوسف 30 والمدينة هنا مصر(2)

ونختم الحديث عن المدينة بذكر قصة موسى والخـضر – عليهمـا الـسلام – فـي رحلتهما بالضبط حينما وصلا إلى القرية ، ورغم ما لقيا فيها من سوء معاملة فـإن الخضر – عليه السلام – وبوحي من المولى – عز وجل- قابل الإساءة بالإحـسان ، قال تعالى : " **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنـز لهمـا وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ومـا فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا** " الكهف 82

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولا : " **حتى إذا أتيـا أهل قرية** " الكهف 77 ومعنى الآية ، أن هذا الجدار إنما أصلحه لأنه كان لغلامـين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما " (3)

2- <u>حضارات الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم</u>

كثيرا ما نجد بين ثنايا النص القرآني آيات تتحدث عن حياة الأمم الغـابرة ، وكيـف كان يعامل الأقوام أنبياءهم. إذ قص المولى – جل وعلا- حياة هذه الأمم على نبيـه المصطفى – صلى ا عليه وسلم- لهدف أسمى هو الاتعاظ وأخذ العبرة من حياتهم وتجاربهم. حيث اشتركت هذه الأقوام كلها في عدم الإيمان با وتنوعت آلهتهم التي اتخذوها ندا للرحمن ، بالإضافة إلى ذلك إتيانهم المنكرات والفواحش ، وسأبين فيمـا يلي أهم الأقوام التي قصها علينا النص القرآني لتتضح الدلالة المستفادة من قصصهم

(1) تفسير القرآن العظيم / م2.ص 1408
(2) أنظر تفسير القرآن العظيم م2.ص 1807، في ضلال القرآن م4.ج12 ص 1983
(3) تفسير القرآن العظيم م3.ص 1793

– إن شاء ا - وهذه الأقوام يقترن أحيانا اسمها باسم نبيها أ و باسم المدينـة التـي تواجدوا بها فى أحايين أخرى. وأول هذه الأمم أمة سيدنا نوح عليه السلام .

1) **قوم نوح** : قال تعالى : " **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبـدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** "الأعراف 59

قال محمد بن اسحاق : لم يلق نبي من قومه من الأذى مثل نوح إلا نبي قتل ، وقـال يزيد الرقاشي : إنما سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه ، وقد كان بين آدم إلى زمان نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام ، وقال عبد ا بن عباس : كـان أول ما عبدت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا – فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صورة أولئك فيها ، ليتذكروا حالهم وعبادتم ، فيتشبهوا بهم ، فلما طال الزمان جعلوا تلك الصور أجسادا على تلك الصور فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين " ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا " فلما تفاقم الأمر بعـث ا سبحانه وتعالى رسوله نوحا يأمرهم بعبادة ا وحده لا شريك له [(1)]

كما ذكر قوم نوح في سياقات عديدة مقرونة بأمم أخرى *

أما نسب سيدنا نوح " فهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن مهلائيل بن قينـان بن أنوش بن شيث – عليه السلام- وأمه قينوس بنت راكيل وقيل بنـت كابيـل بـن مخوئيل بن أخنوخ أرسله ا تعلى إلى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث "[(2)]

ولقد لاقى نوح من قومه الويلات من تعذيب وتنكيل ، حيث روى الضحاك عـن ابن عباس أنه قال : إن نوحا كان يضرب ثم يلقى في لبد ثم يلقى في بيته فيرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من إيمان قومه "[(3)] . وقوم نوح لا يزدادون إلا كفرا وعنادا عند ذلك توعدهم نوح العقاب الذي سيحل بهم فكان نهايتهم الغرق العـام لجميع أهل الأرض إلا من آمن بعبده ورسوله نوح- عليه السلام-

---

[(1)] أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير2. ص 1177
* التوبة /70 ، هود /89 ، إبراهيم /09
[(2)] قصص الأنبيا المسمى بعرائس المجالس . ص 52
[(3)] المرجع السابق ص 53

فالمستفاد من قصة قوم سيدنا نوح – عليه السلام- أنهم اتخـذوا آلهـة غيـر ا وجعلوها نداله، وهذه الآلهة هي في الأصل عبارة عن بشر مثلهم.وهي- ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا- حيث وصل تقديسهم لها حد العبودية . فجاز فيهم العقـاب فالدلالة المستفادة – إذن – من قصة نوح – عليه السام – عدم الشرك با وتحـريم ذلك تحريما مطلقا.

2) **ۃو! زاود – Yاد –** لقد قرن قوم عاد باسم عاد في مرات عديدة كمـا ذكـروا باسم نبيهم هودا – عليه السلام- قال تعالى : " **وǍلة Yاد ۻخاǃIjز! زاودا ةال يـا ۃو! اYبدوا اŶ مالكا! من ةله 3يرہ ۻفلاَ تتقون** " الأعراف 65

قال محمد ابن اسحاق : هم من ولد عاد بن رام بن عوص بن سام بن نوح : وهؤلاء هم من عاد الأولى وهم أولاد عاد بن رام الذين كانوا يأوون إلى العمد في البر وذلك لشدة بأسهم وقوتهم وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف وهي جبال الرمل ... وكـان هودا – عليه السلام- من أشرف قومه نسبا وأفضلهم ، ولكن كان قومه كما شدد ا خلقهم شدد قلوبهم وكانوا من أشد الأمم تكذيبا للحق، ولهذا دعـاهم هـودا – عليـه السلام- إلى عبادة ا وحده لا شريك له ، وإلى طاعته وتقواه[1]

فقوم عاد هؤلاء من ذراري نوح الذين نجوا معه في السفينة : وما من شـك أن أبناء هؤلاء الناجين في السفينة كانوا على دين نوح – عليه السلام- فلما طال علـيهم الأمد وتفرقوا في الأرض ، ولعب معهم الشيطان لعبة الغواية ، وقادهم من شهواتهم – وفي أولها شهوة الملك وشهوات المتاع – وفق الهوى لا وفق شريعة ا . استنكر قوم هود أن يدعوهم نبيهم إلى عبادة ا وحده من جديد[2]

كما نزلت سورة كاملة باسم هو د- عليه السلام – شملت العديـد مـن قـصص الأنبياء وضمن آياتها ذكر قوم هود قال- جل شأنه- : " **ۻن يصيبكم! مثل ما ۻصـاب ۃو! نوŊ ۻو ۃو! زاود ۻو ۃو! صاŋ وما ۃو! لوŲ منكا! ببعيد** "هود 89

ومن هذه الآيات كذلك ما يلى*

وتمثلت آلهة عاد في أصنام ثلاثة هي " صدا ، وصمود ، وهرا " [1]

---

[1] أنظر : تفسير القرآن العظيم م2 ص 1178-1179

[2] أنظر : في ظلال القرآن م3.ج8 ص 1310.

* التوبة /70 ، إبراهيم 09

وقال وهب : كانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون ا تعالى فمنها صنم يقال له : صدى وصنم يقال له هرا وصنم يقال له هبا فبعث ا إليهم هودا نبيا وهـو مـن أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد ا بن رباح بن الخلود بن عـاد بـن عوص بن إرم بن سام بن نوح : فأمرهم هود أن يوحدوا ا تعالى ، ولا يجعلوا معه إلها غيره ، فكذبوه وقالوا : من أشد منّا قوة وبنوا المصانع وبطـشوا فيهـا بطـش الجبارين ، فلما فعلوا ذلك أمسك ا عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك[2]

ولقد ورد في سلوكات قوم هود ما ورد عن أبي أمامة الباهلي عن رسـول ا – صلى ا عليه وسلم- قال : " يبيت قوم من هذه الأمة على طعـام وشـراب ولهـو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببني فلان ، وليرسلن عليه الريح العقيم التى أهلكت عادا بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخـاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام"[3]

فنظرا لاتخاذ عاد آلهة غير ا وتكذيبهن نبيهم وإتيانهم لهـذه المحرمـات كـان جزاءهم أن سلط ا عليهم الريح العقيم لتنتقم له منهم ، فخرجت بغير كيل ولا وزن حتى رجفت الأرض مما يلي المشرق والمغرب : فقال الخزان : يا رب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى ا إليها أن أرجعي فاخرجي على قدر خرمة الخاتم-وهى الحلقة-فسخرها علـيهم سـبع ليـال وثمانية أيام دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد إلا أهلكته ، وكان هود ومن معه قـد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين جلودهم وتلذ به الأنفس ، وإنهـا من عاد لطعن فتحملهم ما بين السماء والأرض وتد مغهم بالحجارة حتى هلكوا "[4]

فالمتفحص لقصة هود يدرك أن ا تعلى إنما زاد قوم عاد بسطة في الخلـق لهـدف أسمى ألا وهو مضاعفة العبادات و إخلاص الطاعة للخالق ، إلا أن هذا لم يزدهم – إلا غرورا وطغيانا فعاثوا في الأرض فسادا بإتيان المحرمات ، وتمادوا في ذلك حـد الكفر بالخالق وعبادة سواه من الأصنام التي صنعوها بأيديهم . فنالوا عقابهم بتسخير

---

(1) قصص الأنبياء ، ابن كثير ط1 : 1422- 2002 دار السلام القاهرة – مصر .ص87

(2) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 60

(3) المرجع السابق ص 64

(4) المرجع السابق ص 62

الريح العقيم التي تقلعهم كأحجار نخل خاوية . هذا لبيان عظمة الخالق ووجوب الحق بإفراد العبودية له ، فالدلالة المستفادة من هذه القصة كذلك هي الابتعاد عن الـشرك با واجتناب المنكرات من خمر وربا ومجون ولبس الحرير وقطع رحم .

3) **-ﻗو! ﺛمود -ﻗو! ﺻاﻟﺢ-**

ورد الحديث عن ثمود بسياقات متعددة منها : ثمود أو قوم صالح – عليه السلام –نبيهم، أو بأصحاب الحجر . قال -جل وعلا- : " **وﺇﻟﻰ ﺛمود ﺃﺧاﻫﻢ! ﺻاﻟﺤا ﻗال يا ﻗو! اﻋبدوا اﷲ ماﻟﻜ! من ﺇله ﻏيرﻩ ﻗد ﺟاءتﻜ! بينة من ربﻜ! ﻫﺬﻩ ناﻗة اﷲ لﻜ! ﺁية**" الأعراف 73.

قال علماء التفسير والنسب : ثمود بن عاثر بن إ رم بن سام بن نوح ، وهـو أخو جديس بن عاثر كانوا من أحياء العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل – عليـه السلام – وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والـشام إلـى وادي القرى وما حوله [1]

وقد كان قوم ثمود " يسكنون الحجر – وهي بين الحجاز والشام ، وتلمح مـن تذكير صالح لهم ، أثر النعمة والتمكين في الأرض لثمود ، كمـا نلمـح طبيعـة المكان الذي عاشوا فيه ، فهو سهل وجبل ، وقد كانوا يتخذون في السهل القصور ، وينحتون في الجبال البيوت ، فهي حضارة عمرانية واضحة المعالم "[2]

وكما ورد – في آيات أخرى – بيان دعوة وإلحاح صالح – عليه السام – قومه بالإيمان وشكره على نعمه فقال تعالى : " **وﺇﻟﻰ ﺛمود ﺃﺧاﻫﻢ! ﺻاﻟﺤا ﻗال يـا ﻗـو! اﻋبدوا اﷲ ماﻟﻜ! من ﺇله ﻏيرﻩ ﻫو ﺃنـشﺄﻛ! مـن الأرﺽ واسـتعمرﻛ! فيهـا فاستﻐفروﻩ ﺛ! توبوا ﺇليه ﺇن ربي ﻗريب مﺠيب** " هود 61

كما نزلت سورة باسمهم عرفت بسورة الحجر ، ومما جاء فيها مـن شـأنهم قوله تعالى : " **وﻟﻘد ﻛﺬب ﺃﺻحاب الحﺠر المرسلين** " الحجر 80

---

(1) أنظر : تفسير القرآن العظيم م2 ص 1182.

(2) في ظلال القرآن م3.ج8 . ص 1313

والحجر تقع بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وهي ظاهرة إلى اليـوم ، فقـد نحتوها في الصخر في ذلك الزمان البعيد ، مما يدل على القوة والأيد والحضارة [1]

لقد وردت قصة ثمود في العديد من الآيات بالإضافة إلى ما ذكر* .

وسبب اتخاذ قوم صالح الجبال سكنا لهم ما ذكر أن " أعمارهم كانت طويلة فكانوا يبنون البيوت من المدر (الطين اليابس) فتخرب قبل موت الواحد منهم ، فنحتوا لهم بيوتا في الجبال " [2]

ومما هو في الكتب أن ثمودا استخلفوا عادا الأولى في الأرض فحلـوا فيهـا وكثروا وكانوا في سعة من معايشهم ، فخالفوا أمر ا وعبدوا غيره وأفسدوا في الأرض فبعث ا إليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسـح بـن حاذر بن ثمود وكان من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا [3]

فصالح إذن بعثه ا لتأدية رسالته وهي دعوة قومه إلى إقرار وإفـراد العبوديـة للخالق تعالى إلا أن قومه تمادوا في عصيانهم وطالبوه أن يأتيم بالدلائل والآيـات حتى يقتنعوا بما يقول ويصدقوه ، وقد ذكر المفسرون : " أن ثمودا اجتمعوا يوما في ناديهم فجاءهم رسول ا صالح فدعاهم إلى ا وذكرهم وحذرهم ووعظهـم وأمرهم ، فقالوا له : إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة – وأشاروا إلى صخرة هناك – ناقة ، من صفتها كيت وكيت ، وذكروا أوصافا سموها ونعتوها وتعنتـوا فيها ، وأن تكون عشراء طويلة من صفاتها كذا وكذا ، فقال لهم النبي صـالح – صلى ا عليه وسلم – أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم : أتؤمنون بما جئتكم به ، وتصدقوني فيما أرسلت به þ قالوا نعم . فأخذ عـودهم ومواثيقهم على ذلك ، ثم قام إلى مصلاه وصلى - جل وعلا – ما قدر له ثـم دعا ربه -جل وعلا- أن يجيبهم إلى ما طلبوه فـأمر ا -جـل وعـلا- تلـك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة شعراء ، على الوجه المطلوب ، وعلى الصفة

---

(1) أنظر : المصدر السابق .م4ج14 . ص 2151

* التوبة /70 ، هود /89 ، إبراهيم /09

(2) قصص الأنبياء ، ابن كثير ص 113

(3) أنظر قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 66

التي نعتوا ، فلما عاينوها كذلك رأو أمرا عظيما ، ومنظرا هائلا ، وقدرة باهرة ودليلا قاطعا وبرهانا ساطعا فآمن كثير منهم ، واستمر أكثـرهم علـى كفـرهم وضلالهم وعنادهم" [1]

وقد اشترط عليهم صالح – عليه السلام – أن تبقى هذه الناقة بين أظهـرهم " ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوما بعد يوم ، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك ، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم ، ويقال أنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ، فلما طال عليهم هذا الحال ، اجتمـع ملؤهم ، واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ، ويتوفر علـيهم ماؤهم وزين لهم الشيطان أعمالهم"[2]

فلما عقروا الناقة توعدهم صالح بوحي من ربه أن يمدهم بثلاثة أيام ثـم يلحقهـم العذاب ، فقال -جل جلاله- : " **تمتعوا في داركا! ثلاثة ئيـا! PـلP وYـد 3يـر مكPوب** " هود 65

فالدلالة المستفادة من قصة قوم صالح – عليه السلام – الابتعاد عن الشرك بـا أولا ، وعدم المطالبة بالدلائل من أجل الإقرار بالوحدانية والتصديق بأنبيائه ثم نقض الميثاق فبسبب نقضهم للميثاق الذي طالبوا به عوقبـوا فخـسروا دنيـاهم وآخرتهم .

حيث قال الإمام أحمد ، حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد ا بن عثمان بن ختيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما مر رسول ا – صلى ا عليه وسلم – بالحجر قال : " لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت – يعني الناقة – ترد من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءها يوما ويشربون لبنهـا يوما ، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد ا من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلا واحدا كان في حرم ا [3]

---

[1] قصص الأنبياء ، ابن كثير ص 105

[2] المرجع نفسه ص 106.

[3] أنظر : تفسير القرآن العظيم م1، ص 1183 ، وقصص للأنبياء ص 109

4) **قوم لوط** : وعرفوا كذلك بالمؤتفكات قال تعالى : " **ولوطا إذ قال لقومه أتـأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (80) إنكم لتأتون الرجال شـهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (81)** " الأعراف80.81

ولوط – عليه السام – هو لوط بن هارون بن آزر وهو ابن أخي إبـراهيم الخليـل- عليهما السلام – وكان قد آمن مع إبراهيم – عليه السلام – وهاجر معه إلـى أرض الشام فبعثه ا تعالى إلى أهل " سدوم " وما حولها من القرى. يدعوهم إلى ا - جل وعلا – يأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كـانوا يرتكبونـه مـن المـآثم والمحـارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيـرهم وهـو إتيـان الذكور ، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ، ولا يخطر ببالهم حتـى صـنع ذلك أهل " سدوم " عليهم لعائن ا [1]

" وسدوم من أرض غور زغر وكانت أم تلك المحلة ولها أرض ومعمـلات وقـرى مضافة إليها " [2] .

وكما ذكرهم المولى – جل وعلا – بقوم لوط في آيات عديدة* ومن الآيات التى ذكروا فيها باسم المؤتفكات ما يلى .

قال تعالى: " **وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات**" التوبة 79

والمؤتفكات جمع مؤتفكة من الإئتفاك وهو الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفل بالخسف ، والمراد بها إما قريات قوم لوط – عليه السلام – فالإئتفاك على حقيقة فإنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها وأمطر على من فيها حجارة من سـجيل ، وإمـا قريـات المكذبين المتمردين مطلقا فالإئتفاك مجاز عن انقلاب حالها من الخير إلى الشر على طريق الاستعارة"[3] .

ولقد اشتهر قوم سدوم بالمنكرات وتمادوا فيها فبعث ا إليهم لوط – عليه السلام- واعظا ومحذرا من عاقبة التمادي في العصيان " فكانوا أهـل كفـر بـا وركـوب فواحش – فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل – أي إتيانهم الفاحشة مـع مـن

---

[1] أنظر : المصدر السابق م2 ص 1187.
[2] قصص الأنبياء : ابن كثير ص 166.
* : الأعراف / 82 ، الأعراف / 89 ، هود / 89.
[3] تفسير روح المعاني ، ج10 ص 135..

ورد بلادهم وإتيانهم المنكر في ناديهم وهوأنهم كانوا يجلسون في مجلسهم على الطريق فيخذفون من مر بهم ويتضارطون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضا في الطريـق "[1].

لم يجد رسول ا -لوطا – الآذان الصاغية من قومه بل كان مصيره الطرد من قبيلته 0 قال تعالى : "**وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**" الأعراف 82

"يا عجبا أومن يتطهر يخرج من القرية إخراجا ليبقى فيها الملوثون المدنسون "[2]

طبعا لن يرضى ا بهذا الوضع ، ولما يئس لوط من إيمان قومه مع تمـاديهم فـي المنكرات إلى حد التعرض لملائكة الرحمن- بشره ا بالعقاب الذي سيحل بهم " فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ، فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضـهم فاقتلع قرى قوم لوط الأربع، وكان في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحـه بـين السماء والأرض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح د يوكهم ونباح كلابهم ثم كفاهـا وقلبها فجعل عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة"[3]

فكان عاقبة أفعالهم خسرانا . فالدلالة المستفادة من قصة قوم لـوط : الإبتعـاد عـن الشرك با أولا ، وعن جميع المعاصي التي عرفوا بها وبخاصة اتيان الذكران فهي فاحشة عظيمة سيتحمل وزر من قام بها لاحقا كل واحد من آل لوط لأنهم هم الـذين ابتدعوها.

ولشناعة هذا الفعل الذي عرف به آل لوط خسف ا بديارهم لدناءة أفعالهم " وجعـل ا مكان تلك البلاد بحيرة منتنة بمائها ، وبما حولها من الأراضي المتاخمة لفنائهـا لرداءتها ودناءتها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة ا تعـالى وعظمتـه وعزته في انتقامه ممن خالف أمره، وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه ، ودليلا على رحمته بعباده المؤمنين في إنجائه إياهم من المهلكـات وإخراجـه إيـاهم مـن الظلمات إلى النور"[4]

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 104

(2) في ظلال القرآن م3.ج8 ص 13/6.

(3) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 106.

(4) قصص الأنبياء . ابن كثير ص 176.

5) **مدين : قوم شعيب** – عليه السلام – و أطلق عليهم في النص القرآني – كـذلك- أصحاب الأيكة ، قال تعالى : " **وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان** " الأعراف 85.

قال محمد بن اسحاق : هم من سلالة " مدين بن مديان بن إبراهيم ، وشعيب هـو ابن ميكيل بن يشجر واسمه بالسريانية " يثرون " وتطلق مدين على القبيلـة وعلـى المدينة وهي التي بقرب " معان " من طريق الحجاز ، وقد وعظم نبيهم بـأن يوفـوا المكيال والميزان ، ولا يبخسوا الناس أشياءهم "[(1)]

فالسمة التي ميزت قوم شعيب أنهم " أهل كفر وبخس للناس وتطفيف فـي المكاييـل والموازين ، وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا منه لهم "[(2)] وقد أشار النص القرآني إلى قوم شعيب وآدابهم في المعـاملات أثنـاء البيـع والشراء باعتماد التطفيف والاختلاس في العديد من الآيات [*] ، ومما ذكروا فيه باسم أصحاب الأيكة قوله تعالى :" **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين** " الحجر 78.

أصحاب الأيكة : هم قوم شعيب قاله الضحاك وقتادة وغيرهما . والأيكـة : الـشجر المتاف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان[(3)] .

وسبب تسميتهم بأصحاب الأيكة أنهم كانوا يعبدونها [(4)]

لم يتعظ أصحاب مدين من الأمم التي سبقتهم وكيف سلط الله عليهم أنواعا من التنكيل والعذاب وكان أقربها إليهم زمانا ومكانا قبيلة لوط ، فبعث الله إليهم شعيبا فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له لاعبادة شجر الأيك، ونهاهم عن تعاطي هـذه الأفاعيـل القبيحة من بخس الناس أشياءهم ، وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقـاتهم ، فـآمن بـه بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد.

قال ابن عباس وغيره : " أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فأرسل عليهم بردا وحرا شديدا فأخذ بأنفسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظـل ولا مـاء

---

(1) تفسير القرآن العظيم م2 . ص 1188.

(2) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 167.

* الأعراف / 91 ، التوبة 70 ، هود /84 .

(3) أنظر تفسير القرآن العظيم م2 ، ص 1613.

(4) أنظر قصص الأنبياء ، ابن كثير ص 181.

فأنضجهم الحر فخرجوا هربا إلى البرية فبعث ا عليهم سحابة فأظلتهم ووجدوا لهـا بردا ورجفت الأرض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى فصاروا رمادا "[1]

فا تعالى سلط أنواعا من العقوبات وأشكالا من البليات علـى آل مـدين لقبـيح الصفات التي عرفوا بها ، فالدلالة المستفادة – ههنا – فهي بالإضـافة إلـى تحـريم الشرك با تحريم كل ما يتعلق ويترتب عنه من بخس وقطع طريق فالقـضية هنـا قضته الأمانة والعدالة بعد قضية العقيدة ، أو هي قضية الشريعة والمعـاملات التـي تنبثق من قاعدة العقيدة0

6) قوم إبراهيم – عليه السلام –

ورد الحديث عن قوم إبراهيم الخليل – عليه السلام – في سياق جمع فيه المـولى – جل وعلا – العديد من الأمم فقال : " **ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعـاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات** " التوبة 70.

" أما إبراهيم – عليه السلام – فهو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغـور بن فالغ بن عابر بن شالح بن فينان بن أرفخشد بن سام بن نوح وكـان اسـم أبـي إبراهيم الذي سمي به أبوه تارح فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سـماه آزر. وقال مجاهد إن آزر ليس اسم أبيه وإنما اسم صنم ، وقال ابن إسحاق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج ، وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم "[2]

واختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه إبراهيم – عليه السلام- فقال بعـضهم : كان مولده بالسوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم : كان مولده ببابل مـن أرض السواد بناحيته يقال لها كوثا ، وقال بعضهم : كان مولده بالوركاء ناحية في حـدود كسكر ثم نقله أبو إلى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثا ، وقال بعـضهم " كان مولده بحران ، ولكن أبوه نقله إلى أرض بابل ، وقال عامة السلف من أهل العلم : ولد إبراهيم – عليه السام – في زمن نمروذ بن كنعان بن سنحاريب بن كورش بن حام بن نوح "[3]

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 168

(2) المرجع السابق ص 72

(3) أنظر ، المرجع السابق ص74

ولقد كان قوم إبراهيم يعبدون الأوثان والأصنام وكان ربهم الأعظـم فـي ذلـك الزمن النمروذ ولقد كانت حكمة ا تعالى جلية حين جعل إبراهيم الخليل ابن صـانع الأصنام ليبين لهم فيما بعد عدم جدوى هذه الأصنام وأنها لا تنفع ولا تضر . حيـث قال أهل العلم بسير الماضين " إن إبراهيم – عليه السلام – لما شب وهو في السرب قال لأمه : من ربي þ قالت : أنا، قال فمن ربك þ قالت : أبوك ، قال فمن رب أبي þ قالت له : نمروذ ، قال فمن رب نمروذ þ قالت له أسكت فسكت "[1]

ولما رأى إبراهيم – عليه السلام – برهان ربه اقتنع بوجود خالق لهذا الكون فحـاج قومه وبين لهم " أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للألوهية ،ولا تعبد مع ا -جل وعلا – لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تـارة وتأفل أخرى، فتغيب عن هذا العالم ، والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ، ولا تخفـى عليه خافية ، بل هو الدائم الباقي بلا زوال ، لا إله إلا هو ولا رب سواه، فبين لهـم أولا عدم صلاحية الكوكب لذلك ثم ترقى منها إلى القمر الذي هو أضوأ وأبهى مـن حسنها ، ثم ترقى إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهـاء ، فبين أنها مسخرة مسيرة مقدرة مربوبة" [2] .

ورغم الحجج والبراهين التي حاول إبراهيم – عليه السلام – أن يقنع بها قومه إلا أن ذلك لم يزدهم إلا كفرا وعنادا فلجأ إلى حيلة علها تكون الفيصل بين عـالم الـضلال والكفر الذي يتخبط فيه قومه وبين عالم الهداية والفلاح " حيث كان لقومه عيد يذهبون إليه في كل عام مرة إلى ظاهر البلد ، فدعاه أبوه ليحضره فقال : إنـي سـقيم فلمـا خرجوا إلى عيدهم ، واستقر هو في بلدهم ذهب إليها مسرعا – أصنامهم – مستخفيا فوجدها في بهو عظيم ، وقد وضعوا بين أيديها أنواعا من الأطعمة قربانـا إليهـا . فكسرها بقدوم في يده إلا كبيرا لهم ، وقيل إنه وضع القدوم في يد الكبير ، إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الصغار ، فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بألهتهم : "**قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** " الأنبياء 59. وهذا فيه دليل ظاهر لهم

---

[1] المرجع السابق ص 74.

[2] قصص الأنبياء ابن كثير ص 118.

لو كانوا يعقلون وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها فلو كانت آلهة لـ دفعت عـ ن نفسها من أرادها بسوء"[1]

ولما تذكروا ما قاله إبراهيم عن آلهتهم تيقنوا أنه الفاعل ، عند ذلك أتوا بجميع عبـاد الأصنام ومعهم إبراهيم لإقامة الحد عليه وكان هذا منى ورغبتـه أيـضا ، ليظهـ ر للجميع أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر وليست بقادرة عن دفع الضرر عن نفـسها فكيف تدفعه عن غيرها . ورغم اقتناعهم بصدق ما يقول عزموا على معاقبته فجهزوا له نارا عظيمة فألقوه فيها ، فنجى ا عبده من كيدهم فجعل نـارهم الملتهبـة بـ ردا وسـ ـ ـ ـلاما إكرامـ ـ ـ ـا لنبيـ ـ ـ ـه وعبـ ـ ـ ـرة لمـ ـ ـ ـن يـ ـ ـ ـتعظ0

لم تجد محاولات إبراهيم في إقناع قومه ولا في إقناع النمروز الذي حدثت بينه وبين إبراهيم الخليل عدة مناظرات . حين ذاك سلط ا عليهم " البعوض فلم يروا شـمس ذلك اليوم لكثرها ، فأكلت لحموهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم إلا العظام والنمروز كما هو لم يصبه شيىء من ذلك فبعث ا بعوضة فدخلت فى منخره حتى وصلت إلى دماغه فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، وكان جبارا أربعمائـة سـنة فعذبه ا أربعمائة سنة كمدة ملكه ، ثم إن البعوضة أكلت دماغه وأهلكه ا سـبحانه وتعالى وخذله "[2]

إن قصة قوم إبراهيم – عليه السلام – تحمل في ثناياها العديد من الدلالات ، وأولـى هذه الدلالات ، عدم الشرك با العلي العظيم باتخاذ أندادا له سواء أكانوا مخلوقاته أو ما صنعت مخلوقاته ، فهو ا الذي لا إله إلا هو ، ولا شريك له ، كما يستفاد مـ ن العذاب الذي سلطه ا عليهم عظمة الخالق في سحق من يشاء ، إذا طغـى ، عـ ن طريق أضعف مخلوق وهو البعوض حيث استطاع هذا المخلوق الحقير أن يقهر أكبر طغاة ذلك الزمن ألا وهو النمروز ويجعله يتمنى الموت على هذا العذاب الذي عاينـه بعد ما كان فيه من سعة في الجاه والسلطان فلم يتذكر ويشكر ا على فضله ومنه.

إن قصة قوم إبراهيم – عليه السلام – تحمل في ثناياها العديد من الدلالات ، وأولى

7) **5و! موسة – Yليه السلأ!** . كما عرفوا باسم آل فرعون : مصداقا لقوله -جـ ل

[1] قصص الأنبياء ابن كثير ص 121.

[2] قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 79

وعلا -: " كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون " الأنفال 14

وموسى نبي ا " موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب- عليه السلام- "[1] وكان موسى زمن فرعون الذي بعثه ا إليه ، ولم يكن فـيهم فرعـون أعتى على ا ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبني إسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدما وصنفهم في أعماله فـصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية ، وقد استنكح فرعون منهم إمرأة يقال لها آسية بنت مزاحم – رضي ا عنها – ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعـون يوسـف الأول فأسلمت على يدي موسى " [2]

تربى موسى – عليه السلام- في كنف فرعون ، وغاب عنه سنوات ، بعد ذلك بعثـه ا رسولا إلى فرعون يدعوه للإيمان ، والكف عن المنكرات التي يمارسها في حـق رعيته المستضعفة ، وأيده ا بأخيه هارون وزيرا ، وآتاه العصا التي تنقلب بإذن ا حية ، وفي سياقات أخرى -ثعبانا أو جانا – آية وبرهانا على صدق رسالته " فتكبر فرعون في نفسه وعتا وطغى ونظر إلى موسى بعين الازدراء والنقص قائلا لـه : " ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين "[3]

لقد وردت العديد من الآيات * تبين ما كان بين فرعون وموسى – عليه السلام- من المحاجة والمناظرة . وما أقامه موسى – عليه السلام – مـن الحجـج العقليـة المعنوية ثم الحسية ليتعظ فرعون0" ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدتـه ، ولا نزع عن ضلالته ، بل استمر في طغيانه وعناده وكفرانه "[4]

واتهم فرعون موسى – عليه السلام – بالجنون . ولما أقام موسى – عليـه الحجـة القاطعة ، لم يبق لفرعون سوى العناد فعدل إلى استعمال سلطانه وجاهه وسـطوته ، عند ذاك ، أظهر له موسى – عليه السلام – معجزته وهي عصاه فحين ألقاها فإذا بها

---

(1) قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس ص 169

(2) المرجع نفسه ص 170

(3) قصص الأنبياء ابن كثير ص 272

* الشعراء / 23

(4) قصص الأنبياء . ابن كثير ص 273

ثعبان مبين. فأخذ فرعون الرهب والرعب ، ومع ما رأى من الآيات لم ينتفع ، بـل استمر على ما هو عليه وصرح بأن كل ما شاهده سحر ، فأمر بجمع سحرة جميـع المدائن المحيطة به لتبطل ما جاء به موسى – عليه السلام - .

وهذا ما أراده المولى – عزل وجل – ورسوله فتم الميعاد ، ورأى السحرة من عصا موسى - عليه السلام -ما جعلهم يخرون سجدا مقتنعين بصدق ما جاء به ومؤمنين فازدادت ثورة فرعون وجبروته على كل من آمن فعاقبهم بأنواع من التنكيـل مـن صلب وقطع الأيدي والأرجل واستحياء النساء...الخ.

قال محمد ابن اسحاق : فرجع عدو ا فرعون حين آمنت السحرة مغلولا ، ثم أبـى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر ، فتابع ا عليه الآيات ، فأخذه بالـسنين : فأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ،ثم القمل ثم الضفادع ، ثم الدم آيات مفصلات[1].

ورغم هذه الآيات التي امتحن ا بها آل فرعون إلا أنهم لم يعتبروا ، عند ذلك دعـا موسى دعوة* على عدو ا فرعون ، فكانت نهاية هذا الطاغية الغرق مع من معـه من الجند.

إن مسيرة موسى – عليه السلام- مع آل فرعون ، ومـع اليهـود كانـت طويلـة ، والدلالة المستفادة منها شأنها شأن باقي قصص الأمم الغابرة التي مرت هي توحيـد الألوهية للمولى –عز وجل – أولا وتحريم جميع المنكرات التي مارسها فرعـون – مع ما أتاه ا من جاه وسلطان- على قومه من تعذيب وتنكيل واستحياء النساء وقتل ... ولقد أمهلهم تعالى وأعطاهم من الدلائل والبراهين ما يجعلهم يؤمنون ويعتبرون . " وهم مع ذلك لا يرعون ولا ينتهون ولا ينزعون ولا يرهبون " [2]

8) **قوم يونس** –عليه السلام-: جميع الأمم التي قصها عليها النص القرآني لاقـوا مصيرهم من العقاب والعذاب نظرا لتماديهم في كفـرهم وعنـادهم رغـم الآيـات والدلائل التي بينت لهم بطلان ما هم فيه إلا قوم يونس – عليه السلام – فإنهم نجـوا من ذلك قال تعالى : " **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يـونس لمـا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** "يونس 98.

---

[1] أنظر ، قصص الأنبياء ص 293

* يونس / 88-89

[2] قصص الأنبياء ص 297

فهذه الآية تبين بصريح العبارة أن الأمم الغابرة كانوا يعاندون ويصرون على مـا هم عليه من الكفر والإباء عن الإيمان ، ولم ينج من هذا إلا القوم الذين أرسل إلـيهم يونس – عليه السلام – فإنهم أجابوه إلى الإيمان ، فكشف ا عنهم الخزي.

ولم يعلم من نسبه –يونس- في كتب التفسير والحديث إلا أنه " يـونس بـن متـى " ويقول أهل الكتاب إنه " يونان بن أمتاي "[1]

ولقد بعث ا يونس – عليه السلام – إلى أهل " نينوى " من أرض الموصل فدعاهم إلى ا –جل وعلا – فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث [2].

غضب يونس – عليه السلام – وغادر القرية ، واستقل سفينة ليذهب بها إلى بلـد آخر ربما يكون أكثر قبولا لدعوته " وحينئذ رأى قوم يونس عواصف ورياحا شديدة ، وانقلابا في الطبيعة ، فذهبوا إلى علمائهم ، فقالوا لهم إن هذه بداية عذاب سيصيبهم به ا - سبحانه وتعالى- ، لما فعلوه مع نبي ا يونس فقالوا لهم ، اذهبوا لترضـوا يونس قبل أن يحل عليكم العذاب فآمنوا وبدأوا يردون المظالم إلى أهلها حتى قيل إن الرجل كان يهدم جدار بيته ، لأن فيه حجرا سرقه من جاره ، فيهدم الجـدار ويعيـد لجاره حجره"[3]

وزاد ابن كثير على هذا وبين لنا حال قوم يونس و حيواناتهم فقال " ...وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات ، وجأرت الأنعام والدواب والمواشـي ، ورغـت الإبل وفصلانها وخارت البقر وأولادها وثغت الغنم وحملانها ، وكانت ساعة عظيمة هائلة "[4]

والذي أوردته أغلب الكتب أن نبي ا يونس كان قد تعرض أولا لمحنـة إلتقـام الحوت له ، ثم أنجاه ا بعد هذا كله وبعثه إلى هذه القرية " أنه أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فهذه الآيات [*] تدل على أن الإرسال بعد ذهابه مغاضبا وأنه أبق

---

[1] أنظر قصص الأنبياء . عبد الوهاب النجار. مكتبة رحاب . ساحة بور سعيد.ص355
[2] أنظر ، قصص الأنبياء ، ابن كثير ص 246.
[3] قصص الأنبياء . الشعراوي :0 المجلد الثاني . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان.ص1230
[4] قصص الأنبياء . ابن كثير ص 246.
[*] الصافات / 140-141-142-143-144-145.

إلى الفلك . ثم كان من المدحضين وإلتقمه الحوت ثم دعا الله فجعل الحـوت يلفظـه وأنبت علي اليقطينة ثم أرسله إلى أهل القرية التي أمره الله بالذهاب إليها فآمنوا"[1]

لقد رأف الله بعباده – قوم يونس – " فكشف بحوله وقوته ورأفته ورحمتـه ، عـنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم ، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم "[2]

فالذي يستخلص من قصة قوم يونس – عليه السلام – وبعقد مقارنة بيـنهم وبـين جميع الأمم الغابرة يتبين أن قوم يونس – عليه السلام – آمنوا فكشف المولى – جـل وعلا – عنهم العذاب في حين لم تستجب إحدى الأمم الأخرى لرسالة نبيها ، فالدلالة المستفادة إذن من هذه القصة بيان رحمة الله ورأفته بعباده ، وأن رحمتـه وفـضله عليهم دائما يسبق غضبه فهو اللطيف بعباده ، هدى عباده إلى الإيمان بإبرازه للدلائل فآمنوا فمنحهم الأمان في الحياة الدنيا ومتعهم إلى حين.

فالمستخلص – إذن – من قصص الأنبياء جميعا- صلوات الله وسلامه عليهم – أنها تدعو إلى إفراد الألوهية للخالق وهذه هي رسالة كل الأنبياء ألا وهي رسالة التوحيد. كما أن هذه الأقوام عرفت بالإضافة إلى شركها بالله بانفرادها ببعض الأعمال الرديئة والصفات القبيحة . فخص الله كل نبي إلى قوم لمحاربة هذه الآفات والقضاء عليهـا فتجلت دلالة كل قصة على حدة ، وفي الأخير أقول أن الدلالة المستفادة هـي أخـذ العبرة لقوله تعالى : " **ولقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب مـا كـان حـديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** " يوسف 111

---

[1] قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ص 361.

[2] قصص الأنبياء ، ابن كثير ص 246.

عالم الألوان عالم فسيح مليء بالإثارة وله أثار فاعلة على النفس والبشرية؛ فالألوان تستخدم في أغراض شتى تتنوع ما بين الطب والفن والسياسة والأنثربولوجيا ونظام المرور... فهي جزء لا يتجزأ من الحياة فهي تحمل في ثناياها مشاعر متناقضة فهي تحمل مشاعر الأمل والياس وترمز لمفاهيم البراءة والحب .....

هذا ما سنحاول أن أبنيه في هذا الفصل –إن شاء ا - انطلاقا من الألوان الصريحة التي ذكرت في المدونة وهي: الأصفر، والأبيض والأسود والأخضر.أو الألوان غير الصريحة كالظلمات والنور ما جاء في تعريف اللون أنه «هيئة كالسواد والبياض، وما يتركب بينهما والجمع، الألوان والألوان، وإن كثرت أصنافها، وتعددت أنواعها، ترجع إلى قسمين: القسم الأول: الألوان الأصلية والقسم الثاني: الألوان الفرعية المركب بعضها مع بعض، فأما الألوان الأصلية فهي خمسة وهي: البياض والسواد والحمرة والصفرة والزرقة، وأما الألوان الفرعية المركب بعضها مع بعض فهي ما عدا تلك »[(1)].

إن اللونين الأبيض والأسود لا يعتبران من الألوان الأصلية مثلما ورد فى التعريف وإنما يطلق عليهما مصطلح الألوان المحايدة.

نعود الآن لبيان السياقات التي وردت فيها الألوان المشار إليها سابقا بنوعيها مقسمة إياها إلى قسمين هما:

1-**الألوان الصريحة**: وأرتبها حسب ورودها فى المدونة وهي :

1- الأصفـر: الصفرة من الألوان معروفة تكون في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبلها، وحكاها ابن الأعرابي في الماء أيضا، والصفرة أيضا السواد، وقد اصفرّ واصفار وهو أصفر وصفّره غيره، قال أبو عبيد: الأصفر: الأسود: وفرس أصفر، وهو الذي يسمى بالفارسية زرده، قال الأصمعي: لا يسمى أصفر حتى يصفر ذنبه وعرفه[(2)].

---

(1) كتيبا الPيل مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال،.ص49

(2) انظر لسان العرب، المجلد الثامن، ص249.

صفّر الشيء: صيره أصفر، وصفّر الثوب: صبغه بصفرة، واصفّر واصفار: صار ذا صفرة، والصُّفر: الدنانير: الذهب، النحاس الأصفر، الصُّفرة: لون الأصفر كالذهب(1).

ولقد ورد هذا اللون مرة واحدة في المدونة أثناء حديثه –عز وجل- عن قصة نبيه موسى –عليه السلام- مع قومه في مقتل ذلك الإسرائيلي، قال تعالى: **«قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين»** البقرة69.

ومما ذكر عن هذه البقرة «قال هشيم عن جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن: كانت بقرة وحشية، وقال مجاهد ووهب بن منبه أنها كانت صفراء، وعن ابن عمر: كانت صفراء الظلف، وعن سعيد بن جبير: كانت صفرا، القرن والظلف، وقال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي حدثنا نوح بن قيس: أنبأنا أبو رجاء عن الحسن قال: كانت سوداء شديدة السواد وهذا غريب والصحيح الأول، ولهذا أكد صفرتها بأنه "فاقع لونها"، وقال عطية العوفي: تكاد تسود من صفرتها، وعن ابن عباس شديدة الصفرة، تكاد من صفرتها تبيض، وكما قيل: إنها كانت شديدة الصفرة تضرب إلى حمرة وسواد وا أعلم"(2).

والملاحظ من خلال هذه الآية أن المولى –جل وعلا- قرن بين اللون الصفر والسرور فمن دلالات اللون الأصفر الدلالة على السرور "وسرور الناظرين لا يتم إلا أن تقع أبصارهم على فراهة وحيوية ونشاط والمتاع في تلك البقرة المطلوبة»(3).

والذي يزيد في بيان دلالة اللون الصفر على السرور ما قاله ابن عباس: من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها»(4).

وقد تعود هذه الدلالة اللون الأصفر "لصلته بالبياض وضوء النهار ارتبط بالتحفز والتهيؤ للنشاط وأهم خصائصه اللمعان والاشعاع وإثارة الانشراح"(5). وبينت

---

(1) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص427.
(2) تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، ص223.
(3) في ظلال القرآن، م1، ج1، ص79.
(4) تفسير القرآن العظيم، م1، ص223.
(5) اللغة واللون، الدكتور احمد مختار عمر، ط2: 1997، عالم الكتب: القاهرة.ص184.

الدراسات أن اللون الأصفر" يرفع ضغط الدم المنخفض المرتبط بالأنيميا والإنهاك العصبي والوهن العام"[1].

وعلى نقيض دلالة السرور والنشاط التي يحملها اللون الأصفر تبين أنه قد يكون دالا على الإزعاج والكآبة "حيث طلب جماعة من سكان محلة في تيود رجزي" إلى صاحب إحدى البنايات الشاهقة أن يطلي بنايته بغير اللون الأصفر لأن هذا اللون يزعجهم فيجلب إليهم المرض، فلم يبال الرجل بالشكوى، ولم يعر المتذمرين أدنى اهتمام، فلم يكن منهم إلا أن رفعوا عريضة إلى المجلس البلدي يبسطون فيها القضية، ويطالبون بإزالة اللون الصفر، فنقض عدد الذين يصابون بالتقيؤ بمعدل خمسين في المائة"[2].

إن دلالة اللون الأصفر على الكآبة والمرض لا بد أن يكون لها أبعادا معينة كارتباطه بالذبول للأوراق مثلا، أو قد لا يكون أصفر خالصا بل مزيجا بينه وبين الأخضر «فالأصفر المخضر من أكثر الألوان كراهية، وهو بدرجاته المتعددة يرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والبذاءة والخيانة والغيرة»[3].

كما ارتبط اللون الأصفر بالخرافة حيث "وجد اعتقاد أن الحجر الأصفر يجلب السعادة والغنى"[4].

أما في المجال الديني «فالأصفر لون مقدس ليس فقط في الصين والهند، ولكن كذلك في المسيحية الأوربية واستخدمت الكنيسة اللون الأصفر في اللوحات المقدسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية، ولارتباط اللون الصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمز الإله الشمس رع»[5]، وقيل إن اللون الأصفر "هو لون الأشخاص المحبين للحركة والتنقل من محيط على محيط ومن بيئة إلى بيئة سعيا وراء وجوه جديدة"[6].

---

(1) المرجع السابق، ص151.
(2) علم النفس في حياتنا اليومية، سمير شيخاني، ط4: 1401-1981، دار الأفاق الجديدة بيروت.ص135.
(3) اللغة واللون، ص184.
(4) المرجع السابق، ص162.
(5) المرجع السابق، ص163.
(6) علم النفس في حياتنا اليومية، ص139.

وهذا اللون تفضله النساء المولعات بالسهرات والزيارات والظهور في الأماكن الفخمة والجديدة وقد شاع اتخاذ هذا اللون رمزا للغيرة على أنه من الألوان المحببة لدى 70% من الرجال[1] وهناك من أعطى العديد من الدلالات للون الأصفر وكلها سلبية فهو لون "الغموض، والتوتر، والخديعة، والغدر، وعدم الوضوح"[2].

نستخلص من خلال هذه الدراسة أن ليس للون الأصفر إيحاءات ودلالات ثابتة فهي تختلف باختلاف المجالات، كما أنه قد يستمد دلالته من المادة المأخوذة منها فلون الذهب دال على الفخامة، أو من صفرة الشمس، أو من لون الفاكهة، وفي أحيان أخرى يستمدها من النبات الذابل ولك أن تقارن بين هذه المصادر التي أُخذ منها.

ومن التعبيرات التي شاعت واستعمل فيها هذا اللون: [3]

أصفر الوجه: ويعنون من المرض والذبول.

ضحكة صفراء، إذا كانت بمرارة أو منتزعة انتزاعا.

عين صفراء، للعين الحقودة الحاسدة.

الملازم الصفراء، إشارة إلى الكتب التقليدية التي كان يدرسها الأزهريون.

2- الأبيض : باض فلانا: غلبه في البياض، وبيضه وتبيّض جعله أبيض، ومنه تبييض الكتبة وتبييض الآنية وهو أن يطلي بالقصدير، والبياض: ضد السواد، وقد جعل البياض مثلا للصلاح.[4]

إن اللون الأبيض ورد في المدونة مقترنا باللون الأسود وأول ما ذكر في سياق تحديد وقت البدء في الصيام قال –جل جلاله-: **«وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»** البقرة 187

أباح تعالى الأكل والشرب، مع ما تقدم من إباحة الجماع حتى يتبين ضياء الصباح من سواد الليل وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود[5].

وفي بيان أهوال يوم القيامة وحال الناس فيه جراء أعمالهم في الحياة الدنيوية قال –جل وجلاله-: **«يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم**

---

[1] انظر: المرجع السابق، ص275.

[2] رسوم الأطفال من منظور إعلامي، دراسة تحليلية اجتماعية نفسية فنية، الدكتورة إنشراح الشال.ص77

[3] اللغة واللون، ص74.

[4] انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص56.

[5] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص371.

ۚكفرتۚ! بعد ۚيمانكۚ! فۚوۚوا العۚاب بما كنتۚ! تكفرون (106) وۚما الۚين ابيضت وللاوزۚ! ففي رحمة Ŷl jl! فيۚ خالدون (107)» آل عمران، قال ابن عباس: حين تبيض وجوه السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وقال الحسن البصري: وهم المنافقون، وهذا الوصف يعم كل كافر[1].

إن المشهد عظيم يبين لنا حالة الناس في هذا اليوم وإنقسامهم إلى فريقين "وجوه قد أشرقت بالنور وفاضت بالبشر، وهذه وجوه كمدت من الحزن وأغبرت من الغم واسودت من الكآبة، وليست مع هذا متروكة الى ما هي فيه، ولكنه اللذع بالتبكيت والتأنيب»[2].

كما ورد اللون الأبيض في بيان مقدرة المولى –عز وجل- التي أمد بها نبيه موسى –عليه السلام- فقال: **«ونۚ يدۚ فۚ زاي بيضاء للناظرين»** الأعراف 108.

موسى عليه السلام كان أسمر اللون، ومن معجزاته أنه سيضع يده في جبينه فتخرج بيضاء لها شعاع وبريق يأخذ الأبصار وهذا البياض ليس بمرض بدليل قوله: **«بيضاء من ۚير سوء»** طه 22.

إن اللون الأبيض في الآيات السابقة كلها دل على أمل مستحسن وأما إذا تعلق بحاسة البصر فإنه يصبح دالا على مرض وعاهة مصداقا لقوله تعالى: **«وابيضت ۚيناۚ من الحۚن فۚو كظيۚ!»**يوسف84. فسيدنا يعقوب –عليه السلام- من كثرة بكائه وحزنه على ابنه يوسف فقد حاسة البصر فاللون الأبيض هنا دل على سوء.

نستخلص من هذا أن اللون الأبيض يستعمل رمزا للفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا «وفي العصور القديمة كان اللون الأبيض مقدسا ومكرسا لإله الرومان jupiter، وكان يضحى له بحيوانات بيضاء، ولأن اللون البيض يرمز للصفاء والنقاوة فإن المسيح عادة ما يمثل في ثوب أبيض»[3]. ولعل معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود في اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباسا أثناء أداء مناسك الحج والعمرة وكفنهم للميت.

---

(1) انظر: المصدر السابق، م1، ص595.

(2) في ظلال القرآن ،م1، ج4، ص454.

(3) اللغة واللون، ص163.

أما في علم النفس فقيل إن هذا اللون "يعجب الأشخاص المتقلبين في آرائهم، والذين لا يستقرون على حال من الأحوال، والأبيض هو اللون الذي يستحسنه أولئك الذين يفتقرون إلى قوة الملاحظة والبديهة وروح الانتقاد"[1].

أما اللون الأبيض بالنسبة للمرأة "فكثيرا ما تفضله المترددات، وضعيفات الملاحظة، والمراة في ثوبها الأبيض أقرب ما تكون الى الطهارة والنقاء وطيبة القلب والبساطة والصراحة البريئة ولهذا يشبهون المرأة وهي ثوب أبيض بالملاك الطاهر"[2].

إن اللون الأبيض ليس دائما مبعثا للتفاؤل والسرور والحب فهناك من يكرهون هذا اللون وهم غالبا من مروا بتجربة أليمة مع المرض اضطرتهم على قضاء فترات طويلة في المستشفيات كما يدل على الشحوب مثل: شعر أبيض، وشفاه بيضاء، من الخوف.

ومن التعبيرات التي استعمل فيها هذا اللون ليفيد دلالات معينة فقالوا: "كلام أبيض، وقالوا: يد بيضاء، واستخدموا البياض للمدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب، ولارتباطه بالضوء وبياض النهار استخدموه في تعبيرات تدل على ذلك، فقد قالوا: كتيبة بيضاء، وقالوا: الأيام البيض لليالي: 13-14-15 لأن القمر يطلع فيها من أولها على آخرها"[3].

كما وصف الموت بأنه أبيض إذا أتى فجأة لم يسبقه مرض يغير اللون

3- الأسود: السواد نقيض البياض وهو أسود والجمع سود وسودان[4]، سوِد سَوَدًا: صار أسود، سوَّد الشيء: صيره أسود، ساوده: لقيه في سواد الليل السوَد: جمع أسواد والقطعة منه "سودة، السواد: جمع أسودة وجمع أسواد، خلاف البياض الشبح، المال الكثير، العدد الكثير، سواد الليل: طوله، وسواد البلدة، ما حولها من الريف والقرى ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة ولما حولها من القرى، وسواد الناس: عامتهم ويقال: "فلان أسود الكبد" أي عدو[5].

---

(1) علم النفس في حياتنا اليومية، ص137.
(2) المرجع السابق، ص274.
(3) اللغة واللون، ص69.
(4) انظر لسان العرب، م7، ص294.
(5) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص361.

ورد اللون الأسود في الآيتين السابقين اللتين تم ذكرهما أثناء الحديث عن اللون الأبيض* كما ذكر في بيان حال بعض الأباء وما يطرأ من تغيير على وجوههم إذا منحوا فتاة .قال- جل جلاله -«**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم**» النحل58.

فهذا التغيير في الهيئة إنما يدل على الكآبة وشدة الحزن من الهم –حسب اعتقاده- الذي رزق به.

إذا كان اللون الأبيض –كما بينا سابقا- دالا على الصفاء والنقاء والأمل وبشارة للخير فإن اللون على نقيضه إكتسى طابعا تشاؤميا ودل على الحزن والكآبة ونذير شر لما يتوعد صاحبه يوم القيامة، "وتعتبر كثير من الشعوب كلمة "السواد" ومشتقاتها من الكلمات المخطورة "اللامساس" التي يتجنب نطقها تشاؤما من ذكرها لما هو مستقر في نفوس العامة من اعتقاد وجود علاقة بين اللفظ والمواقف المرتبطة به اقوى من مجرد الدلالة فلفظ الموت عندهم محيلة للموت"[(1)].

ولم يأت ارتباط التشاؤم باللون الأسود عبثا، وإنما نتيجة لاستخدامه في بعض المناسبات والمواقف الحزينة فربطوا السواد بالموت، كما شاع الخوف من الظلام، فربطوا الخوف من المجهول بالسواد، كما أن اللون الأسود لم يرتبط في الطبيعة بأي شيء ذي بهجة بل ارتبط بالأشياء المنفرة فهو مرتبط بالغراب، وبالليل، وبالرماد... وكلها أمور تثير الانقباض وتزيل البهجة[(2)]. واستعمل السواد رمزا للخيانة الزوجية والغواية الجنسية والخطيئة بعامة، وجاء كذلك رمزا للشر والإجرام وإثارة الفزع، وجاء رمزا للعنة، أوسوء الحظ والشؤم، وورد رمزا للموت والفناء والحزن كما جاء في معرض السب والإهانة[(3)].

ولقد استخدم السواد مع القلب للإشارة على الحقد والضغينة.

---

* البقرة187، آل عمران106/107.

[(1)] اللغة واللون، ص200.

[(2)] انظر: المرجع السابق، ص201.

[(3)] اللغة واللون، ص203.

ولقد بين علم النفس أن هذا اللون «يفضله المتشائمون على ما عداه من الألوان، ومن الصعب معرفة ما إذا كان هؤلاء يلبسون الثياب السوداء لفرط حزنهم وتشاؤمهم، أو لأن الحزن والتشاؤم هما نتيجة ارتدائهم الملابس القائمة اللون»[1].

وقد أشار المظفر بن قاضي فى كتابه "مفرح النفس" جاء فيه أن اللون الأسود وما شاكل ذلك «تكدر الأرواح وتعمي القلوب، وتولد الأخلاط السوداوية والهموم المؤذية والآحزان اللازمة»[2] ومن التعبيرات الشائعة الاستخدام للون الأسود قولنا[3].

- سود الأكباد: وصف يطلق على الأعداء
- أسود القلب: وصف يدل على الحقد والكراهية
- نهاره أسود.سنته سوداء...

ولتشاؤم العوام من النطق به نجدهم في مصر يغيرون اللفظ فيقولون، يانهار أسوح يانهار أسوا[illegible]، وأحيانا يضعون الأبيض مكان الأسود فيقولون: يانهار أبيض، وياخبر أبيض كما يستخدم اللون الأسود «لأشارة إلى الأمور الثقيلة والخطيرة فيقال: مكيدة سوداء، أو المشحنة والملوثة (أيدي سوداء) أو المكر والخبث والشر (أفعال سوداء، أو الأشياء ذات الأثر السلبي (علامة سوداء في سجل المرء)، أو الأمور الغيبية أو الشيطانية (سحر أسود، أو الأحداث والمشاعر الحزينة واليائسة والمصائب (الياس الأسود)، أو الجوائح (السبت الأسود)، أو عمليات الاستخبارات السرية (المهام الحكومية السوداء) [4].

وإن كانت جميع هذه السياقات دلت على سلبية اللون الأسود فقد أوضح طبيب علم النفس الاجتماعي "إبراهيم بالي أغلو" جدوى هذا اللون فقال: «على الرغم من أننا نربط الأسود بمعان سلبية فلا يمكن أن ننكر أنه يمثل الجدية والاحترام والنبل، فهناك مواطن لا يعد فيها اللون الأبيض الذي هو لون الطهر لونا مناسبا، ولا بد أن يستخدم الألوان مع درجاتها وتجميعاتها المناسبة»[5].

---

(1) علم النفس في حياتنا اليومية، ص137.
(2) انظر: رسوم الأطفال من منظور إعلامي، ص84.
(3) اللغة واللون، ص72-73.
(4) مجلة الحراء، العدد الثاني يناير، مارس2006، بهاء الدين إبراهيم نعمة لا، ص24.
(5) المرجع السابق، ص25.

4- اللون الأخضر: خضِر خضارا: صار أخضر أي بلون ورق الشجر المعهود.

الزرع صار نضيرا، خاضرا مخاضرة: باعه الثمار خضرا قبل ظهور صلاحها: اختضر: مات شابا أي أخذ في وقت الحسن والإشراف، الخضارة: جمع خضار وخضار، لون الأخضر، البقل: النعومة، يقال "غصن فيه خضرة" أي نعومة وخضرة اليمن: أي خضرة ما نبت على المزابل، يكنى بها عن جمال الظاهر مع قبح الباطن[1].

ورد هذا اللون مقترنا بلون ثياب الفائزين بجنات الرحمن، قال تعالى: «**ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك**» الكهف31.

يمثل اللون الأخضر في العقيدة الإخلاص والخلود والتأمل الروحي، ويسمى لون الكاثوليك المفضل ويستعمل في عيد الفصح ليرمز على البعث: واللون الأخضر الحائل هو لون التعميد عند المسيحين[2] يتبين أن اللون الأخضر دل على الإخلاص كما يدل على السلام ومرجع هذه الدلالات إلى "ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنبات، وبعض الأحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد، ثم جاءت المعتقدات الدينية لتعمق من هذه الايحاءات حين استخدمت اللون الأخضر في الخصب والرزق وفي نعيم الآخرة»[3].

كما يمكن "للون الخضر إذا ما أخذ على حدة أن يمثل رمز الأمل، أو النبات الطبيعي أو حرية العبور، أو الوطنية الايرانية، بمقدار ما يمثل الغيرة أيضا ولكن اللفظ "أخضر" كإشارة شفوية يدل دائما على لون محدد»[4].

وقيل في علم النفس إن هذا اللون :لون الفنانين على اختلافهم، ولون ذوي النفوس المرهفة الحس، وهؤلاء الأشخاص يفضلون الحياة المتقلبة الدائمة الحركة والنشاط على الحياة الهادئة التي تسير على وتيرة واحدة، أما الدقة فهي أبرز

---

(1) انظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص182.
(2) انظر: اللغة اللون، ص225.
(3) المرجع لسابق، ص210.
(4) علم الاشارة، السميلوجيا، ص127.

خصالهم، وبخاصة الدقة في كل عمل يأتونه، وفضلا عن هذا فهم يعرفون كيف يحافظون على شبابهم حتى سن متأخرة»[1].

وقيل فيه كذلك «هو لون النساء اللاتي يتعاطين الفن، وهن عادة صاحبات ذوق رفيع، غير أنه يدل على طباع غريبة تجعلهن لا يعرفن الاستقرار، وتجاب إليهن التغير الدائم، وهو محبب لدى 70% من الرجال»[2].

أما اللون الأخضر فقد ارتبطت رموزه لدى المصري القديم بمعان تدل علىالنضارة والطزاجة والنمو ولذلك كانت تمائم الشفاء والحماية خضراء، وكان للتأثير القابض والمبرد لخامات اللون الخضر أن استخدم في علاج بعض أمراض العيون[3].

ومن الدلالات الرقيقة والإيجابية كذلك التي يدل عليها هذا اللون أنه يحوي «معنى الرحمة واللطف والاعتدال (شتاء أخضر معتدل)، ومعنى الجاذبية والبهجة، ومعنى الشباب والحيوية وعدم النضج أو الاكتمال (تفاح أخضر)، وكذلك معنى الجدة»[4] في حين قد يدل على معاني السلبية والمرض «فقد يعني شيئا له مظهر باهت ومريض أو شخص حسود (أخضر من الحسد)، كما يشير هذا اللون إلى الحركات السياسية المناصرة للبيئة (السلام الأخضر)، أو الأفراد الذين يعملون من أجل الحفاظ على البيئة حزب الخضر»[5].

كثيرا ما فضل المسلمون اللون الأخضر حيث تغطى قبورهم وأضرحتهم بأردية خضراء، كما نجده في مساجدهم فيطرح سؤال مفاده: هل للإسلام لون خاص؟ حيث كثيرا «ما يربط بعض الناس بين الإسلام واللون الأخضر –إذ كان النبي- صلى ا عليه وسلم- يحب اللون الأخضر، فهو يريح العين، ويرتبط بالطبيعة، لكن الحقيقة هي أن النبي –صلى ا عليه وسلم-: أمر الناس أن يرتدوا ما صفا لونه وخلا من الدنس وأراح العين»[6].

---

(1) علم النفس في حياتنا اليومية، ص138.
(2) المرجع السابق، ص278.
(3) انظر: رسوم الأطفال من منظور إعلامي، ص87.
(4) مجلة الحراء، العدد الثاني، يناير، مارس2006، ص26.
(5) المرجع السابق، ص26.
(6) المرجع السابق،ص27.

ونختم الحديث عن اللون الخضر بذكر بعض السياقات والاستخدمات التي يستعمل فيها تقول العرب: [1]

- أباد ا خضراءهم أي: سوادهم ومعظمهم.
- الخضرة:المرأة التي لا تكاد تتم حملا حتى تسقطه.
- في حديث القبر: يملأ عليه خضرا أي نعماغضة.
- كتيبة خضراء: يعلوها سواد الحديد.

2-الألوان غير الصريحة:

الظلمات والنور:

أ-الظـلم: الظلمة: ذهاب النور، وهي خلاف النور، والظلماء: الظلمة، ربما وصف بها فيقال: ليلة ظلماء: أي مظلمة، والظلام: اسم لجمع ذلك كالسواد، ولا يجمع، يجرى مجرى الصدر كمالا تجمع نظائره نحو السواد والبياض، وتجمع الظلمة ظلما وظلمات، ابن سيده: الظلام أول الليل وإن كان مقمرا وظلمات البحر: شدائده[2].

ب-النـور: الضياء، والنور ضد الظلمة، وفي المحكم: النور، الضوء أي كان، وقيل هو شعاعه وسطوعه والجمع أنوار ونيران[3].

لقد آثرت ضم هذين اللفظين في دراسة واحدة وذلك يعود لسببين: أولهما أنهما وردا في المدونة مقترنين –غالبا-، وثانيهما لأنهما لفظان متضادان وبالتالي تكون دلالة الواحد منهما متضادة مع دلالة الثانى.

وقال تعالى في بيان تصوير فئة من عباده كفرت واتبعت الهوى: «ذهب ا بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون» البقرة18.

أي: "أذهب عنهم ما ينفعهم، وهو النور، وأبقى لهم، ما يضرهم وهو الاحراق والدخان" [4] يتضح من خلال الآية أن دلالة النور دلالة هداية أما الظلمات فدلت عن الضلال فلذلك كان نتيجة سلبهم للنور أنهم صاروا "صم بكم عمي" لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقولنه، وفي «المسند من حديث عبد ا بن عمرو قال: قال

---

(1) مجلة الحراء.27.
(2) انظر: لسان العرب، م09، ص194.
(3) انظر: المصدر السابق، م14، ص379.
(4) تفسير القرآن العظيم، م1، ص144.

رسول ا –صلى ا عليه وسلم- "إن ا خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم، من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل وهذه الظلمات ضد الأنوار التي يتقلب فيها المؤمن فإن نور الإيمان في قلبه ومدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور مشيته في الناس نور وكلامه نور ومصيره إلى النور والكافر بالضد»[1].

وانفرد لفظ الظلمات في سياق عن النور في قوله- جل جلاله-: «**و كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت وا محيط بالكافرين**» البقرة19.

الظلمات هي الشكوك والكفر والنفاق[2].

إن دلالة الظلمات هي دلالة الاضطراب والقلق التي يعيش فيها أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين، وعودتهم للشياطين، بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يفيئون إليه من ضلال وظلام[3].

وفي سياق آخر دلت الظلمات -أيضا -على الضلال والكفر في قوله تعالى: «**والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ ا يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم**» الأنعام39.

وفي الآية تمثيل لحالهم في ضلال عقائدهم والابتعاد عن الاهتداء بحال قوم صم وبكم في ظلام فالصمم يمنعهم من تلقى هدى من يهديهم .والبكم يمنعهم من الاسترشاد ممن يمر بهم والظلام يمنعهم من التبصر في الطريق أو المنفذ المخرج لهم من مأزقهم[4].

ولما يكتنف الظلمات من سواد وعدم اتضاح الرؤية اقترن بدلالة الخوف والرعب فمن ذلك قوله تعالى: «**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين**» الأنعام63.

ظلمات البر والبحر كثيرة، وليس من الضروري أن يكون الليل لتتحقق الظلمات، فالمتاهة ظلام والخطر ظلام...وحينما وقع الناس في ظلمة من ظلمات البر

---

[1] اشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الباب15، ص105.
[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، م1، ص145.
[3] انظر: في ظلال القرآن، م1، ج1، ص46.
[4] انظر: التحرير والتنوير، ج7، ص218.

والبحر لم يجدوا في أنفسهم إلا ا يدعونه متضرعين أو يناجونه صامتين[1]، فالظلمات دلت على المخاوف في البر والبحر كما يقال: يوم مظلم إذا حصلت فيه شدائد. [2]

نعود مرة أخرى إلى ذكر آيات اشتملت على لفظتي الظلمات والنور ليتضح من خلالها دلالات كل لفظة على حدة، قال تعالى: **«Ŷl ولي الƿين ƈمنوا يخرǈǇ! من الظلمات Ăǚ النور والƿين كفروا ǖولياǗǉ! ǀǂƸوت يخرǈونǇ! من النور Ăǚ الظلمات ǖولƽǊ pǖصحاب النار ǉj! فيǉǇ خالدون»** البقرة 257.

ما من حقيقة أصدق ولا أدق من التعبير عن الإيمان بالنور، والتعبير عن الكفر بالظلمة. إن الإيمان نور يشرق به كيان المؤمن أول ما ينبثق في ضميره تشرق به روحه فتصفو وتشع من حولها نورا ووضاءة ووضوحا... فأما ضلال الكفر فظلمات شتى منوعة ظلمة الهوى والشهوة وظلمة الشرود والتيه، وظلمة الكبر والطغيان، وظلمة الضعف والذلة وظلمة الرياء والنفاق وظلمة الطمع، وظلمة الشك والقلق وظلمات شتى لا يأخذها الحصر تتجمع كلها عند الشرود عن طريق ا »[3].

أبدًا لن تتساوى الظلمات والنور، ولا دلالات الظلمات والنور، مصداقا لقوله تعالى: **«ǖ! ǉal تستوǇ الظلمات والنور ǖ! Ǉǈعلوا Ŷ شركاء خلقوا لخلقه فتشابه الخلق ǇǉيلŸ!»** الرعد 16.

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، م2، ج7، ص1124.

[2] انظر: التحرير والتنوير، ج7، ص280.

[3] في ظلال القرآن، م1، ج3، ص293.

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر

1-القرآن الكريم.

2-تفسير القرآن العظيم.ابن كثير.ط1423.1ه.2002.دار ابن حزم.بيروت لبنان.

3-في ظلال القرآن.السيد قطب.طش25.دار الشروق.مصر.

4-لسان العرب .ابن منظور.ط.1. 2000 .دار صادر للطباعة والنشر.

-المنجد في اللغة والأعلام .ط36.دار المشرق.بيروت.

2-المراجع

5-**الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية .د.علي حسن موسى.**

6-إحياء علوم الدين .أبو حامد الغزالي .ط2. 1987م.دار الغد العربي.العباسية القاهرة.

7-.الإسلام لله تعالى في سورة البقرة.عبد الحميد محمود طهماز.ط1. 1414.1993.دار القلم .دمشق.الدار الشامية.بيروت.

8- الإشارات الجسمية .د.كريم زكي حسام الدين

9-التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.القرطبي.قدم له وضبط نصه وخرج أحاديثه.عماد زكي البارودي.المكتبة التوفيقية0

10-التعبير الإصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية.د.كريم زكي حسام الدين.مكتبة الأنجلو المصرية.

11-تفسير روح المعاني الألوسي.إحياء التراث العربي .بيروت ابنان.

12-تهذيب الحيواناللجاحظ.د.عبد السلام محمد هارون. ط2..1403.1983 .مكتبة الخانجي .القاهرة .دار الرفاعي الرياض.

13-**حادي الأرواح إلى جنة الأفراح.ابن القيم الجوزية.تحقيق .محمد السيد .ط1 2002.1423..دار الدعوة الإسلامية.الجامع الأزهر.**

14-حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين.العلامة الصاوي.دار إحياء التراث العربي .بيروت لبنان.

15-الحكاية الخرافية .ترجمة د.نبيلة إبراهيم.

16-الحيوان.الجاحظ.شرح وتحقيق د.يحي الشامي.ط3 .1987.مكتبة الهلال.

17-دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية.صالح بن حمادي.دار أبو سلامة.تونس.

18-الدراسة العملية للمعتقدات الشعبية.من دليل العمل الميداني الجامعي التراث الشعبي.إشراف د.محمد الجوهري.دار المعرفةالجامعية.الإسكندرية.

19-دروس في السيميائيات.حنون مبارك.ط1 .1987.دار بونقال.المغرب.

20-دلالة الألفاظ عند الأصوليين.محمود توفيق محمد سعد.ط1 .1407.1987.الأمانة .مصر.

21-ذكر الطير والحيوان في اللغة والأمثال والأحاديث والقرآن.د.أشرف صبحي محمد صابر.ط1 .1423.2002.دار العلم والثقافة.

قائمة المصادر والمراجع

22-رسوم الأطفال من منظور إعلامي.دراسة تحاياية اجتماعية نفسية فنية.د.إنشراح الشال.
23-شفاء العليل في مسائل القضاء والحكمة والتعليل.ابن القيم الجوزية.دار المعرفة.بيروت .لبنان.
24-عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والثماء والكواكب.لطفي عبد البديع.ط1 .1987.دار بونار.القاهرة.
25-علم الإشارة .السيميولوجيا.بيير جيرو.ترجمة .د.منذر العياشي. ط1 .1988.دار طلاس .دمشق.
26-علم النفس فس حياتنا اليومية.سمير شيخاني.ط4 .1401.1981 .دار الأفاق الجديدة.بيروت.
27-عقيدة المؤمن.أبو بكر جابر الجزائري .دار البيان العربي.الأزهر.
28-الفروق في اللغة.أبو هلال العسكري .تحقيق لجنة التراث العربي.ط5 .1403.1983.دار الأفاق الجديدة.بيروت.
29-القاموس المحيط.الفيروز أبادي .دار الجيل.بيروت.
30-قصص الأنبياء .ابن كثير. ط1 .1422.2002.دار السلام .القاهرة .مصر.
31--قصص الأنبياء.عبد الوهاب النجار.ط2.مكتبة الرحاب.بور سعيد.
32---قصص الأنبياء.محمد الشعراوي.دار الكتب العلمية.بيروت لبنان.
33---قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس.الثعلبي .شركة الشمرلي .القاهرة.
34-كتاب الإمتاع والمؤانسة.أبو حيان التوحيدي .صححه وضبطه وشرح غريبه.أحمد أمين وأحمد الزين.دار مكتبة الحياة.بيروت .لبنان.
35-كتاب الخيل مطلع اليمن والإقبال في إنتقاء كتاب الإحتفال.الكلبي الغرناطي .حققه وقدم له .محمد العربي الخطابي .دار الغرب الإسلامي .بيروت .لبنان.1406.1986.
36-كتاب عيون الأخبار .ابن قتيبة الدينوري.طبعته دار الكتاب العربي عن طبعة .دار الكتب المصرية.1343.1925.
37-كتاب فقه اللغة وأسرار العربية .الثعالبي.دار النفيس .القبة الجزائر.
38-اللغة واللون .د.أحمد مختار عمر.عالم الكتب .القاهرة.
39-ماهي السيميولوجيا.برنار توسان.نرجمة .محمد نظيف . ط2 .2000.إفريقيا الشرق.
40-محاضرات في السيمبولوجيا.د.محمد الرغيني .دار الثقافة .الدار البيضاء.
41-المخصص.ابن سيده .دار الكتب العلمية .بيروت .لبنان.
42-مدخل إاى السيميوطيقا.أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة.غشراف .سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد.دار غلياس العصرية.القاهرة .مصر.
43-معجم الألفاظ المعروف بجواهر الألفاظ.أبو فرج قدامة بن جعفر.دار النفيس.القبة .الجزائر.
44-مناسك الحج الطريق إلى الله.عثمان البدوي .

45-نصوص في اللغة .بقلم مجموعة من الأساتذة.رئيس التحرير .طراد الكبيسي .ط1 .1987.دار الشؤون الثقافية العامة .آفاق عربية .العراق .بغداد.

3-المجلات

46-الحراء.العدد الثاني.يناير.-مارس-2006.

47-السيميائية والنص الأدبي.جامعة عنابة-باجي مختار-العدد15.ماي1995.

48-سيميوطيقا العنوان.مجلة عالم الفكر.العدد الثالث.مارس1997.

فهرس الموضوعات: